

مزين بالخرائط والصور والرسوم الفنية

تأليف

صلاح البكري اليافعي

بالجامعة المصرية

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٥٤

المطبعة السلفية



موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع المحتوى العربي والإضافة إليه، لإنشاء موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من مصادر مرخِصة بالنقل. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,501 مقال و 2,409,583 صفحة مخطوط فيها.

خلافاً للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. **ادع أصدقاءك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام الأبجدية العربية، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند ملآى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات الضوئية والإنترنت بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات الممسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة بروكلمان لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات بالفارسية والتركية (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشترٍ وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في الصين وتنبكتو (مالي).

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. أخبرنا (بالضغط هنا) أي منها تريدنا أن نعجل بالنشر.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات, أي تحويل الصورة الممسوحة ضوئياً إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع شقيق باسم معرفة المخطوطات ليضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه (بالتسجيل هنـا).
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع گوتنبرگ Gutenberg Project لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة **لمشروع گوتنبرگ** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي



عظمة السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي



عظمة السلطان على بن منصور الكثيرى



سمو الامير المحبوب صالح بن غالب القعيطى اليافعى

ولى عهد الحكومة القعيطية اليافعية



المؤلف



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده على ما أنعم ونصلي ونسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

— —

لا يوجد فى الكتب العربية وغيرها كتاب وافٍ بتاريخ حضرموت قبل الاسلام وبعده ولسنا نعرف من المؤرخين وأصحاب السير والأخبار واحداً أفرد كتابا خاصا فى هذا الموضوع الذي نحن بصدده وانما هي نتف متفرقة وشذرات مبعثرة فى كتب كثيرة لمؤلفين كثيرين من العرب والفرنجة على أن هذه النتف يناقض بعضها بعضا ، ويخالفها من نواحي جمة وبعضها يبالغ فى وصفه القصاص ، ويتجاوزون حد المعقول . لا سيما فيما يتعلق بالتاريخ القديم (عاد وأقيال التبابعة وملوك حِمْيَر)

ولقد بذلنا جهوداً جبارة . وتكبدنا متاعب شاقة فى غربلة تلك النتف وتصفيتها وحذف ما لا يقبله العقل ولا تثبته المراجع المعتمدة ، والذي أوردناه منها أشرنا الى عدم صحته . وأخذنا الخلاصة من ذلك وأبرزناها — بعد أن اضفنا اليها وثائق هامة من مذكراتنا التى لم تنشر بعد — فى ثوب قشيب وبأسلوب غير مُمل ليتيسر للجمهور

الاطلاع على تاريخ حضرموت وما جرى فيها من جلائل الحوادث وما قاسته من فجائع الأهوال والوقوف على تاريخ الأسلاف من الآباء والجدود وما قاموا به من الأعمال العظام ؛ وما تكبدوه من الخطوب الجسام

فكتابنا هـذا هو أول كتاب من نوعه فى تاريخ حضرموت السياسى فهو أول منارة أقيمت لهداية أولئك السارين الذين يريدون أن يعرفوا الشىء الكثير عن تاريخ حضرموت وهو يعد خطوة لا بأس بها فى تقدم الحضرميين ولقد التزمنا فى كل ما كتبناه العدل والانصاف وقول الحقيقة بحذافيرها

ويشمل الجزء الأول خلاصة جغرافية وجيولوجية حضرموت ؛ وتاريخ عاد وأقيال التبابعة وملوك حمير وحضارتهم وما تركوه من الآثار والرسوم ودخول الاسلام فى حضرموت وكندة الاسلامية وهجرة الحضارم الى بغداد ومصر والاندلس لطلب العلم والى سواحل افريقية الشرقية ، والى الهند للتجارة ، ويتحدث هذا الجزء عن هجرة آل باعلوى من البصرة الى حضرموت ، وعن امارة نهد وآل راشد ثم ظهور الدولة الكثيرية فنشوء الدولة اليافعية وما قام بينهما من الحروب

أما الجزء الثانى فيشمل النزاع الذى حدث فى العائلة اليافعية المالكة وعن امتداد فتوحات يافع فى البلاد السواحلية وفى دوعن وغيرها من البلاد الحضرمية ، ويتحـدث عن معاهدة عدن بين الدولتين اليافعيـة

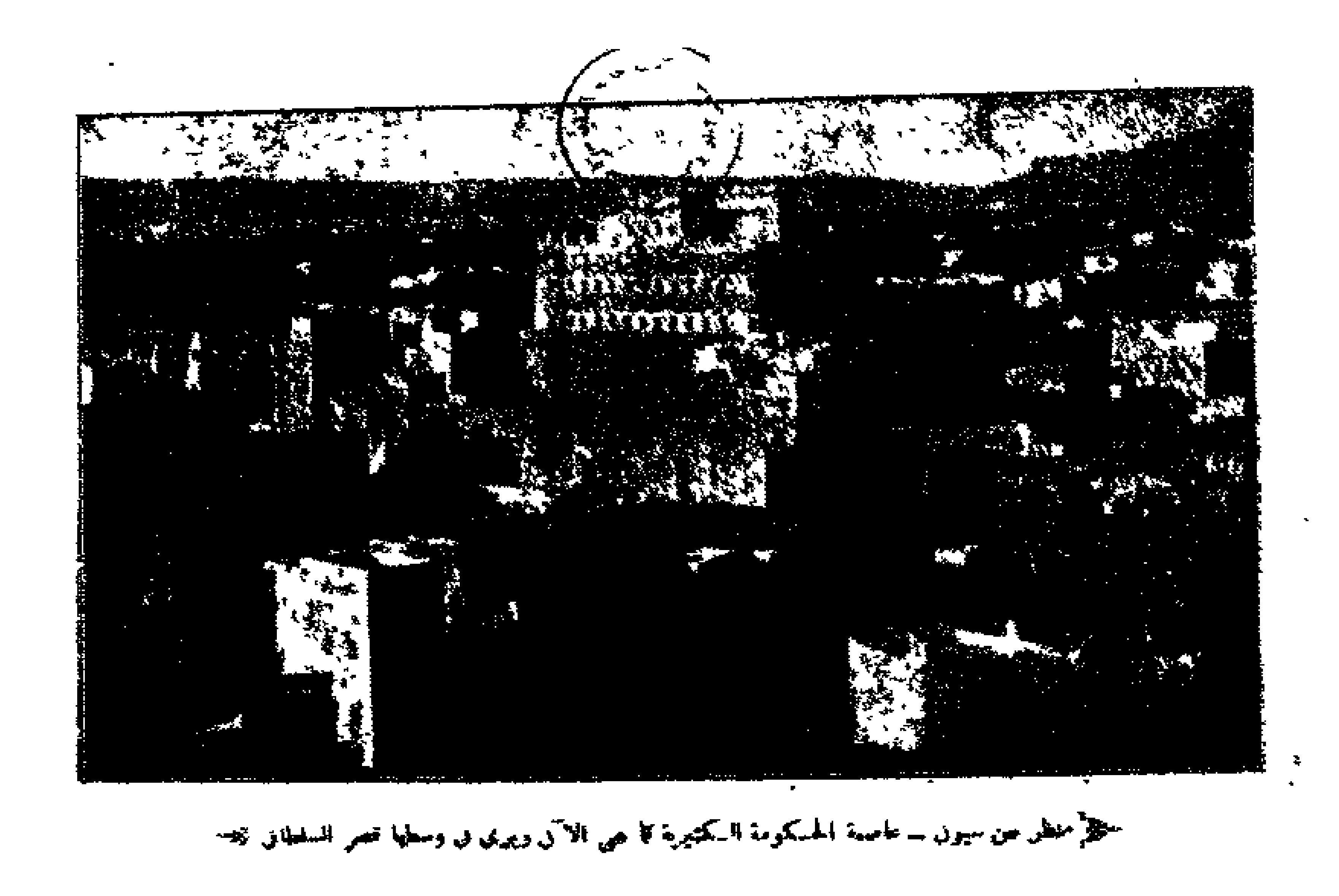
والكثيرية ، وحرب الغرفة ؛ وعن المؤتمر الحضرمي بسنغافورة واخفاق مساعيه ، ويتحدث عن نظام الدولتين السياسي ، وعن الحالة الاجتماعية في الحواضر والبوادي . ويتحدث عن هجرة الحضارم الى جزائر الهند الشرقية (اندونسيا) وما قاموا به من الاعمال وما حصل بينهم من النزاع والخلاف ؛ ويتحدث عن القرين وأحوالهم الاجتماعية ؛ وعن بني كثير و ظفار .

وأرى من الواجب أن أشكر السيدين الفاضلين D. Van Der Meulei و H. Van Wissman فقد سمحا لي بأخذ بعض صور من كتابهما Hadramaut الذي كتباه عن رحلتهما سنة ١٩٣١ وأشكر أيضا من الصميم السيد الفاضل O. H. Little الذي أخذت من كتابه The Geography and Geology of Makalla بعض صور كما اعتمدت عليه في كلامي عن جيولوجيا حضرموت

واني لارجو أني بهذا الكتاب قد أديت بعض ما علي من الواجبات الوطنية والفروض القومية

والله أدعو أن ينفع به وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب

القاهرة { ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥٣
٢١ مارس سنة ١٩٣٥ } صلاح عبد القادر البكري اليافعي



منظر من سيون — عاصمة الحكومة الكثيرية كما هي الآن ويرى في وسطها قصر السلطان

جغرافيا وجيولوجيا حضرموت

على بعد خمس عشرة درجة عرضاً شمالي خط الاستواء وخمسين درجة طولا شرقي جرينو تش Greenwich وما بين ظفار شرقا وعدن غرباً ورمال الا هناء شمالا والبحر العربي جنوبا تقوم سلسلة جبال صخرية جرداء وبين هـــذه الجبال أودية فسيحة منبسطه متصلة ببعضها من جهات ومقطوعة من أخرى وتمتد هذه الاودية الى الشمال حتى تبلغ ٤٩٫٥° طولا ثم تنعطف نحو الجنوب وتنتهي في سَيحوت عند خط ٥١° طولا شرقي جرينوتش وعلى امتداد هذه الاودية توجد المدن والقرى وتأخذ المزارع مساحات واسعة من الأراضي ، وأجود الأراضي الصالحة للزراعة هو الوادي الرئيسي بين القُرط وعينات حيث تجتمع سيول الأودية العليا وتنحدر اليه وتنبسط فيه فتكسبه طمياً كثيراً . وفي هذا الوادي الفسيح يزرع القمح في الشتاء والذرة في الصيف بماء الآبار الارتوازية والماكينات النازحة للماء ، أما بقية الاودية الاخرى فيزرع فيها الذرة بماء المطر لبعد ماء الآبار الذي لا يحصل عليه إلا على عمق ٣٥٠ــ٤٠٠ قدم وتستعمل للشرب وتشغل الكثبان الرملية مساحات كبيرة في طريق القبلة (اليمن) وبين عينات وسيحوت وتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية مشبعة ببخار الماء فتصطدم أحيانا في طريقها الى الشمال بجبال الشواطيء وتنزل هنالك مطراً ولا يسقط المطر في الهضاب الداخلية الا في النادر القليل ولذلك فقد يشتد الجفاف في دَوعن وعمْد ووادي العين وبلاد نهد وسَر وعِدِم

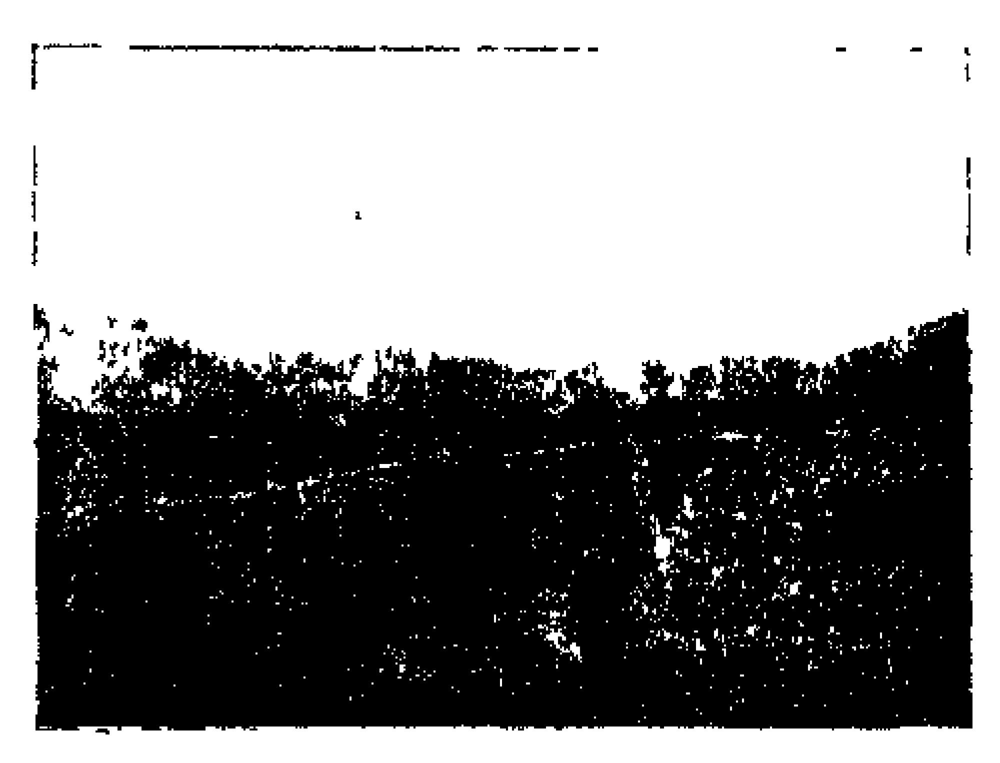
ويشتد البرد فى الشتاء وترتفع درجة الحرارة فى الصيف فيشعر الأهالى بلفح الحر الناتج من إشعاع سطوح الجبال الجرداء ولا يشعر المرء بالرطوبة ليلا إلا على الجبال المكشوفة ، والجو جاف وملائم للصحة وفى الصيف تهب ريح ساخنة يقال لها السموم وهى تساعد على انضاج البلح

ويمتد الاقليم الساحلي من عين بامعبد غربا الى سيحوت شرقا وهو عبارة عن شكل غير منتظم مساحته نحو ٤٥٠٠ كيلو متر مربع وهو يمتد في الداخل الى مسافة ٨٠ كيلو متراً من رأس الكلب وعشرين كيلو متراً عند الحدود الشرقية وأعلى نقطة فيه تقع فى وسطه وارتفاعها ٢١٨٧ متراً وهى تتدرج نحو الشاطىء شرقا وغربا وتتراحم فى الوسط فتضم بينها سلاسل جبلية احتفرت الأنهار مسيلها ودبابا الى البحر وعلى امتداد



« نهر حجر »

الوديان توجد متسعات من الأرض بها بعض المزروعات . ولكن الاقليم على وجه العموم يتكون من تلال ومنحدرات جرداء . وتتدرج سفوح التلال نحو البحر مكونة رءوساً فيها طبقات من الرواسب النهرية . ومن الظواهر الطبيعية فى هذا الاقليم ذلك النهر (نهر حجر) الذى يصب بالقرب من رأس الكلب ويكون دلتاه اقليم ميدع الخصيب وهو يشق



« أرض زراعية فى مَيْدَع »

سريعه فى ثلاثة حوانى وعلى امتداده توجد فى بها أكثر مساحة ممكنة من الأراضى الزراعية وكل مياه الاقليم تنصرف فى البحر حتى تلك الأودية التى تسير فى شمال الهضبة الغربى اذ تصب فى وديان عرضية عميقة حفرت لنفسها طريقاً الى البحر وكل الوديان متوازية تقريباً وهى تمتد لمسافة تتراوح بين عشرة وعشرين كيلو متراً عند منبعها بين خطى

عرض ٣٥°، ٤٠° والوديان ملأى بالصخور المهشمة وترتفع تدريجاً وتصبح حافاتها شديدة الانزلاق ثم تعترضها جنادل وخوانق ثم تخترق عدة عقبات متتالية ويبلغ ارتفاع سفح العقبة من ٣٠٠ الى ٥٠٠ متر وقمتها من ٦٠٠ الى ٨٠٠ متر وعند رءوس بعض الوديان توجد كميات من المياه يحفر لها الناس القنوات على جانبي الوادى الى مسطحات من الأرض وبعد رى هذه المسطحات تغوص المياه فى باطن الأرض ثم تظهر بعد مسافة طويلة اما من تلقاء نفسها وإما بحفر آبار تتباين أعماقها وقد يبلغ عمق البئر ٤٠ متراً وتوجد بين عين بامعبد وبُرْعُم تعريجات عديدة ترسو فيها القوارب ولكنها غير صالحة فى إبان هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وفى المكلا الى الشحر يصبح الساحل رملياً ويتدرج نحو البحر ، وميناء المكلا عميق هادىء صالح لرسو السفن ، أما ميناء الشحر فضحل وفى ديسمبر ومايو تهب الرياح على البر غالباً من الشمال الشرقى وعلى طول الساحل يشعر المرء بنسيم البر والبحر ويمتد تياره الى بضعة كيلومترات داخل الوديان ويشتد البرد عند ارتفاع ١١٢٠ متراً ويعتدل عند ارتفاع ٢٥٠ متراً وفى شهر مارس تصبح أشعة الشمس محرقة للغاية والجو جاف ملائم للصحة فى أعلى الهضاب والمنطقة الوحيدة التى فيها خطر على الصحة هى منطقة ميفع المليئة بالبعوض والتغير فى الطقس بين الساحل وداخل الوديان محسوس جداً ودرجة الحرارة فى الظل فى الظهيرة مرتفعة سواء على الساحل أو على الجبال ولكن درجة الحرارة في الليل تنخفض كثيراً وفى مدينة المكلا يبلغ أدنى حد لدرجة الحرارة فى شهر مايو ٦٥° فرنهيت والليل في الوديان

أرطب منه على الساحل وفى بعض الوديان يهب ريح ساخن طول الليل

الجيولوجيا الطباقية (Statigraphical Geology)

الصخور الرئيسية للاقليم نارية مركبة تعلوها طبقة من الحجر الجيرى من العصر الجوراسى (Jurassic) ثم تليه طبقـة من الصخر من العصر الطباشيرى (Cretaceous) ثم قشور اردوازية (Shales) وتتلو الطبقة الطباشيرية طبقـة من الحجر الجيرى من عصر الايوسين (Eocene) مختلطة بصخور من الحجر الرملى من عصر الاوليجوسين (Oligocene) وصخور اردوازية ويوجد الطفل الجبسى فى الاحواض وتتكون الطبقات الحديثة من الطمى والرمل وفى الوديان تتكون الرواسب الغرينية فى فتات الصخور الرملية الايوسينية والطباشيرية وفى بعض الجهات تتكون من فتات الصخور النارية والمتحولة وبقرب رءوس أذناب الوديان تصبح هذه الرواسب ناعمة ، وتتكون أراضى ميفع الزراعية من طفل رملى عبارة عن خليط من الرواسب النهرية والرمل الذى تسفيه الرياح وعلى بعد مسافة قصيرة من البحر يصبح قاع الوديان وكذلك مجارى المياه ملآنة بالصخور و... ... تسفى الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الرمل على التلال وعلى الاخص عند رأس رحيمة ورأس شهابة حيث لا تظهر إلا قممها النارية على ارتفاع ٤٠٠ ، ٥٠٠ متر ، وفى الوديان تتراكم الرمال وتشغل الكثبان الرملية مساحة قدرها ٢٠٠ فدان ولقد أثرت فى أغلب سهول ميفع فقلت الاراضى الصالحة للزراعة

عصر البليوسين (Pliocene)

فى وديان ومنخفضات الاقليم الساحلى توجد قطع مستديرة من الحجر الجيرى المتبلور وفتات الصخور النارية وهى توجد فى طبقات من العصر الجوراسى والطباشيرى والايوسين والاوليجوسين بدون توافق وفى واد صغير جنوب كنينة توجد حفريات من عصر الميوسين وهى تتكون من :

طبقـة من الحجر الجيرى الاصفر	ارتفاعها ٣ أمتار
طبقة من الاردواز الاخضر	» ٥ »
طبقة من حجر جيرى أصفر بها هذه الحفريات	» ٣ »

وهذا الحجر الجيرى الاصفر أحدث تكويناً فى طبقة الجبس التى يبلغ ارتفاعها ٦٠ متراً وتكون التل القائم شمال كنينة وفى وادى حويرة توجد تحت سطح الارض طبقة من معدن اللجنيت (Lignite) كثافتها ٣٠ مليمتراً وبها بعض القار فى حجم راحة اليد وبها حفريات من فصيلة ملانيا توبركيولا تامولر وزونيكوس . وفى وادى الحرشيات توجد طبقات من الحجر الجيرى وحبيبات دقيقة من الكوارتز والفلسبار . وفى وادى واسط عند سفح جبل شرج باسليم توجد طبقات جيرية ، وفى غرب فوه توجد مدرجات مكونة من صخور نارية كما توجد أيضاً عند ملتقى وادى واسط بوادى كلبوت . وفوق الحجر الجيرى الذى يرجع الى عصر الايوسين الوسيط سلاسل من الطبقات تبلغ كثافتها نحو ٢٠٠ متر وهى ملونة تلويناً خفيفاً وتتكون هذه الطبقات عند قاعدتها من حجر جيرى أبيض أو أصفر وحجر رملى باهت الصفرة وفى نهايتها تتكون طبقات

جبسية وطفلية تبلغ كثافتها ٥٠٠ متر وقد وجدت بعض حفريات و نظام الطبقـات من مصب النهر عند نيفع الى جول باحوّه ومنها الى كنينة ثم جبل كساى الى المكلا كما يأتى :

فى ميفع توجد طبقات من الصخر الرملى المسامى وفى نيفع تتكون الطبقـات من الحجر الجيرى وطبقـات من الاردواز الاحمر أو الاصفر والحجر الرملى الاسود ثم طبقات من عصر الميوسين مكونة من طبقات جبسية بيضاء

وفى جزْوَل طبقات مكونة من الجبس و نظام الطبقات هى كما ذكره الاستاذ العلامة لتل (O. H. Little)[١] :

طبقة من عصر البليوسين الجيرية كثافتها من ٥ الى ٣٠ متراً مربعاً

طبقة من الجبس من عصر الميوسين كثافتها من ١٠ الى ١٥ متراً مربعاً

مارل أبيض من عصر الميوسين ٣٠ متراً مربعاً

جبس أخضر أو أصفر من عصر الميوسين ٢٠ متراً مربعاً

حجر رملى داكن من عصر الاوجوسين ١٠ أمتار مربعة

جبس ٣٠ متراً مربعاً

حجر جيرى أبيض مختلط بالمارل ٣٠ متراً مربعا

---

(١) فى سنة ١٩١٩ طلبت الحكومة القعيطية اليافعية الى الحكومة المصرية أن ترسل اليها مندوبا ليعمل مساحة تفصيلية عن المنطقة الواقعة بين المكلا وحجر ويبحث عن المعادن فيها فأوفدت العالم الجيولوجي الاستاذ O. H. Little فنشر تقريراً وافياً بالانجليزية طبع فى مصر سنة ١٩٢٥

جبس عديد الالوان ٥٠ متراً مربعا

حجر جيرى أبيض من ٢٠ الى ٨٠ متراً مربعا ثم حجر جيرى من عصر الايوسين

كينة : يوجد فى شمال كينة جبس كثير يمتد مسافة عظيمة كوّن تلالا ارتفاعها ٥٠٠ متر وعلى بعد كيلو متر يوجد بقعة من الحجر الجيرى الاصفر محتوية على حفريات ترجع الى عصر الميوسين ويوجد هناك عقبة على قمتها مخروط من الجبس كثافته ٦٠ متراً على طبقة من الصخر الاصفر الاردوازى كثافتها ٥٠ متراً وفى وادى مريرة (فى حجر) يوجد حفريات ترجع الى عصر الاوليجوسين وعلى مقربة من مريرة يوجد واد يتصل بواد آخر به نماذج كثيرة من الحفريات التى ترجع الى عصر الاوليجوسين

ونظام الطبقات هو كما ذكره الاستاذ لتل :

حجر جيرى رمادى اللون	كثافته	٤٠ مترا
جبس أصفر به حجر جيرى داكن	»	١٥ مترا
حجر جيرى رمادى	»	٥ أمتار
حجر جيرى أبيض به حفريات	»	١٠ »
حجر جيرى داكن به مارل أبيض	»	١٠ »
اردواز أصفر مخطط	»	٥
طبقات اردوازية مخططة بها طبقات من الحجر الجيرى	»	١٠ »
تحجر من المارل الداكن	»	متران
حجر جيرى أبيض به ثقوب كثيرة	»	٣ أمتار

اردواز أصفر مخطط	كثافته	٥ أمتار
حجر جيرى أبيض به مارل وحفريات	»	٥ أمتار
حجر جيرى رمادى من عصر الايوسين	»	٥ أمتار

وفى جنوب وشرق الحرشيات تمتد طبقات ميوسينية بحسب النظام الآتى :

طبقات اردوازية جبسية وطفاية	كثافتها	٥ أمتار
حجر جيرى أبيض به مارل	كثافته	٥ أمتار
اردواز أبيض	»	متران
اردواز أحمر وأصفر	»	٣ أمتار
اردواز مخطط أصفر وأبيض	»	٥ أمتار
حجر رملى ناعم أحمر وأبيض	»	٥ أمتار

والى الشمال عند المستنقعات الواقعة غرب تلاّ السفلى توجد منطقة بها شبقا : كثافتها ٨٠ متراً وفى غيل باوزير توجد طبقات اردوازية صفراء وبيضاء

عصر الأيوسين (Eocene)

توجد فى المكلا مرتفعات عمودية ترتفع عن سطح الوادى الى ٥٠٠ متر وتتكون طبقاتها العليا من صخور من عصر الايوسين الوسيط تعلى بطبقة من الحجر الرملى من العصر الطباشيرى وفى بعض الاماكن التى تظهر فيها قاعدة هذه الطبقات توجد تحتها صخور نارية وفى أماكن أخرى يوجد عدم توافق إذ توجد بين الصخور الرملية والنارية طبقة

من الصخور الاردوازية بها حفريات من العصر الجوراسى . وتتكون الطبقات العليا فى جبل شرج باسليم من كتل ضخمة من الحجر الجيرى المتبلور المختلط به رخام أبيض وأحمر فوق عروق حجر جيرى رملى به عروق من الحجر الجيرى المتبلور كثافتها ١٠ مليمترات ترجع الى عصر الايوسين الحديث ويكون الحجر الجيرى الايوسين الوسيط سطح الهضاب فى الداخل وهو شديد الصلابة يقاوم الالتواء فيه عيوب كثيرة

العصر الطباشيرى (Cretaceous)

تحت الحجر الجيرى طبقات من الحجر الرملى كثافتها ٥٠٠ متر وهى ذات ألوان متباينة ولكن يغلب عليها اللون الأحمر وتوجد بينها عروق من الكوارتز ملتصقة ببعضها وقد توجد بها طبقات اردوازية محتوية على مركبات فحمية أو جبنيتية ، ونظام الطبقات هو كما ذكره الاستاذ لتل :

طبقة من الحجر الجيرى من عصر الايوسين الوسيط تتراوح كثافتها بين ١٠٠ و ٣٠٠ متر

طبقة من الحجر الرملى تتخللها عروق من الحجر الجيرى تتراوح كثافتها بين ٢ و ٢٠ مترا

طبقة أردوازية تتخللها طبقات رملية أو جبنيتية من ٥ الى ٢٥ مترا

حجر رملى به اردواز جرفته السيول من ١٠ الى ٢٠ مترا

حجر رملى صلد من ٢٠٠ الى ٥٠٠ متر

وتوجد بعض حفريات مشوهة من الطبقات الاردوازية ترجع الى

العصر الطباشيرى وتوجد حفريات فى وادى عروس وتوجد طبقات من الحجر الرملى على جانبي الوادى تكوّن جزءاً فوق سطح الطبقة الجيرية بها بعض حفريات ترجع الى العصر الطباشيرى القديم فقاعدة تلك الطبقات من العصر الطباشيرى القديم ووسطها وقمتها من العصر الطباشيرى الحديث

العصر الجوراسى (Jurassic)

على الشاطىء الجنوبى للنهر عند نيفع توجد حفريات فى منطقة يبلغ ارتفاعها ٤٠ متراً وتتكون المنطقة من صخور جيرية قائمة واردواز وصخور زيتية وشرق حصن بافردان توجد بعض حفريات جيوراسية أيضاً ترجع الى العصر اللويزيتانى وعلى بعد ٤ كيلو مترات فى ملتقى وادى عروس حفر الاستاذ العلامة لتل حفرة نصف متر فوجد فى قاعها صخور زيتية بها حفريات مشوهة ونظام طبقات هذه المنطقة هو كما ذكره الاستاذ لتل :

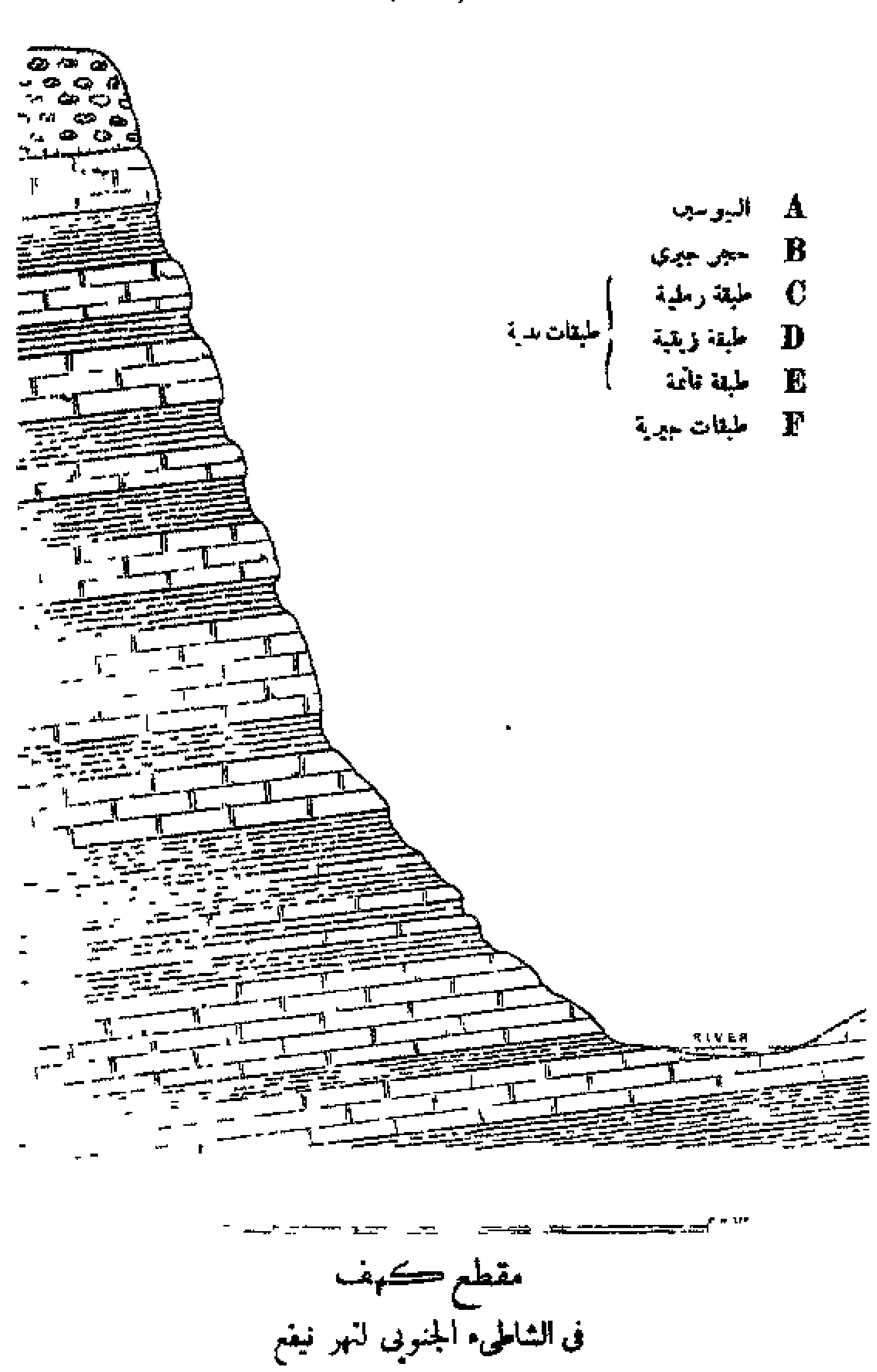
(١) طبقة من الحجر الرملى بنى مائل الى السمرة من العصر الطباشيرى كثافتها ٢٠ متراً ب (أى مربعا)

(٢) اردواز أخضر وأزرق طباشيرى كثافتها من ٢ — ٥ أمتار ب

(٣) حجر جيرى أصفر مائل للسمرة به حفريات من العصر الطباشيرى القديم كثافتها من ٣ — ٥ أمتار ب

(٤) أردواز أصفر ربما كان من العصر الجوراسى كثافتها ٢٠ مترا ب

(٥) حجر جيرى رمادى ربما كان من العصر الجوراسى كثافتها ١٠ أمتار ب



مقطع كهف

في الشاطيء الجنوبي لنهر نيفع

(٦) حجر جيرى أبيض ربما كان من العصر الجوراسى كثافته ١٠ أمتار ب
(٧) اردواز أبيض بهمارل ربما كان من العصر الجوراسى كثافته ٢٠ متراب
(٨) عروق من الحجر الجيرى الأبيض من العصر الجوراسى كثافتها ٣٠ متراب
(٩) حجر جيرى أصفر واردواز من العصر الجوراسى كثافته ٣٠ متراب
(١٠) اردواز كلس وحجر جيرى به فحم وقمته مكونة من صخور زيتية من العصر الجوراسى كثافته أكثر من ٢٠ متراب

وتشبه الطبقات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ الطبقات الجوراسية التى بالقرب من حصن باقردان وربما كانت الطبقات ٩ ، ١٠ تشبهان الصخور الزيتية فى نيفع وطبقة الحجر الجيرى التى تكون سطح المنحدر عند سفح جبل الاعلية وجبل الغبر ورأس العقبة تشبه الطبقة الجيرية التى ترجع الى العصر الطباشيرى القديم فى وادى عروس وعند رأس العقبة يبلغ ارتفاع الطبقة الجيرية ٨١٠ مترا وتفصلها عن الصخور النارية طبقة من الحجر الرملى كثافتها ٢٠ متراً وفى جبل الدعلية يبلغ ارتفاعها ٧٠٠ متر ويفصلها عن الصخور النارية طبقة من الحجر الرملى كثافتها من ٣٥ — ٥٠ متراً وطبقة من الاردواز والحجر الجيرى كثافتها من ١٠ — ٢٠ مترا وبالقرب من حصن باقردان يبلغ طبقة ارتفاعها ٤٥٠ مترا وتفصلها طبقة من الاردواز والحجر الجيرى كثافتها ١٣٠ متراً ثم طبقة من الحجر الرملى كثافتها ٢٠ مترا وعندوادى عروس يبلغ ارتفاعها ٥٠٠ متر وتفصلها طبقة من الحجر الجيرى الاردواز كثافتها ١٥٠ متراً ولكن لا يوجد بها حجر رملى

الصخور المتبلورة :

تمتد الصخور النارية المركبة فى كتل من الشاطىء الى الداخل مسافة ٤٠ كيلو متراً وقد تحتت الطبقات الجوراسية أوالطباشيرية القديمة التى تعلوها وأصبحت تكون مرتفعات منعزلة وهى تتكون من صخور حمضية نارية متداخلة فى صخور قديمة وفى بعض المنخفضات فى حوطة نخيذة على طول الوادى توجد صخور متحولة وتوجد تلال نارية الى الجنوب والغرب من بروم كما توجد صخور جرانيتية شرق النهر ويوجد الجرانيت على طول قاعدة حصن باقردان وغرب فوة وفى جبل جرز وجبل الحمار ووادى لخمة وجبل جريس وجبل عسلات وفى قاع الوادى على مقربة من تلاً العليا يوجد بارات مختلط بالبيريت المحتوى على عروق



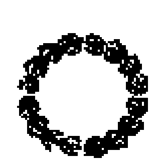
[illegible]

من الجرانيت الناعم ويتكون رأس المكلا من الدريوريت والبازلت المحتوى



« رأس المكلا »

على عروق من الجرانيت الناعم ويكون البازلت القمم الواقعة شمال شرق رأس بروم وبه بعض عروق من الجرانيت الناعم ويوجد البازلت أيضاً في عين وادي المخبر

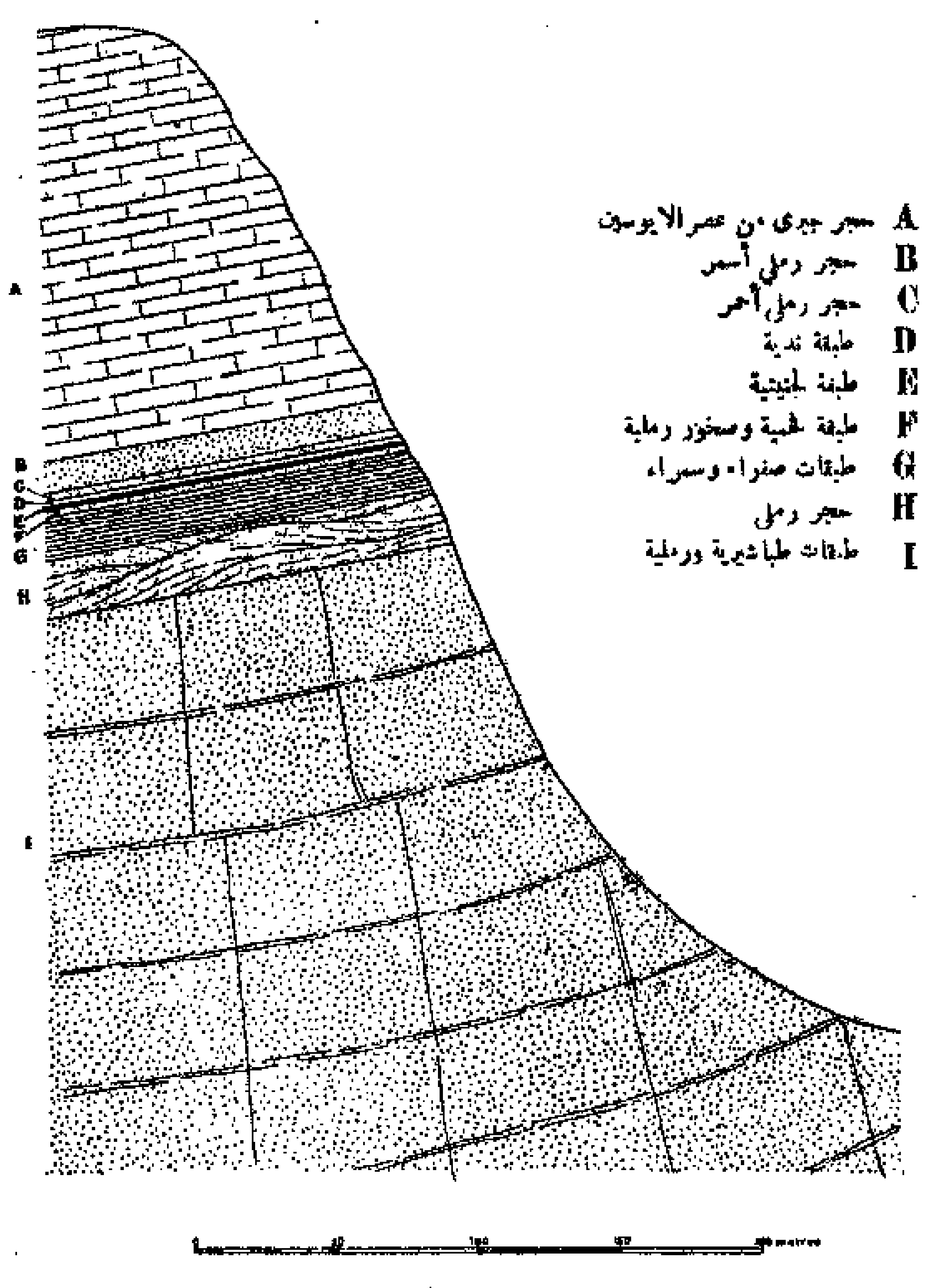


الجيولوجيا الاقتصادية Economic Geology :

يوجد فى جبال الشواطىء نحو خمسين نوعا من المعادن منها اللجنيت، الأحجار الزيتية، الكحل، القار البيريت (ويظنونه ذهباً). النحاس، ولكن بعض هذه المعادن قليل الفائدة والبعض الآخر لا يوجد منه إلا مقادير قليلة وأهم هذه المعادن معدن اللجنيت Lignite وهو فى جبل كسعى. وجبل دعاية وبالقرب من أسفل العين وتتراوح عروقه المعدنية ما بين نصف متر ومترين ويوجد أيضاً فى جبل المكلا وهو يشتعل بلهب أزرق لامع وله رائحة كبريتية ويبيض لهبه بعد ساعة ويتصاعد منه دخان ثم يصبح بعد بضع ساعات أزرق باهتاً تنبعث منه رائحة أول أكسيد الكربون ويوجد كثير منه فى أسفل العين على ارتفاع ٤٠٠ متر من سطح البحر وقد صعد الى هذه المنطقة الاستاذ لتل فوجد اللجنيت مختلطاً مع غيره من المواد الغريبة وإليك عدد الطبقات التى ذكرها :

طبقة من الحجر الجيرى من عصر الايوسين المتوسط كثافتها ١٥٠ متراً
« من الحجر الرملى الاحمر الداكن « ٢٠ «
« « « « الصلب « ٣ أمتار
« اردوازية صفراء قاتمة « ٣ أمتار
« من الطفل الازرق الرطب بها عروق الشب كثافتها ١١٠ سنتمترات
« من اللجنيت كثافتها من ٣٥ — ٥٠ سنتمترا
« من الحجر الرملى الرطب من العصر الفحمى كثافتها ١٠ سنتمترات

(١٧)



طبقات جلنيتية

في كهف بأسفل العين

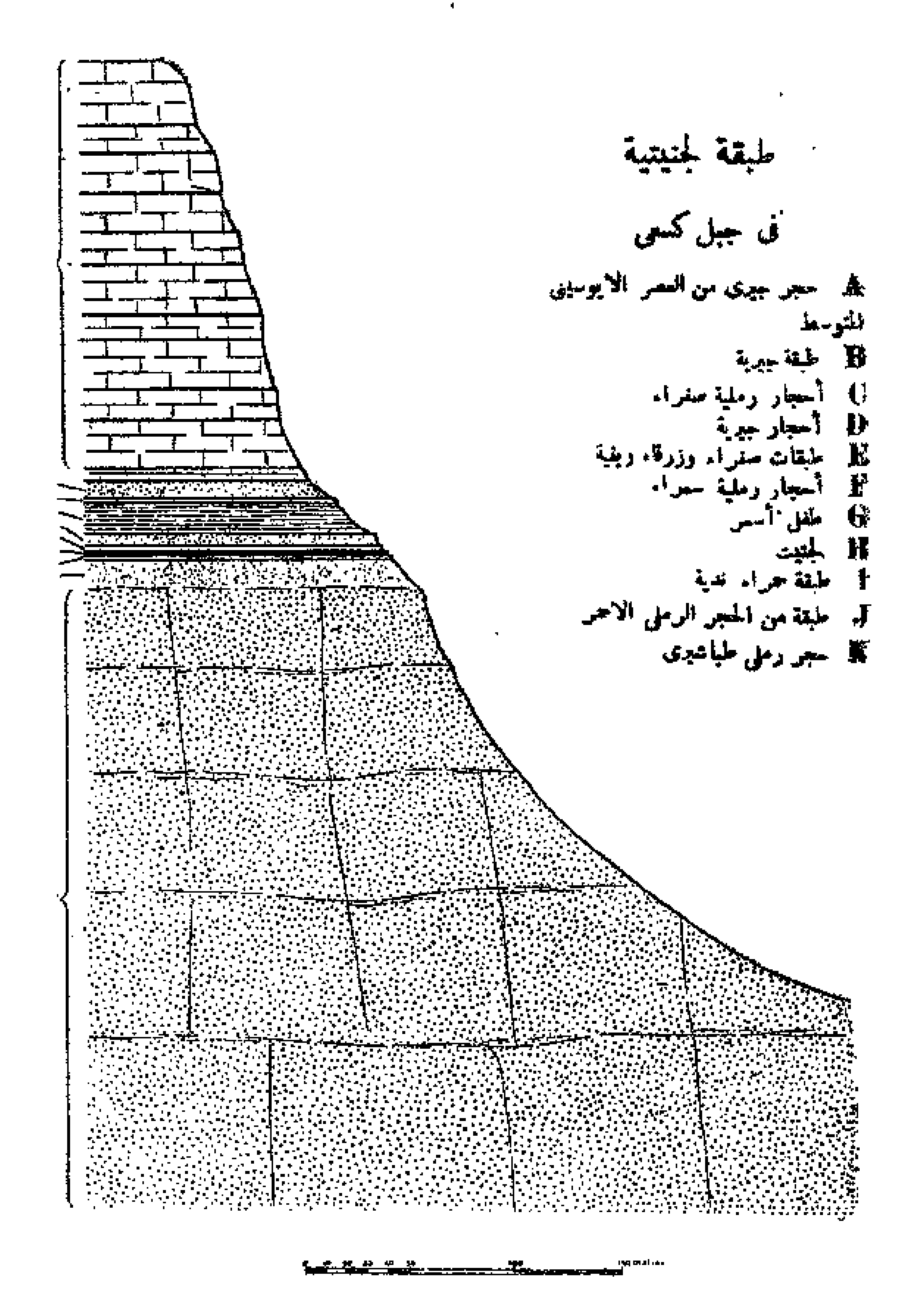
طبقة من الحجر الرملي الرطب من العصر الفحمي في أعلاها عروق من البيريت الحديد كثافتها متران

قشور صخرية صفراء وزرقاء ورمادية كثافتها ١٥ متراً

صخر رملي كثافته ٢٠ متراً

قمة عالية من الحجر الرملي الصلب كثافتها ٢٠٠ متر

أما في جبل كسعي فيوجد في منطقة ترتفع ١٥٣٠ متراً عن سطح البحر وهذه المنطقة مكونة من لجنيت أسود كثافته متر ونصف وبه عروق من الجبس والشب الاصفر والابيض وبعض بقايا نباتية وهو يقع فوق طبقة كثافتها نصف متر من حجر الصابون غير النقي وفوقها طبقة كثافتها متر ونصف من الطفل الازرق ولقد بعث السلطان المرحوم غالب ابن عوض القعيطي في سنة ١٩١٩ بعض عبيده الى جبل كسعي وأسفل العين ليبحثوا عن تلك المعادن الثمينة ولكن لم يكن بينهم خبير بعلم الجيولوجيا فعادوا الى المكلا بنماذج قليلة ويوجد اللجنيت أيضاً في جبل الدعلية كثافته يتراوح بين متر ومترين وهو أسمر قاتم ولكن سطحه لامع وهو صلب متماسك ويحصل على عمق ٣٠ متراً وتغطيه طبقة من القار ، وبالقرب من تلا العليا توجد طبقة من اللجنيت كثافتها ٢٥ سنتيمترا قليلة الامتداد بين طبقات من الرمل ، وفي غرب قرية السبيخات توجد منه مقادير وافرة ، وبالقرب من البقرين على بعد ٢٠٠ متر غربي صهريج المكلا يوجد اللجنيت في طبقات التوائية وهي مقسمة الى كتل يفصلها طفل أزرق ندى وعلى بعد كيلو متر غرب كابوت توجد تحت الطبقات


طبقة جنيتية
فى جبل كسى
A حجر جيرى من العصر الايوسينى المتوسط
B طبقة جيرية
C أحجار رملية صفراء
D أحجار جيرية
E طبقات صفراء وزرقاء رملية
F أحجار رملية سمراء
G طفل أسمر
H جنيت
I طبقة حمراء ندية
J طبقة من الحجر الرملى الاحمر
K حجر رملى طباشيرى

الجيرية سلاسل من القشور المعدنية بها بقايا فحمية وطبقتان من اللجنيت وعلى بعد كيلو مترين غربا تظهر سلاسل اردوازية وعرقان من البقايا الفحمية ، وعلى مقربة من قرية عدود توجد طبقة مكونة من الاردواز الفحمي وكثافتها من ٤٠ ـ ٥٠ سنتمترا وفوقها طبقة زرقاء بها عروق من الجبس ، وفي وادي حويرة بالقرب من غيل باوزير توجد طبقة من اللجنيت مختلطاً بالقار والجبس

الطبقات المحتوية على الزيت : (Oil Shales)

في نيفع وفي وادي عروس توجد بقاع بها صخور محتوية على الزيت وقد اختبر نموذجاً منها الاستاذ لتل فوجدها مكونة من المواد الآتية :



« وادي عروس »

٢ و ١ ٪ ماء

٨ و ١٤ ٪ كربونات

٢ و ٤ ٪ من المواد القابلة للاشتعال

٨ و ٠ ٪ كربون نقى

٧٩ ٪ رماد

واختبر عينة أخرى من وادى عروس فوجدها تحتوى على المواد الآتية :

٦ و ٠ ٪ ماء

١٦ ٪ كربونات أو ثانى أكسيد الكربون

١٠ ٪ من المواد القابلة للاشتعال

٢ و ٣ ٪ كربون

١ و ٧٢٠ ٪ رماد

وفى جبل الدعلية يسيل القار من الشقوق من الطبقة العليا التى تغطى اللجنيت وعلى بعد ١٢٠ كيلومترا من المكلا توجد صخرة كبيرة يسيل منها القار والأسفلت

وفى الصدارة يوجد حجر جيرى مختلط بطفل يدل على وجود الزيت

معدن الراتينج (Resin)

يوجد هذا المعدن فى طبقات اللجنيت فى تلا العليا والسبيخات وبين كلبوت ومزينب ويختلف لونه بين أصفر باهت وأحمر قاتم وهو يوجد مع القار أو مع قشور اللجنيت ولا يذوب فى الكلوروفورم

الملح الصخرى (Roek Salt)

يوجد منه جبل بأكمله فى الصدارة بلورى اللون به بعض القار

القار والحجر الرملى القارى Bitumen and Bituminous Sandstone

يوجد فى الصدارة وقد حلل عينة منه الاستاذ لتل فوجدها تحتوى على النسبة المئوية الآتية:

٩٦ ٪ من القار القابل للذوبان

٧و٣ ٪ من الكربون

٣ ٪ من بقايا معدنية مكونة من بترول متأكسد

وحلل الاستاذ لتل عينة أخرى فوجدها كما يأتي:

١و١٩ ٪ من القار

٤ و ١٠ ٪ من الكربون

٥و٧٩ ٪ من بقايا معدنية وهذه تحتوى على:

٨و٨٠ ٪ من السليكا

٢و١٩ ٪ من أكاسيد الحديد والايومينوم والمنجنيز ، وهذا يدل على أن هناك بترولاً

نترات البوتاسيوم (Potassium Nitrate)

فى الغرغر على مقربة من مزيذب عند سفح جبل السكيدة توجد نترات البوتاسيوم تحت طبقة من الطفل الاحمر الضارب للسمرة كثافتها متر ، حلل عينة منها الاستاذ لتل O. H. Little فوجدها تحتوى على المواد الآتية:

٩٧ ٪ من نترات البوتاسيوم

٣ ٪ من الكبريت والكلور

والبدو هناك يستعينون به لعمل البارود وذلك بأن يأخذوا رطلين منه ويذيبوها في الماء ثم يعرضوها لحرارة الشمس ليتبخرا ثم يستعملون المادة المتخلفة لعمل البارود

الهماتيت (حجر الدم) (Hoematite)

يوجد هذا المعدن في رأس العقبة وفي جبل سقيفة مختلطا بالميكا على هيئة عروق في الصخور النارية ، وقد حلل عينة منه الاستاذ لتل O. H. Little فوجدها تحتوي على اكسيد الحديد والسليكا والكربون والنحاس ونسبة الحديد فيها ٧٦و٥٣ ٪ واختبر عينة أخرى من جبل الدعاية فوجدها تحتوي ٨و٤٤ ٪ من الحديد ٦ ٧و٥ . ٪ من النحاس وعينة ثالثة من جبل سقيفة فوجدها تحتوي على ٨٨و١٣ ٪ من الحديد و ٢٦و١ ٪ من النحاس

المنجنيز (Manganese)

يوجد ثاني أكسيد المنجنيز في وادي القم وفي جبل يكور بالقرب من جزول مختلطا بالحديد ، وهو يحتوي على ٦ و ٧٤ . ٠ من ثاني اكسيد المنجنيز

الشب : (Alum)

يوجد بكثرة في طبقات من اللجنيت متحللا ومتبلورا ذا ألوان ويحتوي على كبريتات الحديد والصودا والمغنسيوم

البوكسيت : (Bauxite)

يوجد هذا المعدن فى جبل عُرنوف الديك كثافته متر ولونه أبيض وهو إما مسحوق وإما كتل هشة وهو يحتوى على ٤٦ ٪ من الاليومينا وبه كميات من الحديد والجير والمغنسيوم والبوتاسيوم والسليكا

الحجر الجيرى والرخام : (Limestone and Marble)

يوجد فى جبل القارة وشرج باسليم رخام أبيض أو داكن مشوب بحمرة

الجبس والانهيدريت : (Gypsum and Anhydrite)

يوجد الجبس والانهيدريت فى مناطق كثيرة أهمها فى كينة

حجر الصابون : (Soapstone)

يوجد بكثرة فى جبل القارة ويوجد فى طبقة محصورة بين طبقتين من الحجر الجيرى وكثافته ٣٠ سنتمترا وعند استخراجه يكون ناعم الملمس ذا لون أخضر باهت وكلما مضت عليه مدة من الزمن زادت صلابته وبهت لونه واذا وضع فى الماء يذوب ويتحلل ويزداد حجمه الى الضعف وهو يباع فى سوق المكلا كمطهر . وقد حلل الاستاذ لتل O. H. Little عينة منه فوجده يحتوى على النسب المئوية الآتية :

٦ و٥٣ ٪ من السليكا

٦ و٢١ ٪ من الاليومينا

٦ و١ ٪ من أكسيد الحديد

٤ و ٢ ٪ جير

٨٧ و ١ ٪ منجنيز

٩٣ و ١٨ ٪ مواد عضوية وماء

ويوجد هذا المعدن أيضاً فى جبل كسى تحت اللجنيت ويمتاز عن الاول بصفات فهو لين وعند مايجف يصبح ناعم الملمس واذا أمررته على قماش أو ورق لونه ويتحلل ببطء فى الماء دون أن يزيد حجمه

التاريخ الجيولوجى Geological History :

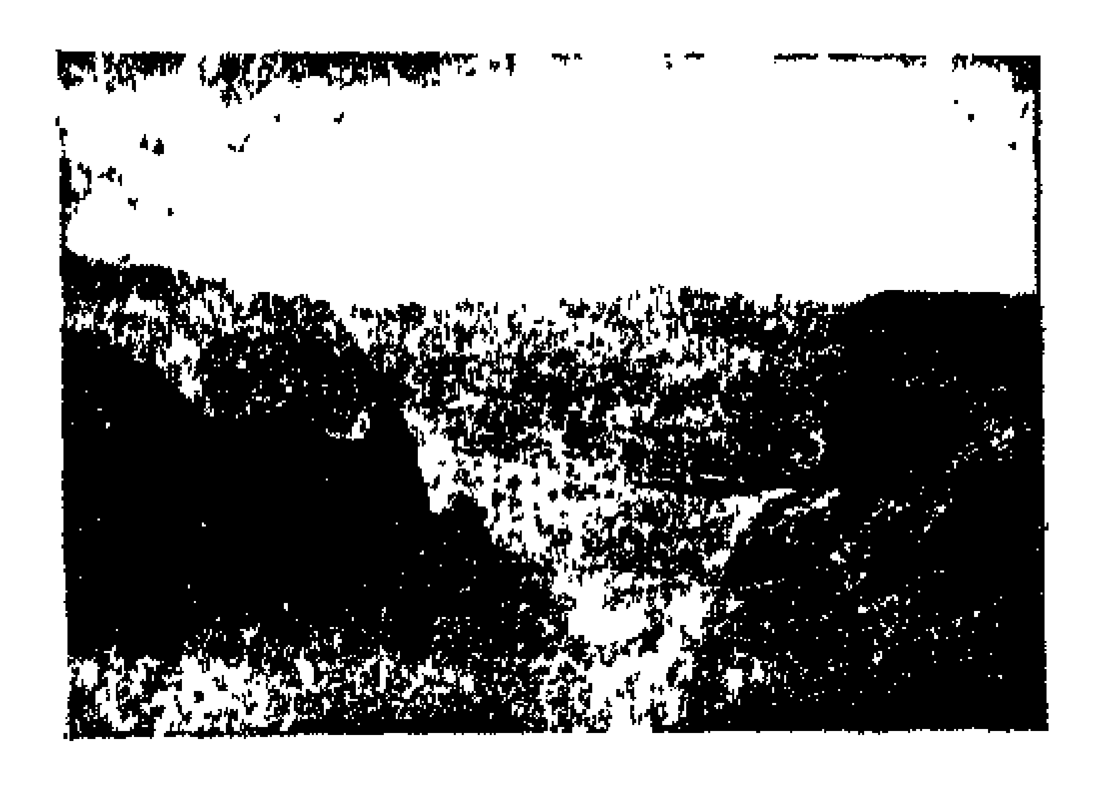
لخص العالم الجيولوجى الاستاذ لتل O. H. Little تاريخ إقليم الشواطىء الجيولوجى فى صفحتين بالانجليزية ، وهذه خلاصة الترجمة : « ترجع الصخور التى لاتحتوى على حفريات الى العصر الاركى ، وكانت تكوّن السطح ثم نحتت وتحولت الى سهول فى العصر الجوراسى القديم ثم طغى عليها الماء تدريجياً تخلف عليها طبقة من الحجر الرملى والاصداف قبل أن تتكون الصخور الجيرية فى العصر الجوراسى الوسيط والى شرق حصن بافردان تحتوى هذه الصخور الجيرية على حفريات حيوانية تعيش فى البحار الضحلة ولهذا يظن أن الحد الشرقى للمسافة التى طغى عليها البحر كان عند جبل الدعلية والى شرق هذه المنطقة توجد طبقة صغيرة ربما كانت فى العصر الجوراسى وبعض صخور جيرية فى وادى ريزبات ولا يعرف الحد الشمالى للمساحة التى طغى عليها البحر لعدم وجود حفريات جوراسية جنوب العيب الواقع قرب كنينة وفى هذا العيب توجد

طبقات من العصر الطباشيرى القديم . ولما كانت الصخور النارية معدومة فى هذه المنطقة فمن المستحيل تحديد هـذا البحر الجوراسى من الشمال واذا كنت لم أجد مايدل على أنه كان يمتد شمال جبل مكمب أو الكار فانى استنتجت أن عمقه أخذ يزداد نحو الجنوب والجنوب الغربى حتى نيفا ووادى عروس ، ويدل تناقص كثافة الطبقات التى تقع بين الحجر الجيرى من العصر الطباشيرى القديم وبين الصخور النارية كلمـا اتجهنا شمالا على أن البحر أخذ ينحسر فى العصر الجوراسى والطباشيرى القديم بينما أخذت الصخور الجيرية والجوراسية الصلدة ترسب على كل السطح ثم أخذ اللجنيت يتكون فى مستنقعات فى العصر الطباشيرى الحديث أو الايوسين القديم ثم تلت ذلك فترة أخذ البحر يتذبذب فيها ثم غمر المنطقة كلها بماء عميق رسبت فيه الصخور الجيرية الايوسينية وأخذ البحر يعلو تدريجاً ثم أخذ ينحسر وفى فترة تكونت فيها الصخور الجيرية المحتوية على المارل فى عصر الاوليجوسين ثم أخذ يتذبذب ، وتحصـل عـدة التواءات بسيطة فى عصر الاوليجوسين وطوال عصر الميوسين ، وربما كان تكوين السلسلة الجبلية الرئيسية الموازية للساحل راجعاً الى هذا العصر وفيه تكونت برك أرسبت فيها الصخور الجبسية ثم تلت ذلك مدة من الارتفاع والانحسار والتذبذب رجعت فيها هذه البرك فتكونت منها منخفضات جزول وجول باحوء وكتينة وفى عصر البليوسين ظهرت العيوب ، والى الجنوب الشرقى من الالتواء تكونت عدة أحواض أحدها تقع فيه نيفع وميفع والآخر يمتد فى فوة

مخترقاً المكلا الى الحرشيات وثالث صغير حول الريشة ؛ وفى عصر البليوسين ولو أن الشواهد على ما حدث فيه قليلة حصلت حركات هامة فى القشرة الارضية فتكونت التوءات أخرى عمودية على الالتواءات القديمة وظهرت عيوب ثم بدأت السيول تنحت هذه المرتفعات وترسب ماحملته منها فى بحيرات صغيرة ومنذ عصر البليتوسين أخذت الارض ترتفع مكونة شاطىء المكلا المرتفع ومن رأس الكلب الى رأس المكلا يتجه الشاطىء اتجاهاً شماليا شرقياً وأعلى نقطة فيه الآن عبارة عن هضبة منقطعة يظهر أنها تكونت من التواء مسطح فى مواز للشاطىء مخترقاظلم باطالب وجبل عرنوف الديك والقار وجبل الجوف وجبل محطة وقد نحتت خطوط تقسيم المياه الحالية نحو الشمال الشرق والجنوب الغربى بواسطة مجار مائية ويجرى النهر الآن فى الاخدود الوحيد

وهذا يدل على أنه إما أنه كان موجوداً قبل تكوين المرتفع أو أن هذا كان فى الجنوب الشرق من المرتفع أثر منابع نهر آخر كان على الجانب الآخر للمرتفع ويرجح حدود المرتفع الذى يتصل به من وادى مزربه وبين كنينة ويوان كان يجرى فى واد قديم ونحت فيه خانقا يبلغ عمقه الآن من ٢٠٠ الى ٤٠٠ متر واتساعه من ١٠٠ الى ٢٠٠ متر . وقبل أن يظهر العيب الموجود الآن جنوب كنينة كان فى مجراه مرتفعا عنه الآن فى الصخور الجيرية ومن المحتمل أنه كان يسير رأسا من كنينة عبر جبل نعمان وجول باحوة ولما كانت الطبقات البليوسينية موجودة فى هذا العيب فاذا كان هذا الفرض صحيحا فان الفرع لم يتحول

الى وادى مزربد حتى الى عصر البليوسين الحديث .



« جول باحوه »

وفى عصر الميوسين حصلت عدة التواءات مصحوبة بعيوب فأخذت الصخور الرملية والجيرية ترتفع مكونة هضابا ولكن أم الحركات الأرضية حدثت فى عصر البليوسين مكونة معظم الالتواءات والعيوب الحالية ومنها ماينحدر تدريجيا الى البحر ومعظمها يتجه اتجاه شرقيا غربيا وأقلها يتجه نحو الجنوب الشرقى وقد نجمت المرتفعات والكتل المنعزلة عن تعرية الهضبة ويظهر أن جبل شحورة قد نتج عن عيوب مدرجة ولكنى لست متحققا من ذلك وقد وجدت طبقات جنيتية فى عيب عند سفح المرتفع فى تلا العليا وفى السبيخات ولكن هذا

العيب لم يمتد الى الغرب على طول سفح جبل شحورة لأنه من المحتمل أن عيباً آخر تقاطع معه كان يسير فى النهاية الغربية لجبل شرج باسليم الى غرب الحوطة وربما كان رأس قرن الفيل ناجماً عن هذا العيب الآخر الذى كون حوضا رسبت فيه الصخور الميوسينية حول الديشة وينحدر السهل المكون من الصخور النارية عند رأس العقبة نحو الجنوب الشرقى وقد ظهرت هذه العيوب فى نهاية عصر الأيوسين لأن طبقات عصر الاوليجوسين والميوسين قد رسبت حول المرتفع وعندما ارتفعت الارض ثانية فى عصر الميوسين الحديث أو البليوسين القديم نحت وادى يوان فى هذه الطبقات الميوسينية والاوليجوسينية » اه



نظرة عامة فى تاريخ حضرموت

قبل الاسـلام

قديماً كانت حضرموت تسمى الأحقاف ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ . وانما سميت حضرموت لسبب ذكره بعض المؤرخين ذلك أن عامر بن قحطان أول من نزل الاحقاف فكان اذا حضر حرباً أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره حضر موت ثم صار ذلك عليه لقباً وصاروا يقولون للأرض التى بها قبيلته هـذه أرض حضرموت ثم أطلق على البلاد نفسها . وفى التوراة اسم حضرموت حاضرميت . ولقد كانت حضرموت موطن عاد وأقيال التبابعة وملوك حمير وكندة

عاد

هم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام ، وكان أبوهم أول من ملك فى العرب وطال عمره وكثر ولده . ولما مات ملك بعده أبناؤه الثلاثة شدّاد وهو الذى وطىء الممالك واستولى على الشام والهند والعراق وبعده شديد وبعده إرم وهو الذى بنى إرم كما ذكره ابن سعيد عن البيهقى وقيل شداد بانى إرم . قال بعض المؤرخين : إنه لما سمع إرم أو سداد بالجنة وما فيها من النعيم وقصور الذهب والفضة بنى مدينة إرم فى حضرموت . وقيل فى صحارى عدن

وشيدها بصخور الذهب وأساطين اليـاقوت والزبرجد والعقيق وجعل ترابهـا المسك والزعفران وأجرى من تحتها السواق والانهـار ونصب على حافة تلك السواق والأنهـار أشجاراً من الذهب ثمرها اليواقيت والجواهر وسورها بسور رفيع من الذهب والفضة . قيل انه مكث فى بنائها مدة طويلة ثم بعث الله اليه هوداً عليه السلام فلم يؤمن به وأنذره بالعـذاب الأليم فلم يبال بتهديده ولا بوعيده ولم يرتدع عما كان عليه من الطغيان والكبرياء فخرج فى ثلاثمائة الف رجل من حرسه ومواليه وعبيدهم وسار الى جنته التى بناها وخلف على ملكه ابنه مَرْثَد وكان مرثد فيما يقال مؤمناً بهود عليه السلام فلما قرب شداد من المدينة جاءت صيحة من السماء فمات هو ورجاله وساخت المدينة فى الارض فلم يدخلها أحد وقيل دخلها رجل يقال له عبـد الله بن قلابة فى أيام معاوية بن أبى سفيان قال انه خرج من صنعاء باحثـاً عن إبل له ضلت فأفضى به السير الى مدينة صفتها كما ذكرنا آنفا وأخذ منهـا شيئاً من المسك والكافور والياقوت وذهب الى معـاويه بالشام وأخبره بذلك . والحكاية طويلة وليس لها حظ من الصحة وإنما هى من الأخبار المنمقة المصطنعة . ويقال أنهم وقفوا على حفيرة بحضرموت فاذا باب فى الجبل منقور ١٠٠ ذراع فى ٤٠ وفى صـدره سريران عظيمان من ذهب على أحدهما رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح مكتوب فيه:

اعتبر يا أيهـا المغـ ـرور بالعمر المـديد
أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد

وأخو القوة والبأ س وذو الملك الحشيد
دان أهل الارض طرا لى من خوف وعيدى
فأتى هود وكنا فى ضلال قبل هود
فدعانا لواجبنا ه الى الامر الرشيد
فعصيناه وناديـ ـنا ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تهـ وى من الافق البعيد

وهذه القصة أيضاً غير صحيحة ويقول ياقوت أنهما من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعهم المزوقة . ويقول الزمخشرى ان أرم بلد منه الاسكندرية

وقال آخرون معنى ارم الهالك فقد روى عن ابن عباس ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم يعنى بالارم الهالك . وعن عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بعاد ارم يعنى الهالك ألاترى أنك تقول ارم بنو فلان أى هلكوا . وقال الطبرى بعد إيراد الخلافات « وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندى أنها اسم قبيلة من عاد ولذلك جاء فى القرآن بترك إضافة عاد اليها وترك اجرائها كما يقال ألم تر مافعل ربك بتميم نهشل وهي قبيلة فترك اجراؤها لذلك وهى فى موضع خفض بالرد على تميم ولو كانت ارم اسم بلدة أو اسم جد لعادلجاءت القراءة باضافة عاد اليها وترك اجراؤها كما يقال هذا عمر وزيد ، حاتم طئ وأعشى همدان ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى كما قال قتادة والله أعلم »

وقوله تعالى (ذات العماد) اختلف فيه فقال بعضهم معناه ذات

الطول والعرب تقول للطويل هـذا رجل معمد وقيل معنى ذات العماد أنهم كانوا أهل عمـد ينتجعون الغيوث وينتقلون الى الكلأ حيث كان وقال الطبرى « وأشبه الأقوال فى ذلك مادل عليه ظاهر التنزيل قول من قال عنى بذلك أنهم كانوا أهـل عمود سيارة لأن المعروف فى كلام العرب من العماد ماعمد به الخيام من الخشب والسوارى التى يحمل عليها البناء ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح . وقال وأما قوله لم يخلق مثلها أى فى البطش والقوة . نقول هذا هو الصحيح فان عاداً كانت على جانب عظيم من العظمة والكبرياء والجبروت لم يخلق فى العالم فى عصرهم شعب مثلهم فى القوة والكبرياء والسلطان ولما دعاهم هود عليه السلام لعبادة الله لم يتبعوه وأنذرهم بالعذاب وحذرهم وخوفهم زوال ملكهم فلم يرتدعوا عما كانوا عليه لغرورهم وكبريائهم فأرسلت الصيحـة من السماء (غضب الله) فأهلكتهم وأبادت قوتهم وعظمتهم . وقال الطبرى بعـد ايراد الخلافات « وأشبه الاقوال فيه بالصواب عنـدى أنها اسم قبيلة من عاد ولذلك جاء القرآن بترك إضافة عاد اليها وترك اجرائها كما يقـال ألم تر مافعل ربك بتميم نهشل وهى قبيلة فترك اجراؤها لذلك وهى فى موضع خفض ولو كانت ارم اسم بلدة أو اسم جد لعاد لجاءت القراءة باضافة عاد اليها وترك اجرائها كما يقال هذا عمرو زبيد وحاتم طىء وأعشى همدان ولكنها اسم قبيـلة منها فيما أرى كما قال قتادة والله أعلم » ويقول ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه « والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها ارم وانما هذا من خرافات القصاص وإنمـا ينقله ضعفاء المفسرين وارم المذكورة فى قوله تعالى « ارم ذات العماد » القبيلة لا البلد

الاقيال

كانت حضرموت منذ العصور الواغلة فى القدم تنقسم الى امارات صغرى أو أقيال جمع (قَيْل) والقيل هو الامير يسكن حصنا أو قلعة ومن حوله بيوت الانصار والاعوان والحاشية والخدم وكذلك الشأن فى اليمن فانها كانت تنقسم الى محافد والمحفد مجموعة من البيوت أو القرى المتجاورة يتولى شئونها أمير أو قيلٌ وكان هؤلاء الاقيال أشبه بالاشراف فى عهد الأقطاع فى القرون الوسطى باوروبا . وفى حضرموت أقيال كثيرون ولكن أشهرهم كان فى دمون وشبام وهينن والعروض وعندل والشحر ويعرف أصحاب المحافد بالأذواء جمع ذو أى صاحب . وقد جمع الحميَرى أسماءهم فى قصيدته الآتية :

أين المثامنة الملوك وملكهم ... ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو تعلبان وذو خليل ثم ذو ... شجر وذو جدن وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جرفز ... ولقد محا ذا عثكلان ماح
أو ذو مرانذجد ناالقيل ابن ذى ... شجر أبو الادواء رحب الساح
وبنوه ذو فين وذو سفر وذو ... عمران أهل مكارم وسماح
والقيل ذو ريسان من أبنائه ... راح الحمـــام اليه بالرواح
أو أين ذو الرحبين أو ذو يرحم ... سقيا بكأس للمنون ذباح
ثم أين ذو سهر وذو يزن وذو ... نوس وذو نوح وذو الانواح
ثم أين ذو فيقان أو ذو أصبح ... لم ينج بالامساء والاصباح

أم أين ذو الشمبين أصبح صدعه　　لم يلتئم لمثقف الاقداح
أو ذو حوال حيل دون مرامه　　أو ذو رعين لم يفز بفلاح
أم أين ذو غمدان أو ذو فائش
أو ذو الكناس وذو الكلاع و يحصب　　أضحوا وهم للنائبات أضاحى
أم أين ذو فنان أو ذو أقرع　　أو ذو الجناح هزبر كل كفاح
أو ذو العبير وذو ذرانح خانه　　دهر بعيد السمر كالذلاح
أم أين ذو يبنين أم ذو أنمر　　وبنو شراحيل وآل شراح
أم أين ذو وناب وذوهكروذو　　نمر وذو ضر وذو المسراح
أم أين ذو غيمان أوذو شودن الـ　　لاهى ببيض فى النساء ملاح
أم أين ذو شهران أو ذو ماور　　أضحت ديارهم بلا قداح
أم أين ذو فهد وشمال ابنه　　فلقد عفاهم دهرهم بمتاح
أم أين ذو شحط وذو تبع معاً　　أو ذو ملاح لهو خير ملاح
أم أين ذو أوسان أو ذو ماذن　　أم أين ذو التيجان والأبراح
وعياهل من حضر موت من بنى　　أجماد ذى الاشبال آل صباح
والغر من جدن وأبنا مرة　　وبنى شبيب والألى من ناح
وبنى الهزيل وآل فهد منهم　　من كل هش بالندى مرتاح

وكانوا يتغازون ويتنازعون يهجم القوى على من دونه فيتغلب عليه ويستولى على أملاكه فاذا امتدت سلطته واتسع نفوذه وطار صيته كون مملكة وسمى نفسه ملكا . وعلى هذه الكيفية تكونت الممالك ، ونشأت الدول فى جزيرة العرب

الدولة الحميرية

Homeritae

من سنة ١١٥ ق م — ٥٢٥ ب م

كان الحِمْيَريون يقيمون فى ريدان (ظفار) ولما ضعفت دولة السبائيين Sabaei تغلب عليها الحميريون واستولوا عليها وحكموا ريدان وسبأ معاً ثم طمع الحميريون فى حضرموت فاستولوا عليها فى عهد شَمِر يرعش ، وتنقسم الدولة الحميرية الى دورين فأصحاب الدور الاول كانوا يحكمون ريدان وسبأ وهؤلاء لايهمنا ذكرهم . والثانى : وعددهم ١٣ ملكا حكموا سبأ وحضرموت وظفار التى صارت وقتئذ تابعة لحضرموت ومن أعمالها وهذه أسماؤهم ومدة حكمهم من سنة ٢٧٥ — ٥٢٥ م :

اسم الملك	مدة الحكم
شَمِر يرعش	٢٥
ذو القرنين أو افريقس	٢٠
عمرو زوج بلقيس	١
بلقيس وتسمى الفارعة	١٥
الهدهاد أخوها	٢٩
ملكيكرب يو ينعم	١١
أبو كرب أسعد بن ملكيكرب	٣٥

اسم الملك	مدة الحكم
حسان بن أسعد	٥
شرحبيل يعفر بن أسعد	٣٠
شرحبيل ينوف	١٥
معدي كرب ينعم وابنه لحيعة	٢٥
مرثد اللات ينوف	٢٠
ذو نواس	١٠

هذا ما ذكره اليونانيون وتأيد بعضه بما وجد منقوشاً على بعض الآثار[١] ولكن تعدادهم هذا لم يكن مقطوعا به فلا ينهض حجة في الموضوع اذ ربما كان هناك أسماء ملوك آخرين لم يقفوا عليها في الآثار التي لا تزال مدفونة في الرمال وفي بطون الأودية والجبال . أما العرب فقد خالفوا ما ذكره هؤلاء من بعض الوجوه فقالوا : إن عدد ملوك حمير الذين حكموا حضرموت ٢٦ ومدة حكمهم ١٧٠٠ . وهذه أسماؤهم ومدة حكمهم :

اسم الملك	مدة الحكم
الحارث الرائش	١٢٥
أبرهة ذو المنار	١٨٣

(١) بلغ عدد الآثار التي اكتشفت من جنوب بلاد العرب نحو ١٥٦٠ نقشاً وأشهر أولئك المكتشفين ادوردغلازر و يوسف هاليفي و يوليوس أويتن و توماس ارنو

اسم الملك	مدة الحكم	اسم الملك	مدة الحكم
أفريقس بن أبرهة	١٦٤	حسان بن تبع	٧٠
العبد ذو الاذعار	٢٥	عمرو بن تبع	٦٣
هداد بن شراحيل	٧٥	عبيد كلال	٧٤
بلقيس بنت هداد	٢٠	تبع بن حسان	٧٨
ناشر ينعم	٨٥	مرثد بن عبيد	٤١
شمر يرعش	٣٧	وليعة بن مرثد	٣٧
أبو مالك	٥٥	أبرهة بن الصباح	٠٠
تبع بن الأقرن	٥٣	أصبهان بن محرث	١٥
ذو جيشان	٧٠	حسان بن عمرو بن تبع	٥٧
الاقرن بن أبي مالك	١٦٣	ذو شناتر	٧٢
كليكرب	٣٥	ذو نواس	٢٠
أسعد أبو كرب	١٢٠	ذو جدن	٨

ومما دونته التواريخ وحفظته بطون الأوراق أن دولة حمير دولة قوة وفتح وحضارة ومدنية ، فشمر أبو كرب أول ملك حميري حضري اخترق بجيشه شمال الجزيرة العربية وغزا العراق وفارس واحتل مدينة الصغد وراء جيحون ، وهنـاك بنى مدينة شمركنت التي عربت فقيل سمرقند . ومن مشاهيرهم افريقس فقد اخترق شمال أفريقية وفتح المغرب ونقل قبائل عربية اليها ، ومنهم أسعد أبو كرب وطيء أرض أذربيجان

واحتلها وحارب الترك وبعث ابنه حساناً الى الصغد وابنه جعفراً الى القسطنطينية والروم فقدم له أهل القسطنطينية الجزية وسار الى دومة وحصرها فأصيب بعض عسكره بالطاعون فاستضعفهم الروم وحاربوهم فقتلوهم جميعاً ، وأرسل ابن أخيه شمر ذا الجناح الى الفرس فهزمهم وغزا الصين فوجد حساناً قد سبقه اليها فغلبا الصين وانصرفا بما معهما من الغنائم العظيمة ، وقيل ان قوماً من الحميريين أعجبتهم بلاد الصين فاستوطنوها واندمجوا فى أهلها وتخلقوا بأخلاقهم . وفى سنة ٣٤٥ م غزا الاحباش الحميريين واستولوا على اليمن وحكموها سنة ٣٧٤ ، ولكن حضرموت لم تدخل فى حكمهم ولم تخضع لسلطتهم سواء في أيام العلى اسكندى أو فى عهد ولديه عيزاناس وسازاناس فهى حافظت على استقلالها وفى أواخر سنة ٣٧٠ م استرد اليمن ملكيكرب وفى القرن السادس غزا نجران ذونواس ويسميه اليونانيون دميانوس وكانت النصرانية قد انتشرت فيها وكان هو متعصباً لليهودية فاستولى عليها وعرض على أهلها اليهودية فامتنعوا فوضعهم فى أخاديد وأحرقهم وهدم بيعهم ، ولما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة أرسل سبعين ألفاً تحت قيادة أرباط الى اليمن وأثخنوا فى القتل وفر ذو نواس خوفاً من الأسر وأقحم فرسه البحر فمضى به فرسه وغرق واحتل أرباط اليمن وهدم الحصون وبعث بالسبي الى ملك الحبشة رجالا ونساء وأطفالا ، وكانت مدة حكمهم ٧٤ سنة منها ٢٠ سنة لارباط و٢٣ لابرهة و١٩ ليكسوم و١٢ لمسروق وفى كل عهود هؤلاء الملوك حفظت حضرموت على استقلالها ولم تخضع لهم فى أى

شأن من شؤنها الداخلية أو الخارجية كما حافظت على استقلالها فى عهد استيلاء الفرس على اليمن [1]

نظام الدولة الحميرية السياسى والاجتماعى

كان نظام حكم الحميريين فى حضرموت يخالف فى بعض نواحيه نظام حكمهم فى اليمن ، فالحكومة فى اليمن وراثية تنتقل الى الابناء أو الاخوة أما فى حضرموت فان الملك ينتقل الى أول مولود من الاشراف والنبلاء (العائلة الملكية) ولد فى أثناء حكمه فعند الاحتفال بتولية الملك يرفع اليه خاصته قائمة بأسماء النبيلات الحوامل فيعين الملك لكل منهن امرأة تقوم بمراقبتها وخدمتها حتى تضع فأول نبيلة تلد غلاماً يأمر الملك بمن يعتنى بتربيته ويقوم بتهذيبه واعداده للملك

والملك عندهم مطلق التصرف ولكن فى حدود العدل والرحمة والشعب طوع أمره ورهن اشارته ، وليس للسجون والعقوبات قوانين

---

(١) كان مسروق الحبشى جبارا ظالمـا فاشتكى أهل اليمن الى سيف بن يزن الحميرى مايجدونه من تحكم الاحباش فيهم فحاربهم واستخلص البلاد من أيديهم بمساعدة كسرى أنوشروان وأثخن فى القتل حتى لم يبق منهم فى اليمن سوى مائة نفس اتخذهم عبيدا له وفى ذات يوم خرج سيف بن ذى يزن الى الصحراء متصيدا فقتلوه بحرابهم وهربوا فأرسل كسرى وهرز بن كابجار حاكما على اليمن من قبله فبقيت خاضعة لفارس الى أن افتتحها المسلمون سنة ١٣ هـ

ونظامات معلومة ولم يكن للمسجونين مدة معلومة فالملك هو المتصرف يسجن ويسرح ويقتل ويعذب متى شاء وقد يفدى المسجون نفسه بالمال ومن عادات الملك أنه يحلق لحيته وشاربه ويضفر شعوره جدائل يرسلها خلفه وعلى كتفيه وحين ينزل من قصره يركب فرساً أو مركبة تجرها الخيول ، وفى صنعاء تجر المركبات الافيال التى أتى بها الاحباش أثناء احتلالهم اليمن ولباسه الرسمى مئزر محوك بالذهب وأساور ثمينة يضعها على ذراعيه ويحمل بيده رمحين تحف به حاشيته مدججين بالسلاح يتغنون بتعظيمه وذكر فضائله

وكان الملوك ينقشون على النقود صورهم وأسماءهم وأسماء المدن التى ضربت فيها بالحرف المسند (الحروف الحميرية) وأحياناً ينقشون صورة الثور أو الصقر أو البومة ، وفى المتحف الادبى بفينا توجد مجموعة قيمة من تلك النقود

وينقسم الشعب الى ثلاث طوائف :

(١) حملة السلاح وهؤلاء يحمون البلاد ويحفظون الأمن ، ويحرسون القوافل ؛ ومنهم تتكون حاشية الملك وأعوانه وحرسه

(٢) الزراع وهؤلاء عليهم فلاحة الأرض وزراعتها وحفر الترع وإقامه السدود لحفظ السيول وتوزيعها على المزارع والحقول والحدائق والبساتين

(٣) التجار وأهل الحرف ومن يلحق بهم كالعمال

ازدهار التجارة فى عهدهم

الشحر

بالرغم عن اشتغال الدولة الحميرية بالحروب والفتح واهتمامهم بالدفاع عن بلادهم والذود عن حوضهم من اعتداء المعتدين وتطاول الطامحين فقد وجهوا أقصى عنايتهم ومنتهى جهدهم لترقية التجارة وبذلوا كل مقدور لتنشيط العلائق التجارية وتوثيق الروابط الاقتصادية بينهم وبين الهند وسواحل أفريقيا الشرقية وبينهم وبين نجد والحجاز والشام ومصر وكانت مدينة الشحر أعظم ميناء وأكبر مركز تجارى فى جنوب الجزيرة العربية تأتيها السفن من الهند والخليج الفارسى ومن سواحل أفريقيا الشرقية ومن مصر مشحونة بأصناف السلع وأنواع المتاجر وكان أغلب هذه السفن للحضرميين وهم بأنفسهم كانوا يتولون قيادتها وتسييرها فى عباب المحيط الهندى والخليج الفارسى والبحر الاحمر . كانوا يأتون من الهند بالدر والياقوت والزبرجد والعاج والاطياب وخشب الابنوس والتوابل والقطن والقصدير ومن سواحل أفريقيا بالذهب والعاج والعطور وخشب الابنوس وريش النعام ومن البحرين باللؤلؤ وكانت مدينة شباه (شبام) (١) ويسميها اليونانيون Sabotta تبعث الى الشحر

---

(١) كان يسكنها بنو فهد قال الهمدانى : فلما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة (مدينة لحمير بين بيحان وحضرموت) من شبوة فسكنوا حضرموت وبهم سميت شبام وكان الأصل فى ذلك شباه فأبدلت الميم من الهاء

حاصلات حضرموت الداخلية كالبخور واللبان والمر واللادن وما الى ذلك

قال بطليموس : ان هذه الأصناف وغيرها من واردات الهند وسواحل أفريقيا الشرقيــة تحملها القوافل من حضرموت مخترقة رمال الدهناء الى دوان ثم تسير غربا الى نجد ثم الى الحجاز ومن هناك يستلمها المديانيون والانباط ويذهبون بها الى مدائن صالح فالى بترا [١] ومن بترا تسير إما الى مصر أو الى فلسطين والى صور وغزة وغيرها من شواطىء البحر الابيض المتوسط وكان القريون [٢] وغيرهم من التجار الحضرميين يفضلون حمل متاجرهم على القوافل بالبر لما فى البحر الاحمر من الأنواء وأخطار القرصان ولكن لما تولى عرش مصر سيتى الأول من العائلة التاسعة عشرة وقيل ابنه سيزوستريس Sésostris وهو رعمسيس الثانى ميامون فرعون مصر احتفر القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر وأرسل سفنه التجارية الى الشحر وغيرها من موانى جنوب جزيرة العرب فاتجهت أنظار الحضرميين الى إرسال متاجرهم بطريق البحر الأحمر فارتقت الملاحة وانتعشت الأسواق الحضرمية وزادت التجارة نشاطا وحركة فتضاعفت المكاسب وعظمت الأرباح واتسعت ثرواتهم اتساعا ما كانوا يحلمون بمثله من قبل فقد كانت تكاليف حمل المتاجر بالبر أضعاف تكاليفها بالبحر لبعد المسافة ولأن الخفراء كانوا يأخذون نصف

---

(١) هى عاصمة مملكة ايدوم القديمة واحدى عجائب الآثار منقورة فى الصخور واقعة على الحد الشمالى الغربى لصحراء العرب بين خليج أيله (العقبة) والبحر الميت

(٢) انظر صفحة ٥٢ من هذا الجزء ، وسيأتى الكلام عليهم فى الجزء الثانى

الأرباح ، ولما مات سيتى أو سيزوستريس أهملت القناة فتعطلت ولم يهتم المصريون بالأسفار فبطلت الملاحة المصرية وانكمشت الملاحة الحضرمية وتقلصت مواصلاتهم فى البحر الأحمر لكن لم تطل المدة على تلك الحال حتى نهض ملك أورشليم سليمان وأنشأ السفن فى عصيون جابر Asion Gafer على مقربة من أيلة (العقبة) من بلاد أدوم « ايدوميا » وقد ورد ذلك فى التوراة « كتاب الملوك الأول سفر ٤ ، اصحاح ٢٣ ، عدد ٣٥ و ٣٦» وقيل انه اتحد على بناء السفن مع حيرام [1] حيث أمده هذا بالنجارين والخيال ووافاه بالمقادير الوافرة من أجود الخشب وأغلاه لبناء السفن ثم أرسلا السفن تجرى فى البحر الأحمر والمحيط الهندى والخليج الفارسى وترسو فى مينائى الشحر وزفر (ظفار) وغيرها من موانى جنوب جزيرة العرب وسواحل أفريقيا والهند الغربية والخليج الفارسى فاتجهت أنظار الحضرميين الى إرسال متاجرهم بالبحر فعادت ملاحتهم لى نشاطها الأول وانتعشت أسواقهم من جديد

ولما توفى سليمان ملك بنى اسرائيل لم يهتم حيرام ملك صور بالاسفار فتعطلت الملاحة وعاد الحضرميون الى القوافل . ولقد كون الحضرميون جالية كبيرة فى الهند فى جدروزيا الواقعة بين

---

(١) هو ملك صور فى عهد الملك سليمان ويسمى أيضا حيروم أو حورام . ورد ذكره فى التوراة (اصحاح ٨ عدد ١٧ من الاخبار) قال « حينئذ ذهب سليمان الى عصيون جابر والى أيله على شاطىء البحر فى أرض أدوم وأرسل له بيد عبيده سفنا وعبيدا يعرفون البحر فأتوا مع عبيد سليمان الى أوفير ـ زفر (ظفار) وأخذوا هناك ٤٥٠ وزنة ذهب وأتوا بها الى الملك سليمان »

جبل كريلا ومصب نهر السند وبنوا هنالك مدناً وأنشأوا أسطولا يغدو ويروح بين الهند وجنوب جزيرة العرب بأصناف المتاجر وأنواع البضائع وكونوا هنالك سلطة دونها كل سلطة ونفوذا دونه كل نفوذ، وقبضوا على زمام التجارة واحتكروا غلات البلاد، قال العلامة المسيو جيان *Mr. Guillain* فى كتابه

" *Documents Sur l'Histoire, la Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale*,,

« وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية فى أفريقيا الشرقية » :

« قبض العرب منذ أقدم العصور على زمام التجارة البحرية وبخاصة فى الشرق فكانت سفنهم هى الوحيدة التى تجرى فى المحيط الهندى وبخاصة فيما بين بلادهم والهند التى كانت لهم جالية كبيرة على سواحلها قرب نهر السند هى التى أسماها الهنود « عربتو Arabitoe » أى العرب . ولما أرسل اسكندر المقدونى قائد أسطوله نيارك Néarque لاستكشاف بحر الهند وجد بسواحل جدروزيا آثاراً دالة على نفوذ العرب من مدن عربية وأساطيل عربية وكان الربان الذى أرشده فى ذلك البحر عربيا »

حضارة حضرموت

بلغ الحضرميون فى المدنية والحضارة مبلغاً ليس له فى عهدهم مثيل فقد بنوا القصور الشاهقة وعمروا المدن الواسعة، ووضعوا الهياكل والتماثيل واحتفروا الترع والسواقى، وأنشأوا السدود الضخمة يحجزون بها المياه ويسقون المرتفعات من الارض والمنخفضات منها، وعبدوا

الشوارع واغترسوا الحدائق والبساتين ، كانوا فى ترف ونعيم لباسهم من أنخر الانسجة ورياشهم من الحرير وآنيتهم محلاة بالذهب وأثاثهم مزين بالذهب والفضة والجواهر . قال العلامة لنورمان نقلا عن أغاثر سيدس فى الجزء الثالث من كتابه : « *Manuel de l'histoire Ancienne de l'orient* « خلاصة تاريخ الشرق القديم » إن قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب وانهم يعلقون على أبواب منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر تحيط منازلهم بساتين غناء ولديهم الموائد والأسرة من الفضة والرياش من أنخر الانسجة الى آخر ماهنالك مما يفوق التصديق ، ومما لاشك فيه أن سبب غناهم هذا اتجارهم بحاصلات الهند من العقاقير وما اليها وبغلال سواحل أفريقية الشرقية والى الخليج الفارسى والى مصر . قال العلامة المسيو جيان *Mr. Gudlain* فى كتابه : "*Documents Sur L'Histoire la Geographie et le Commerie de l'Afrique Orientale*„

« وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية فى أفريقيا الشرقية » :

« ان العرب كانت بلادهم مركز التجارة بين الشرق والغرب وهم الذين اكتشفوا لأول مرة تلك البلاد الكائنة جنوبى بوغاز باب المندب والسفال ثم ان غيرهم من الأمم لم تصل الى هذه الأراضي إلا بعدهم وبواسطتهم فالأمم الأخرى مثل الاسرائيليين وأهل صور والمصريين واليونان الرومان وأخيراً البرتقاليين لم يكن وصولهم الى تلك الاراضى إلا أمراً مؤقتاً أما العرب فهم الذين تواصل وجودهم بها كما كانوا هم السابقين لغيرهم اليها »

المعارف فى عهد الحميريين

كان للحضارم معرفة تامة بمواقع النجوم وأوقات مطالعها ومغاربها وكانوا يعلمون بأنواء الكواكب وأمطارها ولكن هذا العلم لم يأت على طريق تعلم الحقائق بل أدركوه بفرط الذكاء وكثرة العناية ، وطول التجربة وكانوا يتفاخرون رجالا ونساء بالفصاحة والبلاغة ونظم الاشعار وتأليف الخطب . وكانت الشحر وهينن ودمون أشبه بأسواق عكاظ والمربد والمجنة حيث كانوا يجتمعون هناك فى مواسم معلومة فيلق كل شاعر شعره وكل خطيب خطبته ويصف كل شاعر وكل خطيب ما عمله هو أو غيره من خير وإصلاح وما تكبده من الأخطار والأهوال وقد يقوم فيهم حكيم فيعظ الناس ويرشدهم الى الخير ويهديهم الصراط الاقوم ولقد حازت كندة الدرجة الاولى فى الفصاحة والبلاغة على جميع قبائل حضرموت حتى أن كثيراً من أهل البلاد النائية كدوعن وغيرها يشدون الرحال الى دمون ليشاهدوا مباراة أصحاب الكلام من الكنديين فى فيتعلم أولئك النزلاء شيئاً كثيراً من ذلاقة لسانهم ، وحلاوة لهجتهم ؛ مجتمعات دمون ووضوح معانى أشعارهم وخطبهم . قال امرؤ القيس :

كأني لم أسمر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وكانوا يكتبون بالحرف المسند (الحروف الحميرية) ولقلة الورق كانوا يكتبون فى الجلود وفى ألواح الخشب واذا كان مايراد كتابته أمراً هاماً فانهم يكتبون على الصخور الصلدة ، لذلك نجد كتابات كثيرة على جبال حضرموت

أما الحروف العربية وكذا أسماء الايام والشهور فلم تكن معروفة في حضرموت الا بعد ظهور الاسلام

الحرف المسند أو الابجدية الحميرية

وما طرأ عليها من التغيير

ا ——

ب ——

ت ——

ث ——

ج ——

ح ——

خ ——

د ——

ذ ——

ر ——

ز ——

س ——

ش ——

ص ——

ض ——

ط ——

ظ ——

ع ——

غ ——

ف ——

ق ——

ك ——

ل ——

م ——

ن ——

و ——

لا ——

ي ——

(أسماء الايام)

جاءت أسماء الايام منظومة فى البيتين الآتيين :

أؤمل أن أعيش وانّ يومى　　بأول أو باهون أو جبار
أو التـــالى دُبار فان يفتنى　　فمؤنس أو عروبة أو شيار

شيار : السبت	دبار : الاربعاء
أول : الأحد	مؤنس : الخميس
أهون : الاثنين	عروبة : الجمعة
جبار : الثلاثاء	

(أسماء الأشهر)

المؤتمر : محرم	الاصم : رجب
ناجر : صفر	عادل : شعبان
خوّان : ربيع الاول	نافق : رمضان
بصان : ربيع الثانى	وغل : شوال
حنتم : جمادى الاولى	هواع : ذو القعدة
رنّاء : جمادى الثانية	برك : ذو الحجة

أما الملاحة فقد كان للحضرميين الحظ الأوفر منها كما شرحنا ذلك وأما الصناعة فكانت لهم مهارة عظيمة فى النسيج وكانت الشحر أعظم مركز لمعامل النسيج ولهم مهارة فى صناعة الحلى الدقيقة وزخرفة الآنية

وصناعة الأثاث وتركيب الروائح الطيبة وتحضير البخور وجني القرفة وعيدان الدارصيني واللادن والمر قال هيرودتس «وبلاد العرب فيها وحدها البخور والمر والقرفة والدارصيني واللادن والعرب يجنون كل هذه الاشياء بتعب جزيل إلا المر ولاجتناء البخور يحرقون تحت الاشجار التي تولد صمغاً يسمى ميعة يأتي به الفينيقيون الى الاغارقة فيحرقون هذا الصمغ تنفيراً لنوع من الحيات الطيارة التي تأوي الى تلك الاشجار ولا تذهب منها إلا بدخان الميعة ، أما القرفة فاما يذهبون لجنيها يغطون أبدانهم ووجوههم إلا الحدق بجلود الثيران والقرفة تنبت في بحيرة قليلة المياه تسرح حولها حيوانات كالخفافيش تصيح صياحا هائلا وهي شديدة الأذى فيتقي العرب أذاها بهذه الجلود ريثما يجنون القرفة . وأما الدارصيني فيجنى بطريقة أعجب من الأولى والعرب أنفسهم لايعرفون من أين يأتي ويزعم البعض أنه ينبت في البلاد التي تربى بها باخوس وأن طيوراً تحمل عيدان الدارصيني التي بها أعشاشها مع الطين في جبال وعرة بعيدة عن المدى لايستطيع الانسان الوصول اليها والعرب قال انهم يحتالون في الحصول على هذه العيدان بقطع من لحوم البقر أو الحمير يضعونها في أقرب مكان من العش فيأتي الطير ويحملها الى فراخه وحالما يضعها في العش تثقله فيسقط فيتناول العرب عيدانه ويتجرون بها . أما اللادن فطريقة جنيه أعجب من هذه لأنهم يجدونه في لحى التيوس والماعز كالعفن الذي يتولد على الخشب فيدخلونه في تركيب طيوب كثيرة . والعرب يتطيبون باللادن خصوصاً وبلاد العرب ذكية الرائحة حيثما

سمرت . وفيها نوعان من الغنم أحدهما ذيله يزيد طوله على ثلاثة أذرع اذا أرسلوه انسحب وراء الغنم وتقرح والنوع الآخر عرض ذيله ذراع »

الزراعة

لاتوجد فى حضرموت أنهار سوى نهر واحد فى حجر ، ولكن هناك عيون غزيرة فى الجبال . وأهم هذه العيون وأغزرها ماء عيون تاربه ، وهذه كانت تسقى جميع ماحولها من الأراضى (الشروج ، وغيل بحر بن عبد الله) . وعيون وادى جدع التى لا تزال آثارها من سواقى وأحواض باقية الى اليوم . كانت هذه العيون تسقى جميع أراضى الحوير بين مريمة والقرن من ضواحى سيوون . وفى هذه الأراضى كان يزرع أجود الأعناب وأعلاها ، عيون جبل لقزة وهناك كانت تزرع الحنطة بكثرة

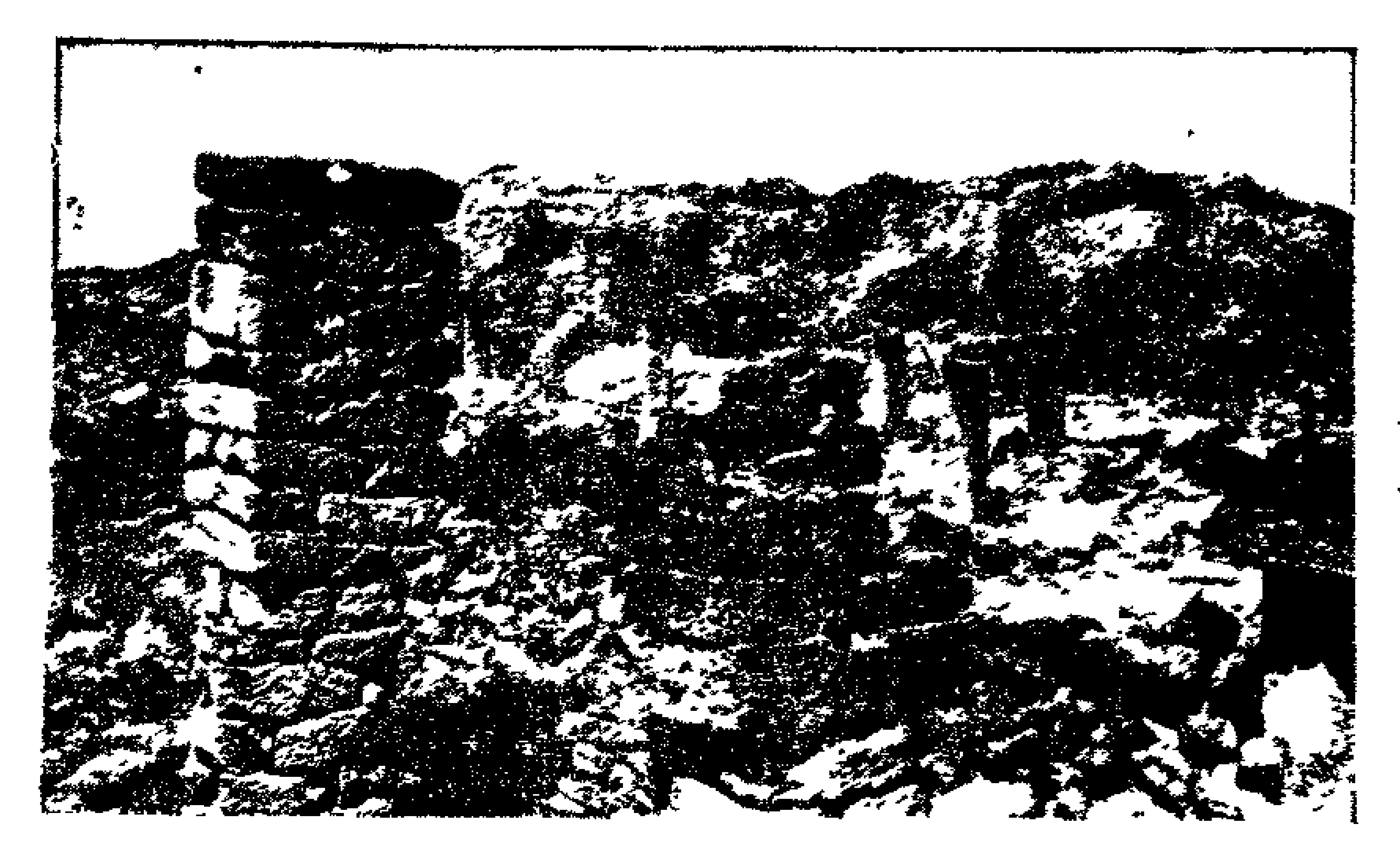
أما العيون التى بقرب الشواطىء فهى عيون غيل باوزير وعيون جبال المكلا ، عيون مبفع

وكانوا يبنون السدود الفخمة لحجز مياه الأمطار ولها فتحات يخرج منها الماء فيسيب فى ترع منظمة ويغمر المرتفعات من الأرض والمنخفضات منها فكانت حضرموت كلها بساتين غناء ومروجا خضراء وعياضاً فيحاء فيها الاغراس من الأشجار والريحن والحنطة والفواكه كالأعناب والخوخ والكمثرى والبرقوق والاجاص والتفاح واللوز والجوز والسفرجل والرمان وغير ذلك

القريون(١)

لم يذكر المؤرخون من العرب كثيراً عن القريين ولكن الفرنجة ذكروهم وكتبوا عنهم فصولا طويلة ، ووصفوا ما كان عليه القريون من الترف والبذخ . قال أغاثرسيدس : انهم أغنى أهل الارض وسبب غناهم اتجارهم بغلات بلاد العرب والهند وقال استرابون انهم يتمتعون بكل أسباب السعادة والهناء . فرشهم ثمينة وآنيتهم من الذهب والفضة . يزينون جدران منازلهم بالذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة . وقد اختلف هؤلاء فى موضع مدينتهم جرا Jarra ، قال بعض المؤرخين انهم من أمم البحرين وإن جرا فرضة على الاحساء . وقال العلامة اليونانى استرابون Strabon انها واقعة فى بقعة كثيرة الملح تبعد عن البحر بنحو ٢٠٠ ستادة (الستادة ثلث ميل انجليزى) . وقال العلامة جيان Guillain : إن مدينتهم على الشاطىء الغربى للبحر الاخضر (الخليج الفارسى) وحضرموت على المحيط الهندى والذى أراه وأستنتجه من هذه الاقوال وبالاخص قول جيان أن مدينة جرا تقع على مقربة من مدينة ظفار جنوب جبال القرا وأنقاض المدينة لاتزال قائمة وكثير من البيوت مطمور تحت الرمال

(١) سيأتى الكلام عليهم فى الجزء الثانى



أقدم مدينة (بلد) سور شمال العراق

المعـادن

لعل أكثر القراء يندهشون من بذخ الحميريين وترفهم ولعلهم لا يؤمنون بما كان يستعمله أولئك الاسلاف من الذهب والفضة والجواهر فى أثاثهم وآنيتهم وحيطان بيوتهم وأبوابها لان بلاد العرب ـ كما يزعمون ـ ليست كلفورنيا أو أرجنتينا فى معادنها وإنما هى صحارى جدباء ورمال غبراء وجبال جرداء ، ولو كانت هناك مناجم لكان لها اليوم أثر . والحقيقة أن ما قيل فى حضارة الحميريين حق باتفاق المؤرخين وأن بلاد العرب كانت تشبه كلفورنيا وأرجنتينا فى معادنها ، وأكثر هذه المعادن فى بلاد مدين وقد ألف العلامة برتون Burton كتابا أسماه : « The Gold mines of Médian ـ معادن الذهب فى مدين » وصف فيه مناجم بلاد مدين وما كان يستخرج منها من الذهب والفضة والفصوص والبلور . ثم ان هناك مدينة ظفار كان بها أعظم منجم للذهب فى عهد بلقيس الى ما بعد ظهور الاسلام . قال المسيو جيان Guillam : إن العرب كانوا يستخرجون منها الذهب وإن لهم فيها مقابر لا تزال مشهودة وقد رآها الكاتبان بالبحر الفرنسى وعلى قبريانها أسماء أصحابها منقوشة بالعربية وهم الذين أسموها ظفار . وجاء فى التوراة (اصحاح ٨ عدد ١٧ من الاخبار) قال : « حينئذ ذهب سليمان الى عصيون جابر والى ايلة على شاطىء البحر فى أرض أدوم وأرسل له حورام بيد عبيده سفناً وعبيداً يعرفون البحر فأتوا مع عبيد سليمان الى أوفير (ظفار) وأخذوا هناك ٤٥٠ وزنة ذهب وأتوا بها الى

ظفار الملك سليمان » أما موقع مدينة أوفير فقد اختلف المؤرخون فيه وأتوا بأقوال متضاربة . قال العلامة جيان : انها فى الساحل الشرقى فى قارة أفريقيا ، وقال آخر : انها فى الهند ، وقال المرحوم أحمد زكى باشا : انها مدينة وبار ، وقال المستشرق الفرنسي كاترمير Quatremere : إنها على ساحل بلاد العرب ، وقال العالم الجغرافى الفرنسي جوزيف جوسلن Gosselin فى الجزء الثانى من كتابه الموسوم « أبحاث فى الجغرافيا الاصولية عند الاقدمين » ان أوفير هى ظفار . هكذا اختلفت آراء العلماء وتضاربت أقوالهم فاذا فرضنا أن أوفير فى الهند أو فى سواحل أفريقيا الشرقية فان هذا يجعلنا نشك فيما قاله المؤرخون ان الحميريين كانوا يصنعون آنيتهم وأثاثهم من الذهب ويزينون حيطان غرفهم بالحجارة الكريمة ويعلقون أمام منازلهم صحائف الذهب المرصعة بالجواهر إذ ليس من المعقول أن يأتوا بتلك المعادن الثمينة من الهند أو من سواحل أفريقيا الشرقية والمسافة بينهم وبين تلك البلاد النائية بضعة شهور الامر الذى يكلفهم مصاريف باهظة ومتاعب شاقة ليس من المحتمل أن يجلبوا تلك المعادن الغالية من البلاد القاصية ثم يصنعوا منها آنيتهم ويزينوا بها أثاثهم وبيوتهم . إذن فالقول ماقاله العلامة جوسلن Gosselin بأن أوفير هى ظفار وليس بين الكلمتين فرق مثل مابين ظفار ووبار

أما عدم وجود أثر للمناجم اليوم فهذا لاينهض حجة فى عدم وجود معادن البتة . ومن المحتمل أن تكون هناك مناجم كثيرة لمعادن ثمينة لا تزال بكراً ولكن الجهل الضارب أطنابه فى جنوب الجزيرة

العربية هو الذى أعمى الابصار عن مواقع تلك المناجم وحرمنا استغلال تلك الكنوز القيمة

الآثار

لعاد وأقيال التبابعة وملوك حمير آثار قيمة وكنوز ثمينة لا يزال أغلبها مطموراً تحت الرمال ومقبوراً فى بطون الاودية والجبال ، فهناك أحجار وصخور عليها كتابات ورموز ونقوش لا يوجد من يحل معماها ويطلع على أسرارها وهناك أيضاً مغاير فى الجبال قيل ان فيها كنوزاً وآثاراً ولكن أغلب الاهالى يزعمون أنها مساكن الجن وقد حاول أفراد دخول تلك المغاير فانطفأت المصابيح التى حملوها معهم لكثرة ثانى أكسيد الكربون وعادوا خوفا من أن يضلوا الطريق فيهلكوا

وفى جبل القرة توجد فتحة كبيرة على شكل باب مستطيل رصفت أمامه صخور كسلالم للصعود وبداخل هذا الباب ممر متسع يوصل الى دهاليز لا تعرف نهايتها ولا يعلم أحد ما بداخلها لشدة الظلام وعلى مقربة من هذا الكهف نقوش كثيرة وصور أقدام منقورة فى الصخور ، وفى جبل حريضة توجد حفرة اسطوانية الشكل يقال لها بئر غمدان ، وفى نهاية هذه البئر فتحة مستطيلة الشكل حالكة الظلام تنبعث منها روائح كريهة لكثرة ما فيها من الرطوبة وتحلل الصخور وبول الخفافيش ويعتقد الأهلون أن فيها كنوزا ثمينة ولكنهم لا يجرؤون على الدخول فيها لزعمهم أن فيها عفاريت

المشهد : توجد فى المشهد أحجار كثيرة عليها كتابات ونقوش ويستعملها بعض الاهالى لبناء البيوت والآبار والسقايات وفى جنوبه على مسافة عشر دقائق منه تقوم أطلال غيبون وينسبها الناس الى قوم عاد



« اطلال غيبون قرب المشهد »

ويحتمل أن تكون بقايا مدينة حِمْيريه لوجود كتابات بالحرف المسند وتوجد هناك تلال تعلو الى ٣٠ قدما على سطوحها أنقاض حيطان مبنية من الاحجار المتماسكة بعضها بنوع من الملاط وعلى المنحدرات بقايا أحجار عليها نقوش وعلى أحد هذه التلال بئر يبلغ اتساعها ٣٠ قدماً وعمقها ٦٠ وعلى بعد ربع ساعة من غيبون تقوم أطلال أخرى تسمى مقابر الملوك.



« مقابر الملوك »

وهى عبارة عن حيطان فى الصخور قائمة على تلال متوسطة الارتفاع وعلى بعضها نقوش وكتابات

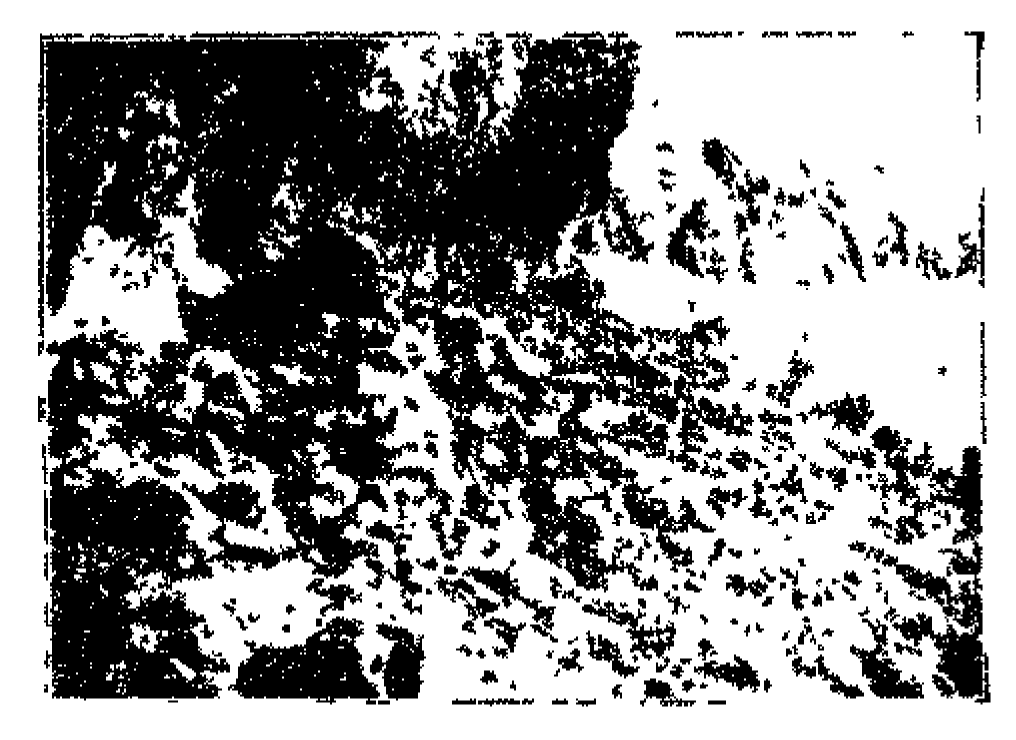
وادى عمر : (منطقة فقيرة وجافة ولكنها غنية بآثارها)

هكذا قال عنها السيد ان ميلن (D. Va Ser Meulen) وويزمان (H. Von Wissmann) حينما اخترقا هذا الوادى المجدب فى يونيو سنة ١٩٣١ فقدشاهدا هناك أغنى بقعة أثرية فى حضرموت وهى تمتد الى مسافة ميلين ونصف ميل ولكن السيول قد أتت عليها فجرفت بعض معالمها ، وتدل تلك المخلفات الكثيرة على أنها كانت قديماً تموج بالسكان

ديار عاد : وفى وادى ثقب على مقربة من قرية بريرة توجد بقايا أبنية يقال لها ديار عاد ، وتوجد هناك مجار للسيول يبقى فى بعضها الماء



« وادي ثب »



« ديار عاد »

طول العام ، وتوجد بركة كبيرة بها ماء آسن وفيها أفاعي سامة ، وعلى مقربة منها وهدة عميقة بها بقايا منازل وأنقاض مساكن يبلغ طول الواحد منها عشرة أقدام وعرضه ستة وبعضها مسدود بالصخور مما يحتمل أن يكون فيها كنوز وعلى بعض الحيطان نقوش باللون الاحمر وهذه المساكن مبنية من الصخر الطبيعي ومتماسكة بعضها بالطين

سونه : في سون بالقرب من قرية رضيح توجد أطلال متهدمة



« أطلال أثرية قرب سون »

لاتزال أسسها ترى على قمم الاكوام وهي من الحجر غير المنحوت ، وعلى إحدى القمم توجد أحجار هي بقايا نوع من الملاط وتوجد هناك حرار كثيرة عليها نقوش وانقاض حائط ضخم من الصوان الطبيعي كان متصلا

بالجبل وهو من بقايا سد كان يخترق الوادى فيما يرجع الى ماقبل الاسلام وبين قَسَمَ وقبر هود عليه السلام توجد قرية خربة وقلاع كبيرة لايزال بعضها قائماً بصورة تبعث فى القلوب الهيبة والوقار ؛ وفى فنما على مقربة من سوم توجد منطقة حافلة بالاطلال الضخمة وعلى مقربة منها تقوم أطلال حصن العر وهى عبارة عن بقايا من الحيطان الضخمة يرجع عهدها



« اطلال حصن العر »

الى ماقبل الاسلام قائمة على تل منعزل يمتد الى مسافة بعيدة شديد الانحدار وهذا الحصن المتهدم كان فيما مضى قلعة تشرف على ذلك الاقليم وفى سفح التل توجد بئر مطمورة ولاتزال آثار الطريق الذى يؤدى الى القمة متميزة وما زالت بقايا الأبنية مبعثرة حول قمة التل على ارتفاع ٥٠

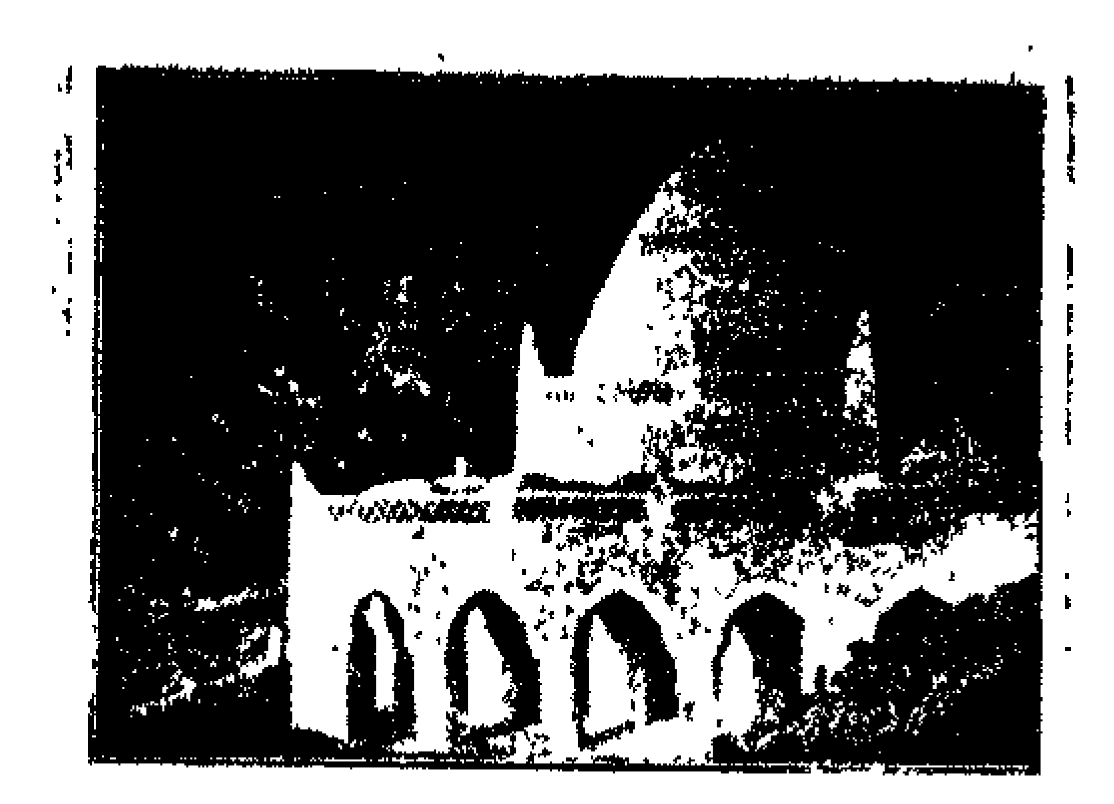
قدماً وهناك ممر صغير في الصخر منحدر من الجهة الجنوبية الشرقية حيث توجد بضع درجات كانت المدخل الرئيسي للمامة وعلى الأعمدة المتهدمة نقوش دقيقة تدل على مهارة صانعها فقد رسم صوراً للصيد بها فرسان يحاربون الاسود وجهاً لوجه وصور أخرى جميلة للوعل الذي يلعب دوراً مهماً في خرافات حضرموت ، ورسم أيضاً عناقيد العنب كزخارف جميلة للأعمدة

قبر هود : جاء في كتاب « معجم ما استعجم للبكري » أن البكاي روى عن رجاله عن الاصبغ بن نباتة قال : كنا عند علي بن أبي طالب في خلافة عمر فسأل رجلا من حضرموت فقال أعالم أنت بحضرموت ؟ قال : اذا جهلتها فما أعلم غيرها قال أتعرف موضع الأحقاف ؟ قال كأنك تسأل عن قبر هود ؟ قال نعم قال خرجت وأنا غلام في أغيلمة الحي نريد أن نأتي قبره لبعد صيته فسرنا في وادي الأحقاف أياما ومعنا من قد عرف الموضع حتى انتهينا الى كثيب أحمر فيه كهوف فانتهى بنا ذلك الرجل الى كهف منها فدخلناه وأمعنا فيه فانتهينا الى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الآخر وفيه خلل يدخل منه النحيف متجانفا فرأيت رجلا على سرير شديد الادمة كث اللحية قد يبس على سريره فاذا لمست شيئا من جسده وجدته صلبا وعند رأسه كتابة بالعربية أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد لكفرها وما كان لأمر الله من مرد فقال علي : كذلك سمعته من أبي القاسم ﷺ



﴿قبر هود عليه السلام﴾

وهـذه الرواية مشكوك في صحتها . ويحتمل أن تكون من أخبار
القصص المموهة ومما لاشك فيه أن هوداً عليه السلام مات بحضرموت



« قبة ضريح النبي هود »

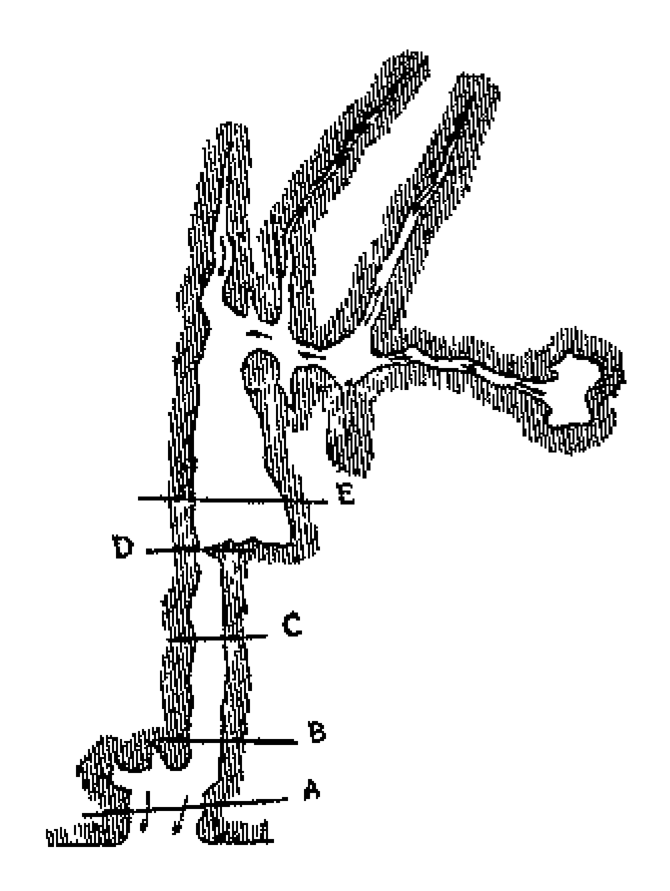
كما أجمع المؤرخون على ذلك وقبره على تل مرتفع من الارض عليه قبة مربعة الشكل مطلية من الداخل والخارج بالجير الابيض ويبلغ الضريح مائة وعشرين قدما. وهذا لا يدل على طوله عليه السلام وانما هو رمز لعظمته، وفى وسط القبة يقوم بناء مستدير كقاعدة عمود سميكة فوق صخرة ويظن أن هذا المكان هو الذى انشقت فيه الصخرة وقد صقلت هذه الصخرة بآلاف الايدى التى مرت عليها وآلاف الشفاه التى قبلتها وكتبت على الحيطان الآيات القرآنية الكريمة التى نزلت فى هود. والاحاديث الموضوعة التى تحض على زيارة هذا القبر وعلى مقربة من القبة يقوم « مسجد الناقة » تشرف عليه قطعة من الصخر يزعم الاهالى أنها الناقة المتحجرة وتوجد هنالك عدة بيوت ذات طابقين وبناء هذه البيوت

وهذه القبة بسيط فى ذاته لاتظهر فيه براعة الفن الحضرمى ولكن يشعر القادم الى هذا الوادى الهادىء لصامت بشىء كثير من الهيبة والاجلال لذلك القبر المقدس وقد بولغ فى تقديس هذا الضريح فتراهم يشدون الرحال لزيارته وعندهم شىء من بقايا الشعور الوثنى الذى كان يشعر به العرب للات والعزى يستعينون به ويتجهون اليه ويولون وجوههم شطره لقضاء الحاجات واستنزال البركات ودفع الكربات . يأتى الشخص من العوام القبر ومعه قطعة من الخشب بها خيط ملون من الصوف فى نهايته قطعة صغيرة من الحجر أما القطعه الخشبية فتوضع فى الحائط الخارجى للقبة ولا يسمح بقذف الخشب فى داخل القبة أما الخيط الصوف فيجمع ويرطب باللعاب ويقذف فى الحائط أو السقف ولهذا تظهر الحيطان والسقف كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان

والحضارم يزورن هذا الضريح المقدس مرة فى كل عام يقيمون هنالك ثلاثة أيام ثم يعودون وتبقى تلك القرية الهادئة خالية عن السكان الا الحرس الذين يحرسونها

قبر صالح عليه السلام : وفى وادى سر يوجد قبر طويل عليه قبة كبيرة يزعم الناس أنه قبر صالح عليه السلام ولذلك يشدون الرحال اليه مرة فى كل عام ولهم اعتقادات خرفية حول هذا الضريح والتاريخ لايثبت وجود قبر صالح عليه السلام فى حضرموت لأنه مات فى الحجاز

بئر برهوت : تقع بئر برهوت على مقربة من قبر هود عليه السلام فى الوادى الرئيسى للسبعة الأودية وهذا الوادى يتسع فى مبدئه ويأخذ



« بئر برهوت »

فى الضيق حتى يكون فى أعلاه زاوية وليس هناك أثر لكائن حى ويغطى بطبقة من الطفل ولازالت بعض بقايا المزارع وقليل من حراج النخيل باقية هناك لاتتخلل هذا الصقع صخور شاهقة وليس هناك أى أثر يدل على وجود براكين كما يزعم بعض الناس فهناك طبقات من الصخر الجيرى تعلوها أخرى من الحجر الرملى وتكثر فى جانبى الوادى الكهوف والمغاير وعلى مقربة من نهاية الوادى على بعد ثلاث ساعات من مبدئه تظهر فوهة البئر السوداء على ارتفاع ٣٠٠ قدم من سفح الجبل وقد نقر فى الصخر طريق معبد متعرج تهدم جزء كبير منه بفعل المياه وكانت الجمال تسير فيه لجلب السماد الناتج عن فضلات الخفافيش التى توجد

بكثرة فى البئر ويبلغ البئر ١٢٠ قدما فى الطول ، ٤٥ فى العرض ، ٦٠ في العمق ويزعم الناس أنها مأوى أرواح الكفار والأشرار وقد ساعدت على تثبيت هذه الخرافة فى أذهانهم عزلة هذا الصقع ولونه القاتم ومنظره الرهيب

ورد ذكر هذه البئر فى الكتب العربية الجغرافية القديمة فقد ذكرها الهمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» وذكرها القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» فقال: «تقع بئر برهوت على مقربة من حضرموت وقد قال النبي ﷺ: ان أرواح الكفار والمنافقين تسكن فيه وهو من أيام عاد وقيل ان علياً كرم الله وجهه قال: ان أكره بقعة فى الأرض عند الله هو وادي برهوت وبها بئر كريهة الرائحة وماء آسن حيث تسكن أرواح الكفار» وقال المسعودى فى «مروج الذهب»: «تقع بئر برهوت فى بلاد اسفار وحضرموت وهى جزء من بلادالشحر بين اليمن وعُمان ويسمع لها صوت كالرعد على بعد أميال وتقذف أكواماً من الحمم يسمع لها أزيز مرعب» وقال الأصمعي «حدثنى رجل حضرمى فقال: كلما شممنا رائحة خبيثة في اقليم برهوت علمنا بعد ذلك أن شخصية كبيرة من الكفار قد ماتت»

وكل هذه الروايات ليس لها حظ من الصحة ومن المحتمل أن بئر برهوت كانت فى العصور الواغلة فى القدم ملجأ لرئيس قوم كانوا يسكنون فى تلك المغاير التى حولها . وأصح ماقيل عنها ماجاء فى كتاب Hadramaut للسائحين السيدين ميلن D. Van Der Meulen وويزمان H. Van Wissmann فقد

رحلا الى حضرموت فى سنة ١٩٣١ وبلغا بئر برهوت وشاهدا مابداخلها وها نحن نذكر وصفهما لتلك المغارة الحالكة الظلام :

« .... دخلنا وكان لويزمان خبرة بكشف الكهوف ومعنا الآلات العلمية اللازمة وفانوس لنختبر به هواء البئر عما اذا دنت به كمية وافرة من الاكسجين وسرنا بحذر لأن حافة الكهف كانت منحدرة والتراب ناعم بحيث لانسمع وقع الأقدام عليه والظلام حالك جدا والسكون مخيم لانسمع إلاصوت الخفافيش التى تجمعت عنها رائحة خبيثة ثم وجدنا الممر متصلا بجزء متسع فسألنا رفاقنا البدو الذين أخذوا بروعة المنظر : هل هذا هو مقر أرواح الكفار ؟ فاجابوا الله أكبر الله أعلم ثم أخذ الممر يضيق ثانية وانتهى الى دهليز ضيق لايمكن السير عليه ولا يوجد طريق آخر سوى ممر ضيق على اليمين كلما تعمقنا فيه كلما اشتدت الحرارة ووجدنا أنفسنا مضطرين للعودة بسبب الحرارة والظلام والروائح الخانقة وكلما تقدمنا تقاطع الممر مع ممرات أخرى على الجانبين ووجدنا آثاراً تدل على وجود انسان وأثر كوة نقرت فى الحائط وقطع من الفحم الخشبي ولما تقدمنا قليلا وجدنا مثل ذلك وقد أخذ الممر يضيق وتزداد حرارته ولما خرجنا وجدنا أنفسنا متصببين عرقا وقد تغطت أجسامنا بطبقة من الثرى فأصبحنا كالوقادين وذهبت بعض الدهاليز جانبية شديدة الانحدار وقد دخل فون ويزمان وعلى أحدها وعلى جانبيه كدام من الأحجار وبعد أن سارا مسافة طويلة سمعنا صوت انهيار كدم من الاحجار ولم نر ضوء المشعل الذى معهما ثم خيم صمت رهيب

وبعد ٢٠ دقيقـة ونحن في قلق متزايد خرجا منهوكي القوى فساعدناهما على الصعود وكانت الحيطان مغطاة بطبقة بيضاء اللون حسبناها ملحاً ولما تذوقناها لم نجـد لها طعم الملح وتتخللها أصداف لاعداد لها فنزعنا بعضها وأخذناه معنا ولمـا بحثنا كل الممرات عدنا أدراجنا وفي طريق العودة كان الجو يزداد برودة ولسوء الحظ لم نحضر معنا ترمومترا حتى نسجل الحرارة ولمـا خرجنا وجدنا رفاقنا يغطون في سبات عميق فلما أيقظناهم نظروا الينا في شيء كثير من الدهشة إذ كانوا يتوقعون هلا كنا وانتهينا بعد بحثنا الى النتيجة الآتية : وهي أن بئر برهوت كهف جيري ليس به أثر بركاني وأما الروائح الخبيثة فهي ليست ناجمة عن الكبريت ، بل عن تحلل الصخور وبول الخفافيش . والسبب في الشعور بالحرارة ليس نتيجة عوامل بركانية ، ولكن من تأثير الحرارة الخارجية » انتهى بتصرف قليل

مدينة مكنون الخاوية . وعلى مقربة من سوم تقع أطـــلال مدينة مكنون ولا زالت بقايا الابنية القديمة قائمة ويتصل بهذه الخرائب مكان متسع كان مقبرة ذلك الحي والقبور طويلة مما يدل على أن أصحابها كانوا عمالقة ، وقد رصفت الأحجار على القبور بشكل دوائر وبقرب وادي سحور تقوم أنقاض قلعة كبيرة وعند فتحة وادي سحور فوق الصخور على ارتفاع ٣٠٠ قدم تقوم قلعة ثوبي ، ولا زالت حيطانها حافظة شكلها بالرغم عن سقوطها وتراكمها بعضها على بعض . وتوجد حصون كثيرة واستحكامات متهدمة في ثوبي والعر وهذا يدل على أن هذا الاقليم كان

منطقة حربية لحماية حدود المملكة

وفي سنة ١٣٣٥ﻫ جاء سيل عظيم فكشف عن آثار هامة حلى ونقوش



نقوش وكتابات على صخور في ديار عاد ومشهد ووادي ثقب

وأصنام من ذهب ومن فضة ، يبع جلها بثمن بخس فى عدن وجيبوتى وزنجبار . ومن يقارن الآثار الحضرمية القديمة بالآثار المصرية القديمة يجدها متشابهة تمام التشابه . وهذا يؤكد ما قاله بعض المستشرقين من أن المصريين القدماء فوج من قبائل أسيوية مرت بحضرموت فى طريقها الى الحبشة ثم الى وادى النيل

دخول الاسلام فى حضرموت

لم يثبت لنا التاريخ أن الحضارم عبدوا الأصنام قبيل الاسلام كما كان يعبدها كثير من العرب فى قلب الجزيرة وفى اليمن ولم يذكر لنا التاريخ أنهم عبدوا الحيوان أو النار وانما كان أغلبهم على الفطرة على أن اتصالهم باليمن والحجاز كان متيناً وسفرهم للحج كان فى كل عام . ولقد رأوا العرب هناك تقدس الأصنام وتعبدها لتقربهم الى الله زلفى ورأوا ازدحام الكعبة بالأصنام فلم يتأثروا بذلك ولم تدفعهم النعرة الدينية لصناعة الاصنام وعبادتها فى حضرموت ، والأصنام التى اكتشفها السيل سنة ١٣٣٥ هـ يرجع عهدها الى عصر عاد حين طغوا وبغوا وانتحلوا دين الصابئة يقول الفيلسوف ابن خلدون الحضرمى : « ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعتوهم انتحلوا عبادة الأصنام والأوثان من الحجارة والخشب ، ويقال إن ذلك لانتحالهم دين الصابئة فبعث الله اليهم أخاهم هوداً »

ولما ظهر الاسلام تاقت قلوبهم لاعتناقه والايمان بما جاء به محمد ﷺ ، فأرسلوا وفداً برئاسة وائل بن حُجر بن ربيعة بن وائل بن معمر الحضرمى

الكندى وذلك فى السنة السابعة للهجرة وقيل ان رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه وقال « يأتيكم بقية أبناء الملوك » ولما جاء رحب به وأدنى مجلسه وبسط له رداءه وقال « اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده » واستعمله على الاقيال من حضرموت .

وروى صاحب (البداية والنهاية) أن النبى ﷺ أقطعه أرضاً وأرسل معه معاوية بن أبى سفيان فخرج معه راجلا فشكى اليه حر الرمضاء فقال له انتعل ظل الناقة فقال وما يغنى عنى ذلك لو جعلتنى ردفا فقال له وائل اسكت فلست من أرداف الملوك ثم عاش حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين ، فعرفه معاوية ورحب به وأذكره الحديث ، وعرض عليه جائزة سنية فأبى أن يأخذها ، وقال : اعطها من هو أحوج اليها منى .

ويذكر بعض المؤرخين أن الأشعث بن قيس الكندى قدم على رسول الله ﷺ فى بضعة عشر راكبا مسلما . فلما دخل رحب به وأدناه من نفسه ، ولما أراد الانصراف سأل رسول الله ﷺ أن يولى عليهم رجلافولى عليهم زياد بن لبيد البياضى الأنصارى فأقام فى تريم وكان المثل الاعلى فى الخلق الحسن ، ولا غرو فقد اصطفاه الرسول ﷺ وجعل فى بعض البلاد نوابا عنه يجمعون الصدقات ويعلمون الناس أحكام الدين ولقد من الحضرميون جميعا بالاسلام بسرعة ليس لها فى الجزيرة العربية مثيل وانقادوا لأوامره دون أن يظهروا أى مقاومة . وانقياد الحضرميين للدين بهذه السرعة ولو أنه يدل على السذاجة وسلامة النية يعد مفخرة

من المفاخر العظيمة التي يحفظها لهم التاريخ الى الابد

أما الصدقات العظيمة التي كان يجمعها زياد بن لبيد فكان أغلبها من النقود والحبوب والجمال والثمار . وكان زياد يرسل هذه الصدقات الى مكة لبيت المال بعد أن يأخذ من النقود والحبوب والثمار جزءاً كبيراً يتصدق به على الفقراء والمعسرين فى حضرموت

كندة

هم بنو كهلان بن ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان . وعفير أول من لقب كندة لأنه كند أباه نعمته أى جحدها وكفر بها . أجلوا من البحرين والمشقر بعد قتل ابن الجون وكان الذى نقل منهم الى حضرموت نيفا وثلاثين ألفا أقاموا فى الشحر ودوعن والكسر[1] وعندل والهجرين ورخية ودهر وسدية (سدبة[2]) وبدا (حورة) ومنوب ودمون

كانوا على جانب عظيم من الذكاء وسرعة البداهة وقوة الفراسة فصحاء بلغاء وكان ملوك حمير يصاهرونهم ويولون ذوى الشخصيات البارزة منهم وأصحاب العقول الراجحة على قبائل البادية . وأول ملوكهم حجر بن عمرو

---

(١) يشمل الكسر هينن وقعوظه والقزة والخشعة وكان يعرف بكسر قشاقش

(٢) كان اسم سدبة سدية بالياء واسم حورة بدا نسبة الى قبيلة بدا الكندية التى سكنتها وعمرتها

الكندي الملقب بآكل المرار وكانت كندة قبل أن تملك حجراً عليهم في تطاحن وتنازع وتخاصم يأكل القوي منهم الضعيف حتى ملك حجر فأصلح أمورهم وجمع شملهم ووحد صفوفهم وساسهم بعقله الراجح أحسن سياسة وحينما اشتد التنازع والتناحر بين قبائل معد بن عدنان بالحجاز اجتمع عقلاؤهم وأرادوا أن يولوا عليهم ملكا منهم يطفىء الفتن ويصلح الامور فرأوا أن قبائل معد لا تخضع لملك منهم فسار وفد منهم الى حسان بن تبع الحميري وطلبوا اليه أن يولي عليهم ملكا وكان حُجر بن عمرو الكندي المذكور ذا رأي وحزم وحلم ووجاهة فولاه عليهم فسدد حُجر أمورهم وجمع قلوبهم ووحد صفوفهم وساسهم أحسن سياسة ولما مات ملك بعده ابنه عمرو ثم قام بالأمر بعده ابنه الحرث وكان قوي الملك . قيل انه وافق كسرى فيروز على الزندقة والدخول في مذهب المجوسية وملك بعده ابنه حجر على بني أسد كما ملك باقي بنيه على كثير من قبائل العرب وكان حجر قاسيا في حكمه سيء السيرة قبيح المعاملة فتنكر عليه بنو أسد فقاتلهم حتى قهرهم ثم هجموا عليه وقتلوه غيلة في دمون

ولما ضعفت الدولة الحميرية ودب اليها الانحلال ازدادت قوة كندة واتسع نطاق سلطانهم وامتد نفوذهم ومن أشهر ملوكهم مخوس ومشرح وجمد وابضعة والعمردة بنت الأعشى وكانت العمردة أشد تأثيراً من اخوانها في الناس وأكثر نفوذاً منهم لبلاغتها وذكائها وجمالها وبراعتها في تدبير شؤون الحكم وكان نفوذ هؤلاء الخمسة مطلقاً لاحد له وكانت أحكامهم قاسية ولكنهم أهل قناعة وكرم فقد كانت ثرواتهم واسعة،

وأراضيهم خصبة ذات غلات وافرة وكانوا يراسلون ملوك الروم واليمن. ويغمرونهم بالهدايا النفيسة التى كان أحسنها الخيل الذى كان يوجد بكثرة فى حضرموت الشرقية حيث الحشائش والاعشاب وكانوا ولعين بشرب عصارة الاعناب وكانت لهم معامل للخمر فى دمون عاصمة ملكهم بحضرموت الوسطى

كندة فى دورها الاول الاسلامى

جاء الاسلام وكندة صاحبة الحول والطول والتاج والصولجان وكانت أربعة طوائف : طائفة تحكم الشواطىء من حدودظفار الى المكلا التى كانت إذ ذاك أكواخاً للصيادين وعاصمة هذه الولاية الشحر وطائفة تحكم جميع دوعن وطائفة تحكم الكسر كله والمجلانية وحورة وسدبة والهجرين وعندل ولحروم وحريضة ومركز هذه الولاية حورة وطائفة تحكم كل البلاد الواقعة بين منوب وقبر هود عليه السلام وعاصمة هذه الولاية دمون وهؤلاء كانوا المراجع للطوائف الاخرى أو بعبارة أوضح كانوا المهيمنين عليهم إلا ولاية الشحر فانها كانت مستقلة عنها كل الاستقلال وكانوا أهل ترف وبذخ لخصوبة أراضيهم وكثرة غلاتها وكانوا مندفعين كل الاندفاع وراء الملذات الجسدية أما ولايتا حورة ودوعن فكانوا يمثلون الرجولة بكل معانيها وجميع الولاة فى النواحى الأربع كانوا أهل قناعة وكرم أحكامهم عادلة ومعاملتهم مع الرعايا حسنة وكانوا من أوائل الداخلين فى الاسلام .

امتناع كندة عن دفع الزكاة

لما توفى رسول الله ﷺ كتب أبو بكر رضى الله عنه الى زياد بن لبيد الانصارى يخبره بوفاة النبي ﷺ ويأمره بأخذ البيعـة من أهل حضرموت فخرج زياد بن لبيد يدعو الناس لبيعة أبى بكر رضى الله عنه فبايعه خلق كثير وامتنع عن البيعة حارثة بن سُراقة بن معدى كرب ابن الحارث من عظماء كندة وخطبائها وامتنع عن دفع الزكاة الاشعث ابن قيس من سادات كندة وأغنيائها فى كثير من أتباعه وارتدت بنو وليعة بن شُرحبيل بن معاوية فتركهم زياد وشأنهم وكان فى استطاعته أن يرجعهم الى الاسلام لأنهم شرذمة قليلة الرجال والمال أما حارثة بن سراقة والأشعث بن قيس فليس فى استطاعته أن يخضعهما بالقوة لبيعة أبى بكر رضى الله عنه ولدفع الزكاة لأنهما إذا غضبا غضب لهما آلاف مؤلفة من رجالات كندة ولكن كان ينبغى أن يراودهما ويدعوهما ومن معهما الى البيعة ودفع الصدقة فلم يفعل بل التزم السكون والصمت واكتفى ببيعة سكان شبام والغرفة وسيون وتريم ومريمة ودمون

خرج زياد بن لبيد يوما لأخذ الصـدقة فأخذ فيما أخذ بكرة من أحد فتيان كندة فهاج الفتى وماج وصيح وضج وهرع الى حارثة بن سراقة ابن معدى كرب الكندى واستغاث به فجاء حارثة بن سراقة الى زياد بن لبيد وأمره أن يطلق للغلام بكرته فامتنع وقال عقلتها ووسمتها بياسم السلطان فهدده حارثة وأنذره وقال له : أطلقها أيها الرجل طائعا قبل أن

تطلقها وأنت كاره فأبى زياد ولم يبال بوعيده ولا بتهديده فوثب حارثة ابن سراقة وحل عقال البكرة وضربها فانطلقت تعدو وحارثة يقول :

يمنعها شيخ بخديه الشيب ملمع كما يلمع الثوب
ماض على الريب إذا كان الريب

استغاث زياد بن لبيد بأصحابه فأتوه سراعا وانحاز بنو وليعة المرتدون الى حارثة بن سراقة وخرج بجيشه لمحاربة زياد بن لبيد وأتباعه فلقيهم زياد وقاتلهم وكاد ينهزم لولا أن الحرب وضعت أوزارها ريثما ينجلى الليل فأتاه عبد له وكان قد انحاز الى حارثة وأخبره أن ملوكهم الأربعة مخوس ومشرح وجمد وابضعة فى محجرهم قد ثملوا من الشرب فذهب اليهم زياد خلسة وذبحهم وجعل يقول :

نحن قتلنا الأملاك الأربعة جمداً ومخوساً ومشرحا وأبضعة

ولما علم بذلك الاشعث بن قيس خرج فى جماعة من كندة وعرض لزياد وأصحابه فانهزموا فاستغاث الاشعث بعظماء كندة ولما رأى زياد ذلك كتب الى أبى بكر رضى الله عنه يستمده فكتب أبو بكر رضى الله عنه الى المهاجر بن أمية والى صنعاء يأمره بانجاد زياد بن لبيد فخرج المهاجر ابن أبى أمية فى جيش كثيف ولما بلغ ذلك أصحاب زياد ثبتوا فى صف زياد وعاد اليه أغلب الذين انحازوا الى حارثة فخرج زياد والمهاجر بن أبى أمية بجيشهما فلقوا الاشعث وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولما جن الليل لجأ الأشعث وبعض رجاله الى حصن النجير فحصروهم ومنعوا عنهم القوت وكادوا يموتون جوعا فطلب الأشعث الأمان له ولعدة أشخاص من

أعيان أصحابه فقام اليه معدان بن الاسود بن معدى كرب وقال اجعلني من العدة فادخله فيهم وأخرج نفسه ونزل الى زياد بن لبيد والمهاجر فقبضا عليه وبعثا به الى أبي بكر رضي الله عنه أسيراً في سنة ١٢ للهجرة ولما حضر بين يدى أبي بكر رضي الله عنه قال له : فعلت وفعلت فقال الاشعث استبقنى لحربك فوالله ما كفرت بعد إسلامى ولكنى شححت على مالى فاطلقنى وزوجنى أختك أم فروة فانى قد تبت مما صنعت فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة ـ وقد كان تزوجها حين قدم على رسول الله ﷺ وأخرها الى أن يرجع ـ وذهب الأشعث لشدة فرحه الى سوق الابل وجعل يعرقب بسيفه كل ابل بالسوق فبهت الناس وصاحوا : ارتد الأشعث فقال الأشعث لا والله ولكن خليفة رسول الله ﷺ زوجنى بأخته وهذه وليمتى فانحروا وكلوا ولو كنا ببلادنا لكانت أضعاف هذه ثم دفع للناس أثمان إبلهم وأقام في المدينة وخرج من نسله بنو الأشعث المذكورون في الدولة الأموية وسار الى العراق غازيا وتوفى فى الكوفة وصلى عليه الحسن بعد صلح معاوية وفيه يقول عمرو بن معدى كرب :

والأشعث الكندى حين سمالنا ... من حضرموت مجنب الذكران
قاد الجياد على وجاها نزبا ... قب البطون نواحل الأبدان

أما المهاجر بن أبي أمية فقد عاد بجيشه الى اليمن بعد أن هدأت الحال واستتب الأمن وخضعت لزياد جميع قبائل حضرموت الوسطى وعادت الى الاسلام بنو وليعة ولم يبق أحد من المرتدين ، وقد كان من المنتظر أن تجتمع ملوك كندة الذين في حضرموت الغربية وفي دوعن وفي

الشحر للانتقام من زياد ، وليعيدوا لاخوانهم ملوك الشرق سلطتهم وسطوتهم على أن الاشعث أرسل رسله اليهم قبيل الحرب ولكنهم لم يمدوه بشيء ولم يظهروا أي عداء لزياد وأصحابه ولم يعترضوا المهاجر بن أبي أمية حينما مر بينهم في الكسر في قدومه من اليمن وفي عوده اليها ولو قاتلوه لقضوا عليه وعلى جيشه ، ولعل الروابط بين ملوك كندة في الغرب والشرق ليست على مايرام ، أو لعلهم رأوا أنه ليس من الشجاعة ولا من العدل أن تجتمع ملوك كندة على جماعة قليلة العدد والعدد من سكان شبام والغرفة وسيون وتريم ومريمة ودمون يقودهم شيخ ورع صالح تقي قام لاشهوة في نفسه ولكن لتنفيذ ركن من أركان الدين

حضرموت تطالب بالخلافة

في سنة ١٢٩ للهجرة نهض عبد الله بن يحيى الكندي مطالباً بالخلافة لنفسه كان حادالذكاء بعيد النظر فصيحاً بليغاً شجاعا كريماً على جانب عظيم من الورع والتقوى والصلاح ، ذهب الى اليمن فرأى المظالم ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها والفساد ينخر عظام الأمة ويهدد كيانها ، فنقم على الخليفة مروان بن محمد ورماه بالضعف في السياسة والاهمال في تأدية واجبات الخلافة ونقم على ولاة اليمن ومكة والمدينة أشد النقم . وفي سنة ١٢٨ ذهب الى مكة للحج فوافى أبا حمزة المختار بن عوف الازدي البصري الخارجي ورآه يدعو الى خلاف مروان وآل مروان فقال له عبد الله بن يحيى الكندي يارجل اني أسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو الى حق فانطلق

معى فانى رجل مطاع فى قومى فخرج به حتى ورد حضرموت ، ولما رأى أبو حمزة المختار إجلال الناس لعبد الله بن يحيى الكندى واكبارهم له بايعه على الخلافة وعاد الى البصرة . جمع عبد الله بن يحيى عظماء كندة وحرضهم على الخروج لازالة المظالم والمنكرات ونشر العدالة والصلاح وقال ما يحل لنا المقام على مانرى ولا يسعنا الصبر عليه ؛ وكتب الى أبى حمزة المختار وأبى عبيدة ومسلمة بن أبى كريمة مولى بنى تميم وبلج بن عقبة بالبصرة يشاورهم فى الخروج فكتبوا اليه : ان استطعت أن لاتقيم يوما واحدا فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح فضل ولست تدرى متى يأتى عليك أجلك ولله خيرة فى عباده يبعثهم اذا شاء لنصر دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء ، وشخص اليه أبو حمزة المختار وبلج بن عقبة فى رجال من الاباضية وحرضوه وقومه على الخروج وقالوا لهم اذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم ان الذى أخرجهم على السلطان العيب لاعمالهم . فاجتمعت كندة وبايعت زعيمها عبد الله بن يحيى الكندى على الخلافة إلا ما كان من ابراهيم بن جبلة بن مخرمه الكندى فى دمون فانه امتنع عن البيعة ولكن عبد الله بن يحيى سار اليه فى جماعة من عشيرته وأخذوه وحبسوه يوما ثم أطلقوه . فرحل ابراهيم الى صنعاء وقام بالامر عبد الله بن يحيى فنشر العدل والامن وبنى المساجد وأطعم الفقراء والمعسرين فأحبه الناس وكثر جمعه واحتشد حوله الانصار والاعوان وهابته القبائل وأكبروا فيه همته وورعه وصلاحه وتقواه وسموه طالب الحق . ولما أحس فى نفسه القوة للقيام ضد الخليفة مروان بن محمد

انتخب من أبطال قومه ألفين وتوجه بهم الى صنعاء بعد أن استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي . فبلغ ذلك القاسم بن عمر عامل مروان على صنعاء فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل وخرج في بضعة آلاف من جيشه لملاقاة عبد الله بن يحيي الكندي فلقيه الكندي في بلج وكان الليل قد أظلم وقاتلهم فقتل منهم كثيراً وانهزم القاسم وعسكر قريبا من صنعاء فلحقهم الكندي وهزمهم شر هزيمة واستولى على صنعاء وأخذ الضحاك بن زمل وابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ملك دمون المخلوع وحبسهما وجمع الخزائن والاموال وخرج الى الجامع وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله عز وجل وصلى على نبيه ﷺ « إنا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا اليهما . الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا لا نبغي به بديلا ولا نشتري به ثمنا قليلا وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة إلا بالله والى الله المشتكى وعليه المعول . من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب خمراً فهو كافر ومن شك في انه كافر فهو كافر . ندعوكم الى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد عدل فيما حكم وندعو الى توحيد الرب واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله . أيها الناس ؛ إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل اذا اهتدى ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى يقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربهم وما كان

ربك نسيا . أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به فابلوا الله بلاء حسناً فى أمره وذكره . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم »

أقام عبد الله بن يحيى الكندى فى صنعاء أشهراً أزال فى خلالها المظالم والمفاسد ونشر العدل والأمن وأحسن السيرة ولان للناس جانبه فاحبوه وأثنوا عليه ومدحه الشعراء وأتته السراة من كل أرجاء اليمن . وفى أواخر شهر ذى القعدة سنة ١٢٩ للهجرة جهز سبعمائة رجل من جيشه وأرسلهم الى مكة تحت قيادة أبى حمزة المختار وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على مكة والمدينة ودعاهم الى الهدنة حتى ينفر الناس النفر الأخير من الحج فاجابه أبو حمزة الى ذلك . ثم نزل عبد الواحد بن سليمان بمنى وبعث الى أبى حمزة المختار عبد الله بن حسن بن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن ربيعة بن أبى عبد الرحمن فكشر فى وجه العلوى والعثمانى . وانبسط الى البكرى والعمرى ، وقال لهما : ما خرجنا إلا بسيرة أبويكما . فقال له عبد الله بن حسن : ما جئنا للتفضيل بين آبائنا وانما جئنا برسالة من الأمير

ولما كان النفر الأول مضى عبد الواحد بن سليمان الى المدينة . وخلى مكة لأبى حمزة المختار فدخلها بدون قتال ، وحين أقبل أبو حمزة على مكة فزع الناس حين رأوهم وحاولوا أن يدافعوا عن أنفسهم فقال لهم أبو حمزة خلوا لنا سبيلنا لنسير الى من ظلمكم وجار فى الحكم عليكم ولا تجعلوا حدنا

بكم فانا لا نريد قتالكم . وأخبرهم بخلافه مروان والتبرى منه

أما عبد الواحد بن سليمان فانه لما وصل الى المدينة كتب الى مروان يعتذر لخروجه من مكة فكتب مروان الى عامله على المدينة عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز يأمره بارسال الجيش الى مكة لاستردادها من أيدى جيش أبى حمزة . فجهز عبد العزيز ثمانية آلاف رجل أغلبهم من التجار لا علم لهم بالحرب . ولما بلغ ذلك أبا حمزة المختار استخلف على مكة ابراهيم بن الصباح . ولما كان على مقربة منهم أرسل اليهم بلج بن عقبة في ثلاثين فارسا من أبطال كندة وتميم . ولما جاءهم سألهم أن يطيعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يكفوا عنهم ويعودوا من حيث أتوا فشتمهم أهل المدينة وقالوا لهم : يا أعداء الله نحن نخليكم وندعوكم تفسدون فى الأرض . فقال بلج : يا أعداء الله نحن نفسد فى الأرض ، انما خرجنا لنكف أهل الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفىء واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فانه لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا فى السلم وعاونوا أهل الحق ثم رجع بلج وأصحابه الى أبى حمزة المختار وأخبره . فقال : كفوا عنهم ، ولا تقاتلوهم حتى يبدأوكم بالقتال . فرمى رجل من أهل المدينة أبا حمزة بسهم فأخطأه وأصاب رجلا آخر . فقال أبو حمزة سأبيح الآن فقد حل قتالهم ، فحملوا عليهم حملة شديدة وهزموهم وقتلوا منهم ٢٢٣٠ من قريش ٤٥٠ رجلا ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالى ١٧٠٠ فقال على بن الحصين الكندى لأبى حمزة : اتبع القوم أو دعنى أتبعهم : فاقتل المدبر وأذفف على الجريح فان هؤلاء شر علينا من أهل الشام فلو جاءوك غداً

رأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال له : لا أفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا ثم استولى أبو حمزة على المدينة وذلك سنة ١٣٠ للهجرة

ولما هدأت الأحوال وخمدت الاضطرابات خرج أبو حمزه الى الجامع وخطب الناس فقال بعد الحمدلة والثناء على الله : « أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لهواً ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعياً يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ، فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الارض فآوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا والله بنعمته اخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا الى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان فشتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون ويزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا أهل المدينة ان تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشرك عابد وثن أو

كافرا من أهل الكتاب أو اماما جائراً ، ياأهل المدينة من زعم أن الله كلف نفسا فوق طاقتها أو سألها مما لم يؤتهـا فهو لله عدو ولنا حرب ، يا أهل المدينة أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى فى كتابه على القوى على حبه للضعيف فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد فأخذ جميعها لنفسه مكابراً محاربا لربه ماتقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟ ياأهل المدينة بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى . قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفـاة ، ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثا . شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفساً تموت غدا بأنفس لاتموت أبداً ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهـارهم . منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا الى الجنة ، فلما نظروا الى السيوف قد انتصبت والى الرماح قد أشرعت والى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله ، وكم من يد أبينت عن ساعدها طالمـا اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجدا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله من تقصيرنا وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

وقال هارون ان جده أبا حمزة قد أحسن السيرة فى أهل المدينة حتى استمال الناس ، وسمع بعضهم كلامه فى قوله على منبر النبي ﷺ

ْمن زنى فهو كافر ، وقال انه سمع أبا حمزة يخطب بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياأهل المدينة مالىرأيت رسم الدين فيكم باقيا وآثاره دارسة لاتقبلون عليه عظة ولا تفقهون من أهله حجة ، قد بليت فيكم جدته ، وانطمست عنكم سنته ، ترون معروفه منكرا والمنكر من غيره معروفا اذا انكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر ، عميت عنها أبصاركم ، وصمت عنها أسماعكم ساهين فى غمرة لاهين فى غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل اذا نشر ، وتنقبض عن الحق اذا ذكر ، مستوحشة من العلم مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورا تحملون منها فى صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة ، أو لم تلن الكتاب الله الذى لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . يا أهل المدينة ماتغنى عنكم صحة أبدانكم اذا سقمت قلوبكم ، ان الله قد جعل لكل شىء غالبا ينقاد له ويطيع أمره وجعل القلوب غالبة على الأبدان فاذا مالت القلوب ميلا كانت الابدان لها تبعا وان القلوب لاتلين لاهلها إلا بصحتها ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصيرة . ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم . يا أهل المدينة داركم دار الهجرة ومثوى رسول الله ﷺ لما نبت داره وضاق به قراره وآذاه الاعداء وتجهمت له فنقله الى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم ، متوازرين مع الحق على الباطل ، ومختارين للآجل على العاجل يصبرون للضراء رجاء ثوابها فنصروا الله وجاهدوا فى سبيله وآووا رسول الله ﷺ ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه وآثروا الله على أنفسهم

ولو كانت بهم خصاصة قال الله تعالى لامثالهم ولمن اهتدى بهداهم « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وأنتم أبناؤهم ومن بقى من خلفهم تتركون أن تقتدوا بهم أو تأخذوا بسنتهم ، عمى القلوب صم الآذان ، اتبعتم الهوى فأرداكم عن الهدى وأسهاكم ، فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا ولا تعظكم فتعتبروا ولا توقظكم فتستيقظوا . لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ، ما سرتم بسيرتهم ، ولا حفظتم وصيتهم ولا احتذيتم مثالهم ، لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم »

لما بلغ مروان بن محمد انتصار الاباضية واستيلاؤهم على المدينة خاف أن يزحفوا على الشام ويستولوا عليها ويتولوا الخلافة لذلك جمع ٢٠٠٠ رجل من أبطال جيشه وأعطى كلا منهم مائة دينار وفرسا وبغلا وجعل عليهم عبد الملك بن عطية ولما بلغ أبا حمزة الخبر بعث بلج بن عقبة فى ستمائة من عسكره فالتقى الجيشان فى وادى القرى فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠ للهجرة فدعاهم بلج الى التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله فشتمهم أهل الشام وقالوا نحن على حق وأنتم على باطل فثارت الحرب بين الطرفين ودامت ثلاثة أيام فقتل بلج بن عقبة وسبعون رجلا من جيشه ونصب عبد الملك بن عطية رأسه على رمح أما أبو حمزة فقد استخلف على المدينة أحد أعيانها يقال له الفضل وسار الى مكة ليحصنها ولما علم عبد الملك بن عطية بخروج أبى حمزة من المدينة جمع رجاله وهجم على المدينة فدعا الناس عمر بن عبد الرحمن بن أسيد الخطاب لقتالهم فاجتمع

اليه تجار المدينة والبربر والعبيد وخرجوا لمقاتلة ابن عطية فانهزموا شر هزيمة وقتل الفضل وكثير من رجاله واستولى ابن عطية على المدينة ثم سار الى مكة فلقيه أبو حمزة بالقرب من مكة وأراد جيشه الهجوم على ابن عطية وقومه فمنعهم وقال لاتقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم ماتقولون فى القرآن والعمل به فقال ابن عطية نضعه جوف الجوالق قال ماتقولون فى مال اليتيم قال نأكل ماله ونفجر بأمه فأمر أبو حمزة جيشه بالقتال فقتل أبو حمزة وقتلت امرأته مريم وكانت ذات شجاعة واقدام وأسر ابن عطية ٤٠٠ رجل من جيشه ثم قتلهم جميعا ولما بلغ ذلك عبد الله بن يحيى الكندى خرج من صنعاء فى جماعة من أصحابه ومن اليمانيين لقتال ابن عطية فالتقى به بأسفل مكة فهزمهم أهل الشام وأكثروا فيهم القتل فترجل عبد الله بن يحيى الكندى فى ألف فارس وأظهروا من الشجاعة والاقدام ما حير عقول أهل الشام وكاد النصر يكون حليفهم لولا كثرة جيش ابن عطية التى أحاطت بهم من كل جانب وطال القتال حتى قتلوا رجال الكندى جميعا وجز ابن عطية رأس الكندى وبعثه مع ابنه يزيد بن عبد الملك بن عطية الى مروان

ثم سار ابن عطية الى صنعاء واستولى عليها ثم أرسل جيشه يتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى الكندى ويقتلهم ثم ظهر يحيى بن كرب الحميرى وأعلن العصيان والتمرد على ابن عطية وخرج عليه وانضمت اليه قبيلة شداد الأباضية فخاف ابن عطية أن يستفحل أمرهم ويتسع نفوذهم وتتقوى سطوتهم فأرسل لقتالهم جيشا تحت قيادة أبى أمية الكندى فى الوضاحية

فالتقوا بهم بالساحل على مقربة من الحديدة وقتلوا من الأباضية مائة رجل وهرب بعضهم الى حضرموت والتجئوا بعبد الله بن معبد الحضرمى وحرضوه على ابن عطية فصاح عبد الله بن معبد فى قبائل حضرموت فأتاه خلق كثير من كندة ونهد وتميم وهمدان واحتشدت الجموع فى شبام وامتلأت مخازنها بما تبرع به الاغنياء وأهل اليسار من البلح والطعام وغير ذلك للجيش ولما بلغ ابنَ عطية الخبر استخلف ابن أخيه عبدالرحمن ابن يزيد بن عطيــة على صنعاء وتوجه بجيشه الى حضرموت فلقيه الحضارم بالكسر والتحمت بينهم الحرب وكان جيش الشام عالمـا بفنون الحرب ولما جاء الليل وكان حالك الظلام كثير الرياح أرسل ابن عطية من ناحية الجبل الجنوبى جزءاً من جيشه الى شبام لاحتلالها ونهب مافيها من الذخائر والمؤن فوصل هذا الجيش الى شبام عند مطلع الفجر وتسوروا السور واحتلوا الحصون وقتلوا من فيها من الحرس فاستيقظ الناس من مراقدهم وذعروا مما رأوا وحاولوا الدفاع عن أنفسهم وأموالهم فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا وأنى لهم أن يدافعوا والحصون فى يد العدو يمنع كل من أراد الدخول الى شبام أو الخروج منها. حدث ذلك كله دون أن يعلم عبد الله بن معبد الحضرمى . ولما طلع النهار قاتل عبد الله بن معبد ابن عطية حتى انتصف النهار ثم تحاجزوا ولما جاء الليل ووضعت الحرب أوزارها انسل ابن عطية وبقية جيشه الى شبام

ولما بزغ النهار لم ير الحضارم أثراً للعدو فادركوا المكيدة وهرعوا الى شبام فوجدوها محتلة بالعدو ، وحاولوا إخراجه فلم يقدروا . ثم اضطروا

للاستسلام ولكن ابن عطية جعل يقتل من يقدر عليه وينهب الأموال قهراً . ثم أراد أن يرسل جيشه الى سيون وتريم ودمون ولكن مروان ابن محمد بعث اليه كتابا يأمره بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس ، فجمع ابن عطية أعيان شبام ، وصالحهم على أن يرد اليهم ما عرفوا من أموالهم ، ويولى عليهم من يختارون فاجابوه الى ذلك ، ثم سار متعجلا فى جماعة من قومه . ولما كان بأرض مراد لقيه جماعة من الاباضية وقتلوه ومن معه ، ويقول المدائنى انه لما شخص ابن عطية إلى مكة خرج اليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس فى جماعة من قومهما ورجل من نهد يقال له رمانة وثلاثة من مراد وخمسة من كندة ، فقصدوا حيث توجه ابن عطيه فأدركوا أصحابه وكانوا أربعين رجلا فقتلوهم جميعا وأدرك سعيد وجمانة ابن عطية فضرباه وطعناه وصرعاه من فرسه وقعد سعيد على صدره فقال له ابن عطية هل لك يا سعيد فى أن تكون أكرم العرب أسيراً ، فقال يا عدو الله أترى الله كان يمهلك أو تطمع فى الحياة وقد قتلت طالب الحق (عبد الله بن يحيى الكندى) وأبا حمزة وبلجا وأبرهة ، ثم قتله وبعثوا برأسه إلى شبام وبلغ الخبر ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية وهو بصنعاء . فارسل شعيباً البارق فى جيش كثير أغلبه أجلاف قساة همج من سكان جبال اليمن ، وجاءوا حضرموت من طريق الكسر . فقتلوا الرجال والنساء والصبيان ونهبوا الاموال وأخربوا دورهينن وعوصنة والخنبفن وحورة وكثيراً من دور سبام ولم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من الأباضية الا وقتلوه . ثم عادوا الى اليمن حاملين معهم الاموال الطائلة والحلى الثمينة

وقد احمرت أراضي حضرموت من الكسر غربا الى شبام شرقا بالدم

انكماش دولة كندة

كان خروج شعيب البارقي بجيشه الهمج الى حضرموت أشبه بالضربة القاضية على الدولة الكندية والصدمة الرجعية في الاهلين ؛ ولا غرابة فان قتل الصبيان وبقر بطون النساء من الأهوال العظام والخطوب الجسام أهوال لم يمهدها الحضارمة من قبل ولم يحدث فى تاريخهم الواغل فى القدم . انكمش ملوك كندة وقبع كل منهم فى مقاطعته يحكم فى هدوء وسكون وفى خمول وكسوف وكره الشعب التخاصم والتنازع وكل ما يجرهم الى التناحر والتصادم وكأن تلك الفجائع التى أتتهم من اليمن علمتهم كيف يتعاونون ويتناصرون ويتكاتفون ويتساندون كأنها وجهت أنظارهم الى اصلاح أمورهم وتنظيم شؤنهم ، فقد اتحدت قبائل دوعن ووجهوا عنايتهم نحو عمارة أرضهم وعمران بلادهم وتنظيم معايشهم وكذلك الشأن فى حضرموت الوسطى فقد هب جميع السكان يصلحون ويعمرون ، وخضعوا لولاة أمورهم كل الخضوع . وأطاعوهم كل الطاعة رغبة فى السكون وحباً في السلام فاصبحت الأراضي جنات غناء ومزارع فيحاء بفضل التعاون والتساند فى تعميرها وزراعتها وانتشر الرخاء ورخصت الأسعار وتنشطت أسواق العروض وهينن وشبام وتريم ودمون وزادت حركتها وعادت اليها حياتها الاولى وأصبحت القوافل تأتى الواحدة تلو الأخرى من ظفار واليمن وحبان وبيحان وشبوة بأنواع المتاجر وأصناف

السلع فعظمت أرباح التجار وتضاعفت مكاسبهم واتسع نطاق ثرواتهم اتساعا ما كانوا يحلمون بمثله من قبل

دخول حضرموت فى طاعة العباسيين

فى سنة ٢١٣ للهجرة انتشرت دعوة العلويين باليمن واتسع نطاقها وخاف اليمنيون عاقبة تلك الدعوة ، وما ستجلبه لهم من البلايا والرزايا ، فارسلوا وفداً من صفوة عقلائهم الى الخليفة المأمون . وكان فى مقدمة هذا الوفد محمد بن زياد بن عبد الله بن زياد بن أبى سفيان فاستعطف الخليفة وضمن له صيانة اليمن من العلويين فوصله وولاه على اليمن وقضى على دعوة العلويين وفتح تهامة وبسط حكمه على جميع بلاد اليمن وأرسل رسله الى حضرموت يأمر الولاة بالدخول فى طاعة العباسيين فاجابوه الى ذلك ولما مات ولى بعده ابنه ابراهيم ثم ابنه زياد بن ابراهيم ثم أخوه أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم وفى كل أيام هؤلاء الولاة ظلت حضرموت فى طاعة العباسيين ولكن هذه الطاعة كانت اسمًا اذ لم يولوا على الحضرميين أحدا منهم يحكم البلاد بالنيابة فكان الحضرميون يحكمون أنفسهم بأنفسهم ولما قتل المتوكل سنة ٢٤٧ وخلع المستعين سنة ٢٥٢ واستبد الموالى على الخلفاء خلعت حضرموت طاعة العباسيين ، واستقلت كل الاستقلال فى جميع شئونها الداخلية والخارجية . واستمر الحضرميون ينظمون أمورهم فى هدوء ويعمرون بلادهم فى سكون بينما اليمن تموج بالفتن الداخلية وتنوء من الاضطرابات والقلاقل ، فقد ظهر هناك يحيى بن الحسين بن القاسم بن

ابراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية واستفحل أمره وهجم على صنعاء واستولى عليها قهراً بالسيف

الحضارمة والهجرة

الحضارم من أقوم أمم الأرض على الأسفار ، وأكثرها صبراً على تحمل المشقات ولعوا بالأسفار من قديم ـ وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل ـ وقد استمرت هجرتهم الى ما بعد ظهور الاسلام ثم انكمشت وانقطعت لاشتغالهم بالحروب في عهد عبد الله بن يحي الكندى وابن عطية وشعيب البارق وانصرافهم بعد ذلك الى إصلاح شئونهم الداخلية وتنظيم معايشهم وتعمير بلادهم

ولما هدأت الأحوال وانتظمت الشئون وانتشر الأمن فى طول البلاد وعرضها وكثر الخصب وزكا الزرع وأثمر وأينع ونشطت الأسواق وعظمت الأرباح للتجار وازدادت الثروة واتسع نطاقها ، اتجهت أنظار الحضرميين الى الهجرة من جديد وطمحوا فى توسيع تجارتهم وتوطيد ثروتهم فهبوا يهاجرون أفراداً وجماعات وكان هؤلاء المهاجرون طائفتين : طائفة اتجهت نحو الشمال (مصر والبصرة وبغداد والأندلس) ، وأخرى ولت وجهها شطر جنوب الهند وسواحل أفريقيا الشرقية ، أما الاولى فلطلاب العلم ولذكائهم واجتهادهم برزوا فى علوم اللغة العربية والدين ولعبقريتهم وعصاميتهم نالوا القضاء فى دمشق ومصر والاندلس وأما الثانية فالغرض تجاري محض ولكن بالرغم من اشتغالهم بالتجارة فقد

نشروا الاسلام بين أهالى تلك الاصقاع النائية وبنوا المساجد وأنشأوا المكاتب لتعليم النشء القرآن الكريم ولامانتهم ومعاملتهم الحسنة مع الاهلين احترمهم الناس وعظموهم واتخذوهم أنصاراً لهم وأعواناً فى شؤنهم الخاصة والعامة فتوطد بذلك مركز الحضارمة وعظم شأنهم وعلا مقامهم وذاع صيتهم وكانت كلمتهم مسموعة وأمرهم نافذاً ولو كانوا أرادوا الملك لجاءهم يمشى على قدميه ولكنهم كانوا لا يريدون الا التجارة ولقد اندمج بعضهم فى الأهالى وتزوجوا منهم وتخلقوا بأخلاقهم . وألفوا عاداتهم ، فضاعت منهم عروبيتهم وحضرميتهم ولغتهم العربية ، وأصبحوا كأفراد الأهالى فى عاداتهم وأخلاقهم وملابسهم ولغتهم حتى اعتبرتهم ولايات تلك البلاد من الأهالين ، تعاملهم كما تعامل الوطنيين ، وتمنحهم من الحقوق والواجبات ما تمنح هؤلاء

هذا وسنأتى فى الجزء الثالث إن شاء الله على تاريخ هجرة الحضارمة الى جزائر جاوة وسائر بلاد الشرق الاقصى ، كما أننا سنتكلم فيه على هجرة بنى هلال من حضرموت الى طرابلس الغرب وشمال افريقية



نهضة حضرموت العلمية

الحضرمي حاد الذكاء قوي الذاكرة سريع البداهة كثير النباهة مستعد كل الاستعداد للرقي ومجاراة روح كل زمان ومكان في العلم والادب والحضارة والاجتماع نشيط مجد وقور صبور على مكافحة المتاعب وتحمل المصائب مهما تفاقم خطبها وعظم شرها . يقطع الفيافي والقفار ويمخر عباب البحار لطلب علم أو اكتساب مال ، تاركا وراءه الأهل والعشيرة والصحب والديار ، ولقد كان أغلب الذين هاجروا الى الشمال لم يكن لديهم من الزاد إلا مايوصلهم الى حيث يقصدون وليس لهم غاية سوى العلم ، ولكن كانت عبقريتهم بارزة وعصاميتهم عالية ، فقد كونوا أنفسهم بأنفسهم وخلقوا لهم مركزاً من العدم وأوجدوا اسما بعد الخمول وتبوأوا من العلم والسؤدد مقعداً علياً وهم مع كل ذلك مثال الخلق الكريم وحسن العشرة والوفاء بالعهود والصدق في القول والاخلاص في العمل . لذلك أشير اليهم بالبنان وحفظت أسماءهم الكتب وبطون الاوراق

كان لنهضة بغداد العلمية وللبحوث في المسائل الدينية والفلسفية أيام المأمون صدى عظيم في حضرموت وأثر حسن من الحضرميين ، ولكن لم تظهر هناك أفكار شاذة وآراء غريبة . كالقول بخلق القرآن وتناسخ الارواح وإنما كان همهم مقصورا على تعلم اللغة العربية والدين ، وقد بدأت الحركة العلمية في تريم ومنها تسربت الى شبام فالى الهجرين ثم الى الشحر وكانت تلك الحركة في بدايتها تخطو خطوات بطيئة قصيرة

وكان العلماء ينشرون علومهم فى صورة محاضرات و مواعظ يلقونها فى المساجد والجوامع ، وفى أواخر القرن الثالث ازدادت الحركة العلمية واتسع نطاقها وأقبل الاهلون على مختلف طبقاتهم يطلبون العلم بشغف وولع ، الامر الذى جعل أولئك العلماء ينشئون مكاتب خاصة للتعليم فى تريم وسيون والغرفة وشبام وهينن وَ الهجرين ودوعن والشحر . وكان أغلب هؤلاء العلماء يعلمون الناس العلم دون أن يأخذوا على أتعابهم أجرا على أن منهم من يجوب البلاد ويقطع المسافات الطويلة لنشر العلم . وكان الناس يتعلمون المعرفة لذات المعرفة إذ لم تكن هناك وظائف توزع على المتعلمين ولا جوائز تمنح للشعراء والأدباء والراسخين ، ولقد اشتهرت تريم بتقدم العلم فيها وكثرة العلماء والأدباء وولع سكانها بالبحوث والمناقشات الدينية والمناظرات الادبية ، ولقد تصدى كثير من العلماء للفتوى فكانت المسائل والمشاكل الدينية ترد اليهم من كل أرجاء البلاد ومن عدن ومن اليمن ، وكان طلبة العلم كبارا وصغارا يؤمون مدينة تريم من كل أنحاء حضرموت ومن عدن وصنعاء وزبيد فأصبحت تريم تموج بالطلبة والعلماء والادباء والفضلاء ، وبالرغم عن كثرة هؤلاء فقد كانوا على وفاق ووئام ولم يحدث بينهم ما يحدث عادة بين كثير من العلماء من التنافس على الفتوى والتخاصم على الشهرة والسعى لاسقاط بعضهم بعضا بالوشاية والنميمة والطعن وحينما تقدم لأحدهم مسائل هامة فان كانت فوق مستواه وليس فى مقدوره الفصل يدعو بعضا من زملائه العلماء للنظر فيها والمشاركة فى البحث ، ومبادلة الآراء والتشاور ، هكذا

كان التواضع بينهم سائدا ، والتساند شائعا ، لايتكبر زيد على عمرو ولا يفتخر بكر على خالد ولم ينبئنا التاريخ أن خلافا كبيراً حصل بينهم كما أنه لم يثبت لنا أنهم خالفوا فى فتاويهم الكتاب والسنة أو انحازوا فى أحكامهم الى زيد دون عمرو لجاهه أو ماله أو قوته بل الناس عندهم سواسية لا فرق بين غنى وفقير ولا بين قوى وضعيف ولا بين متسلح وأعزل ؛ وليس للنسب والحسب عندهم قيمة وإنما كانوا يفضلون الشخص لعلمه وتقواه أية كانت حرفته ولم يتظاهر أحد منهم بالسلطة الروحية أو سعى اليها ودعا الناس الى التبرك به والتوسل اليه ببيع العزائم والتمائم كما يعمل الدجالون ومشايخ الطرق بل كانوا على جانب عظيم من العفة وعزة النفس وكان لأغلبهم متاجر يرتزقون منها ويعتمدون عليها فى ضرورياتهم الحيوية ومما يؤخذ على هؤلاء العلماء أنهم لم يهتموا بالتدوين كثيراً ولم يؤلفوا الكتب مع سعة علومهم ومقدرتهم على الكتابة ولو فعلوا لكان فضلهم عظيما ومعروفهم جسيما ولكان الخلف انتفع بعلومهم أكثر مما انتفع بها معاصروهم وليس بين أيدينا عذر نعذرهم به على مافرطوا فى التدوين"

خروج آل باعلوى الى حضرموت

فى سنة ٣١٧ للهجرة جاء من البصرة الشيخ أحمد بن عيسى جد آل باعلوى وأقام بالحسيسة ثم انتقل منها هو ومن معه الى قارة جشيب ثم انتقلوا الى بيت جبيرة فى سمل وهناك احتفروا بئراً عرفت ببئر أحمد ثم انتقلوا الى تريم وفيها بنوا مسجدهم المعروف بمسجد أحمد وتوفى الشيخ أحمد بن عيسى باعلوى بالحسيسة وقد اشتهر بالصلاح والورع والاخلاص ف.

مثل وقد رأى آل باعلوى من بعده أن يوجدوا لهم مركزاً يكون ... السلطة الروحية ولقد ساقهم الى ذلك ماشاهدوه فى كثير من ... من السذاجة وحسن النية وسلامة الطوية فادعوا النسبة لأهل البيت [1] ولكن الحضارم لم يؤمنوا بادعائهم لعدم وجود أدلة تثبت ماقالوه ، لذلك اضطر آل باعلوى أن يبعثوا واحداً منهم الى البصرة ليأتى بشهادة قاضيها فيما ادعوه فرحل الشيخ على بن أحمد بن جديد الى البصرة وطلب الى القاضى إثبات نسبهم فأجابهم الى ذلك وشهد معه جمع ممن يريد السفر الى الحج فسافر هو وأولئك الحجاج الى مكة ورقب هناك حجاج حضرموت على أولئك الشهود ثم سفر الى حضرموت وقدم شهادة قاضى البصرة وبعض الحجاج البصريين الى العام ، فرفضها كثير من الناس لعدم اسنادها الى براهين تاريخية واعترف بها وصحح عليها بعض العلماء كالقاضى عبد الرحمن بن على بن أبى حسان . والعلامة الشيخ فضل بن عبد الله بن فضل والعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن أبى الحب والعلامة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى والعلامة الشيخ محمد بن أبى بكر عباد والعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم المروانى الحريضى

وبالرغم عن عدم اتفاق الناس على ادعائهم النسبة لأهل البيت فقد بذل آل باعلوى كل مستطاع فى توطيد مركزهم الروحى ، وتظاهروا بالصلاح والتقوى وعملوا بكل ماعرفوا به من الدهاء لجذب الناس

---

(١) راجع صفحة ٤١٣ فى المجلد الثانى من الجزء الاول من كتاب « قلائد النحر فى وفيات اعيان الدهر » للعلامة ابن مخرمة الحضرمى الموجود بدار الكتب المصريه

الى تقديسهم والتبرك و ... بهم ، ولقد نجحوا فى ذلك وفازوا بالسلطة الروحية دون ... و ... سلطة العلماء الدينية أمام سلطتهم الروحية ولقد ... هذه ... وتوغلت عروقها فى أحشاء الشعب الحضرمى حينما شرع بعض آل باعلوى يبنون القباب (١) على بعض موتاهم رحمهم الله ويدعون الناس الى تقديس تلك المقابر والتوسل بها . وتقديم النذور ... هكذا أصبح الحضارم يقدسون آل باعلوى الاحياء منهم والاموات ويتبركون بهم ويتوسلون اليهم فى قضاء الحاجات ويقدمون القرابين والنذور لموتاهم رحمهم الله لجلب الرزق وإطالة العمر وازالة المرض وغفران الذنوب ودفع الخطوب وتفريج الكربات وغير ذلك من الامور مما يمقته الدين والعقل ويصرح ببطلانه الكتاب والسنة .

---

(١) لم يكن آل باعلوى وحدهم الذين بنوا القباب وانما شاركهم فى ذلك آل عماد وآل باو ... وآل عمودى ، لكن قباب هؤلاء قليلة وسلطتهم الروحية دون سلطة آل باعلوى فهى فى الدرجة الثانية ومما يسرنا ان اغلب آل عمودى وآل باوزير قد تهذبت عقولهم وتنورت أفكارهم ، أصبحوا يدعون الناس الى ترك الخرافات والترهات وسد التوسل بالقبور والاحجار والاشجار والعزائم والتمائم والتولة واصبحوا يدعونهم الى صدق اليقين والثقة بالله وحده ونشر المساواة بين طبقات الشعب فصل انضمامهم الى حمية الاصلاح ، الا ... أن ... من آل باعلوى وهم جماعة من آل حبشى نحوا ذلك السبيل وضموا اصواتهم الى أصوات دعاة الاصلاح والمساواة الشرعية . ولآل اسحاق وآل باجابر سلطة روحية ايضا ولكنها فى الدرجة الثانية ولقد عرف آل اسحاق بحب الاصلاح بين القبائل المتسلحة كما شاهدنا ذلك فى دوعن حضرموت الوسطى حيث يقيمون .

وتأباه النفوس العلية وتنفر منه الطباع السليمة

ثم إنهم لم يكتفوا بذلك فقد ألف بعضهم كتباً لتضليل عقول الناس وتسميم أفكارهم بما يقصونه عليهم من الحكايات الخرافية والدعاوى الكهنوتية وأهم تلك الكتب هو « المشرع الروى » ولم يقفوا عند ذلك الحد ، لم يقنعوا بتضليل عقائد الشعب الحضرمي وتسميم أفكاره ولم يقنعوا بما نالوه من السلطة الروحية بل طمحت نفوسهم واشرأبت أعناقهم الى أكثر من ذلك ، طمحوا الى الملك فلعبوا فى السياسة أدواراً هامة سنذكرها فى غير هذا المكان ، وأيقظوا فتناً وأثاروا حروباً بين يافع وآل كثير توصلا الى غرضهم المنشود

انحلال دولة كندة

كان انصراف الحضرميين الى تنظيم شؤنهم واصلاح أحوالهم وتعمير بلادهم واشتغالهم بالعلم وولعهم بالأسفار من أعظم الاسباب التى كرهت الحروب اليهم وجعلتهم يمقتون الفتن والمحن والقلاقل والزلازل ويميلون كل الميل الى الهدوء والسكون . وقد قبع ملوك كندة فى قصورهم ولم يجدوا من الظروف والمناسبات ما يساعدهم على الظهور كما كانوا من قبل يعبئون الجيوش ويخرجون بها فى ساحات الحروب ، وأمسوا لايفكرون فى توسيع سلطاتهم وتقوية مركزهم وكأنهم رغبوا عن الملك أو كأنهم كانوا آمنين على بقاء ملكهم فتساهلوا فى حفظ سلطتهم كل التساهل ، وتغافلوا عن حماية نفوذهم كل التغافل ، وناموا نوماً عميقاً ولم يعلموا أن الملك كالشجرة اذا لم يتعهدها صاحبها بالسقى تذبل وتموت

ظهر فى كل مدينة وفى كل قبيلة أفراد أولو شخصيات بارزة وآراء صائبة وعقول نابهة فكان الناس يلجئون اليهم فى حل المشاكل وإزالة المخاصمات ويهتدون بآرائهم فى أمورهم الخاصة منها والعامة تاركين الملوك وراءهم ظهريا . مرت عشرات السنين على تلك الحال وخلف بعد أولئك الملوك خلف كانوا أعمق منهم نوما وأكثر خمولا وركودا انفصلت عنهم جميع قبائل نهد واستقلت كل الاستقلال وأصبحوا يتحاكمون فى مشاكلهم الى رجل أو رجال منهم وكذلك الشأن فى شرق حضرموت فقد خلعت الطاعة تميم وهمدان ومن يلحق بهم كالعوامر وآل باجرى واستقلوا فى جميع شئونهم الاستقلال التام وكذلك الحال عند العوابثة والجعدة وجميع قبائل دوعن ووادى عمد . هكذا تلاشت دولة كندة وتداعت أسسها وانحلت أركانها وهوى نجمها وطمس نورها وامسى مركز ملوكها فى دمون وشبام وهينن والهجرين وعندل والشحر كمركز رؤساء القبائل وربما كانوا دون هؤلاء فى السلطة والقوة والنفوذ ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعا هجرة بعض رجالات كندة الى الشام وبغداد ومصر والاندلس والمغرب وترك بعضهم السلاح كآل باكثير واشتغلوا بالعلم والادب[١]

---

(١) كثير من القبائل الحضرمية كآل مرتع وآل باكثير وآل اسحاق وآل باجابر هم من كندة وكذلك اغلب سكان حورة وهينن من آل نجيب وبنى الحارثة الكنديين وانما ترك بعضهم السلاح لاشتغالهم بالعلم والتجارة وكذلك الشأن فى أواخر الدولة الحميرية فان بعض قبائل حمير كآل كلالى وآل شراحيل وبعض بيوتات فى شبام التى تنحدر من بنى فهد تركوا السلاح لاشتغالهم بالتجارة والاسفار

امارة آل راشد

بنو راشد بطن من حمير هاجروا من اليمن فى القرن الثالث الميلادى بعيد سيل العرم الى الشحر ثم الى عندل وهينن ثم الى شبام وتريم وكانوا أهل زهد وورع ولشدة حبهم للخير وحرصهم على الحق اتخذهم الناس ملجأ يلجئون اليهم للفصل بما هم فيه مختلفون فكان آل راشد مع قلة عددهم ومع أنهم ليسوا من أرباب المال يتعمدون للحكم بين المتخاصمين والمتنازعين ولقدذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم فى أرجاء البلاد وصاروا يضرب بهم المثل فى العدل ولذلك كان يهرع اليهم المتخاصمون من مسافات بعيدة تولوا الامارة (١) وكان سلطانهم الأعظم العالم الجليل عبد الله بن راشد ابن أبى قحطان الحميرى ولد بتريم سنة ٥٥٣ هجرية فرباه أبوه تربية دينية تعلم القرآن الكريم وحفظه وتفقه فى الدين على بعض أئمة تريم كالامام يحيى بن سالم بن فضل (بافضل) والامام أبى بكر بن أحمد بن أبى ماجد والامام فضل بن ابراهيم بن أبى حواس ثم سار الى الحرمين وقرأ صحيح البخارى على الامام محمد بن أحمد بن أبى النعمان الهجرانى ولما عاد الى تريم تولى السلطنة وسنه لاتتجاوز الثلاثين فحكم بين الناس بالعدل ونفذ فيهم أحكام الشريعة دون تمييز بين الفقير والغنى ولا بين القوى والضعيف فكان الناس لديه سواسية . أنشأ دوراً كثيرة لطلب العلم وبذل لتعليم الناشئين أموالاً كثيرة وأكرم العلماء وأجزل لهم العطايا وأكثر من

(١) كانت حدود سلطنتهم من القُرط غربا الى قبر هود عليه السلام شرقاً

الصدقات للفقراء والمعسرين وفتح لهم أبواب الرزق بما قام به من المساعدات لفلاحة الأرض وزراعتها ومنح جميع التجار والفلاحين كل التسهيلات فكان عصره من أحسن العصور وأغزرها رخاء وأوفرها أمناً وأحرصها محافظة على العدالة والمساواة . سأله أحد المعجبين به بماذا تفتخر على غيرك من السلاطين ؟ فقال أفتخر عليهم بثلاث خصال لا يوجد فى بلادى حرام ولا سارق ولا محتاج . وكتب اليه العلامة محمد بن أحمد ابن أبى الحب رسالة ومما قاله :

أيا علم الأفضال والجود والكرم　　وعلامة الآداب والعلم والحكم
ويا عصمة الله الذى الناس ترتجى　　له دولة يرعى بها الذئب والغنم

ولقد بلغت تريم فى عهده من العلوم الدينية مبلغاً ليس له مثيل فى حضرموت ولا فى اليمن فقد صارت كعبة يؤمها طلاب العلم من سائر أنحاء البلاد ، وكان يرحل اليها بعض اليمنيين من زبيد حتى إذا نالوا حظهم من علوم اللغة والدين عادوا الى زبيد ونشروا هناك ماتلقوه من علماء تريم . قال العلامة على بن محمد بن أبى حاتم أبياتاً فى مدح تريم وعلمائها حينما غادرهم الى اليمن :

رعى الله إخوانى الذين عهدتهم　　ببطن تريم كالنجوم العوائم
عليا حليف النجدة بن محمد　　وأبنا أخيه الغر أبناء حاتم
ومن فى تريم من فقيه مهذب　　وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

والمراد بيحيى هنا هو الامام يحيى بن سالم بن فضل

استيلاء الزنجبيلي على حضرموت

في سنة ٥٧٦ للهجرة هجم عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي والي عدن ولحج من قبل دولة بني أيوب فاستولى على الشحر ثم سار بجيشه الى شبام وتريم ومريمة واحتلها دون أن يلقى أمامه مقاومة شديدة من الحضرميين ثم عاد الى عدن بعد أن جعل آل راشد نوابا عنه يبعثون اليه الخراج في كل سنة ؛ قال الكبسي في (اللطائف السنية) : « وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب في الاسكندرية ودفن بها وكان عماله على اليمن يبعثون بالخراج اليه فلما مات أظهر عماله الخلاف ومنعوا الخراج وضرب كل منهم السكة باسمه إلا مظفر الدين فانه ضعف عن العمل فنهض اليه عثمان الزنجبيلي من عدن وأخذ البلاد التي بيده ، وتوجه عثمان المذكور الى حضرموت فاستولى عليها وقتل من أهلها كثيراً واستفحل أمره وقويت شوكته وجعل عمر بن مهدي والياً على حضرموت من قبله ورجع الى عدن » . وفي سنة ٥٧٧ أظهر آل راشد الاستقلال وخلعوا الطاعة ولما بلغ ذلك الزنجبيلي أرسل عليهم جيشاً وأدخلهم في الطاعة وقتل كثيراً من علماء تريم الذين حرضوا آل راشد على خلع الطاعة واعلان الاستقلال ، وقبض على السلطان راشد وابنه شجنعة وأتى به الى عدن وسجنهما ، وفي سنة ٥٧٩ بلغ الزنجبيلي وصول الملك طغتكين بن أيوب الى تعز وزبيد وقبضه على العمال المستبدين فخاف على نفسه وهرب من عدن فانتهز هذه الفرصة السلطان راشد وابنه وهربا ليلا الى حضرموت ثم استقل آل راشد بالأمر واستمروا يحكمون

البلاد نحو ثلاثين سنة وكانوا مثالا للعدل وكان الناس فى سعادة وهناء ؛ ولكن بعض هؤلاء بطروا واستكبروا وعتوا عن أمر الله وسخروا من السلطنة واحتقروا رجالها لأنهم نالوا السعادة بعد الشقاء عفواً بلا تعب ، وأتاهم المال من غير حساب ، فدعاهم السلطان الى الصلاح والرشاد وبذل كل مجهود لهدايتهم الى الطريق الأقوم وأرسل اليهم الوعاظ والعلماء ليردعوهم عن غيهم ويرشدوهم سواء السبيل . ولـكن لم ينفعهم وعظ الوعاظين ولا نصح الناصحين فبقوا فى طغيانهم يعمهون فغضب السلطان لذلك ولكن دون أن يعاقبهم وينفذ فيهم أحكام الشريعة كما كان فى أول أمره إذ أصبح عاجزاً عن تنفيذ ارادته ، حتى اعتزل السلطنة وتفرغ للعبادة : وتبتل للمكرمات واكتساب الخيرات ، فقيل له فى اعتزال السلطنة فقال : ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق . ثم سافر ليصلح بين قبيلتين فقتل فى الطريق غدراً وذلك سنة ٦١٢ للهجرة ، ودفن فى مريمة وبقتله ضعفت سلطنة آل راشد وتداعت أركانها للسقوط وكان رحمه الله سليم النية ، صافى السريرة طاهر الذيل ؛ غيوراً على الحق عدواً للباطل : صالحاً تقياً ورعاً شغوفاً بنشر العلم وحب الخير

خلف من بعد السلطان عبد الله بن راشد خلف تساهلوا فى الحكم وتغافلوا عن توطيد مركزهم وتمجيد مقامهم وتعزيز سلطتهم . لم يؤدّوا الأمانة كما يجب ، لم يهتموا بشكوى المشتكين ، ولا لظلامة المظلومين ، فضعفت سلطة الولاة ، وتلاشت هيبتهم ، وعجزوا كل العجز عن تنفيذ الأحكام واصدار الأوامر فانتشرت الفوضى فى طول البلاد وعرضها ،

فسيطر القوى على الضعيف وهضم حقوقـــه وطغى الغنى على الفقير واستعبده فى شؤنه الخاصة . يأس الشعب من ولاة الامور وقطعوا كل أمل فيهم فاجتمع كثير من أولى الرأى وأرباب العلم ، وفكروا فى حالة الأمة وما تقاسيه من الفوضى والدمار وأرادوا عزل جميع ولاة آل راشد وجعل السلطة فى يد أفراد من عقلاء الامة وعلمائها ولكنهم وجدوا أن هذا يكلفهم أموالا كثيرة واضطهاداً شديداً من الأغنياء والأقوياء الجبارين فكيف الأمر وليس بيدهم مال يتوصلون به الى غرضهم الشريف ؟ كيف يخرجون من هذا المأزق الحرج ويتخلصون من آلام الفوضى وويلات الخراب ؟ وأخيراً استقر رأيهم على أن يستنجدوا بنهد فارسلوا اليهم الوفود وطلبوا اليهم احتلال البلاد لاصلاحها واعادة الأمن وبث العدالة .

نهـــد

هم بنو نهد بن زيد بن ربيعة بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة هاجروا من اليمن الى حضرموت ولم يعرف بالضبط تاريخ هجرتهم ، ومن المحتمل أنهم جاءوا حضرموت فى عهد ازدهار الدولة الحميرية فيها سكنوا فى كسر قشاقش وكانوا وحدة لا تتجزأ وعروة لا تنفصم كانوا متحدين مترابطين متحابين لدرجة التعصب . وكانوا أهل قوة ومنعـة وكانت الهضبة الواقعة فى جنوب القوهة والتى على مقربة من مدينة العروض معقلا يرابطون فيه لصد غارات القبائل التى تأتى من أنحاء اليمن ، وقد

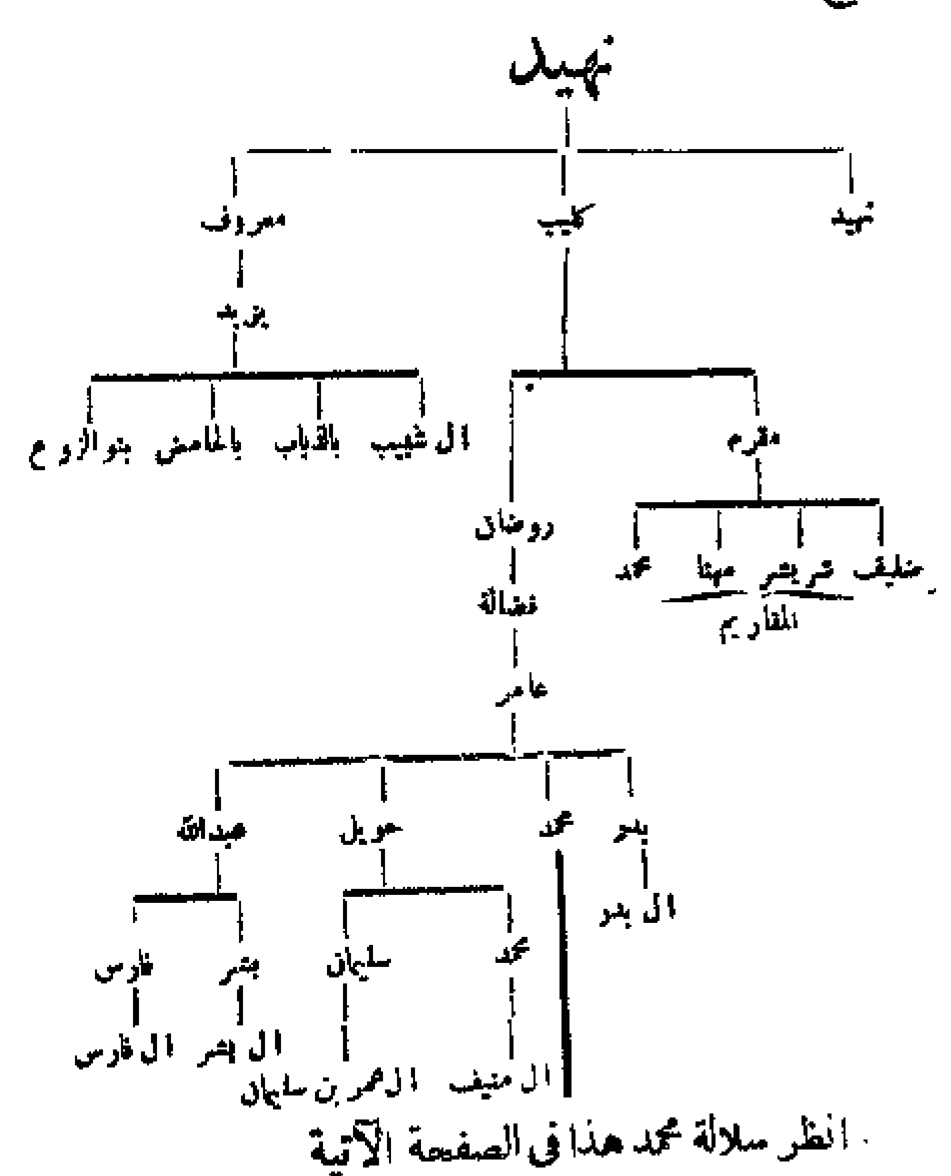
دحروا عدة قبائل كانت أرادت الهجوم على حضرموت وكسروها هنالك كما كانت المخينيق الواقعة بين حورة والعجلانية معقلا آخر من الناحية الشرقية . وكانت بلادهم من العجلانية الى العروض ومن الخاس الى أعالى حدود سَدْبة حدائق غناء ومزارع خضراء لا يرى السائر فيها من جبل شراح الى جبل حورة لكثرة النخل والكرم وأشجار السدر . وكانت حاصلات أرضهم وافرة تزيد عن حاجتهم ولذلك كانوا يرسلون كثيراً من البلح والزبيب والدوم وأنواع الحبوب الى هينن والهجرين وشبام للبيع ولم يكن هنالك حاكم عام يخضعون لأوامره ويلجؤن اليه فى حل مشاكلهم ومشاغباتهم بل كان لكل قبيلة واحد يتحاكمون اليه فيما شجر بينهم وما احتدم من نزاع أو خصام

وفى سنة ٩٤٥ ه هجم عليهم السلطان بدر بو طويرق الكثيرى ، وأخرجهم من الكسر الى الشاقة فسار حسان بن محمد بن عامر النهدى الى حاكم اليمن واستنجد به على السلطان بدر الكثيرى فأنجده بجيش ولكن فى أثناء قدومه الى حضرموت توفى حسان بن محمد فعاد الجيش الى اليمن ثم سار أخوه ثابت بن محمد النهدى الى والى اليمن وطلب اليه أن يتوسط بينه وبين السلطان الكثيرى لاعادة نهد الى العدان فأجابه الى ذلك وسمح السلطان بدر الكثيرى لنهد بالسكن فى العدان والمخينيق وسدبة وشراح

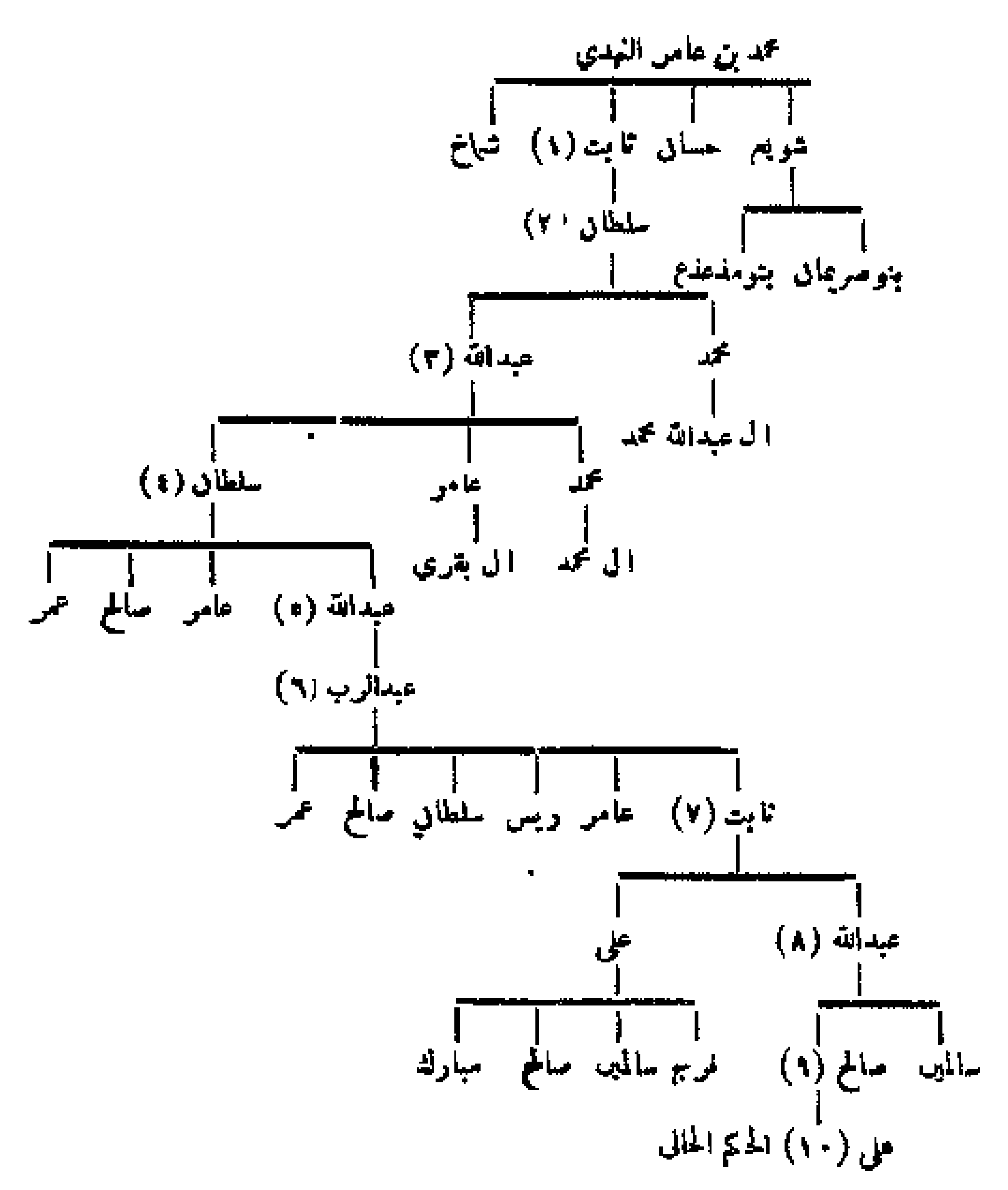
ثم اجتمعت كلمة نهد والجعدة على ايجاد حاكم منهم يدير شؤنهم العامة ويصلح أمورهم ويقيم بينهم العدل وينشر السلام : فجعلوا ثابت بن محمد النهدى حاكما عليهم ، وهو أول حاكم نهدى خضعت له جميع قبائل نهد

والجمدة . ولما مات قام بالامر بعده ابنه سلطان ثم أخذ الحكم ينتقل من الآب الى ابنه سنيناً عديدة حتى استقر فى يد الوالى على بن صالح النهدى الموجود اليوم فى قموظلة عاصمة نهد

والى القارىء شجرة تبين سلالة نهد ومن تفرع عنهم من البطون ، من جدهم الاعلى (نهيد) الى رئيسهم المعاصر لنا الآن وهو الحكم (على ابن صالح النهدى)



انظر سلالة محمد هذا فى الصفحة الآتية



ولما جاءتهم وفود رعايا آل راشد رفضوا طلبهم فى بادىء الامر لأن بلادهم غنية فلم يطمعوا فى فتح بلاد أخرى ولم يطرأ على بالهم بسط نفوذهم الى تريم ولكن الوفود ألحوا عليهم فلم تر نهد بداً من إجابة طلبهم فساروا الى شبام وحاصروها حتى استولوا عليها بدون قتال ثم ساروا فى طريقهم الى تريم يستولون على القرية بعد الأخرى حتى وصلوا الى تريم وحاصروها

أياما ثم قتلوا عمر بن مهدى واستولوا على المدينة واستمر حكمهم ثلاث سنوات وفى سنة ٦٢٣ هطلت امطار كافواه القرب فبلغ السيل الزبى وغمر الماء القيعان والربا واجتمعت سيول دوعن وعمد ووادى العين وهينن أشبه بالطوفان اكتسحت أمامها دياراً كثيرة وأشجاراً لاتحصى وغرق كثير من الناس وانتشرت الامراض فاضطر كثير من نهد لمغادرة تريم وشبام والعودة الى بلادهم التى دمر السيل كثيراً من ديارها ونخلها وأشجارها وتركوا الأمر لعلى بن عمر بن مسعود فانتهز بنو سعد اشتغال نهد باصلاح بلادهم فحاصروا شبام فرأى على بن عمر بن مسعود انه ليس فى استطاعته مقاومة بنى سعد الأشداء الأقوياء لذلك سلم اليهم شبام سنة ٦٢٥ وأخذ عسكره وسار بهم الى الهجرين وحاصرها ولم يكن فيها من الرجال المدافعين غير عدد قليل فاذعن له الاهالى وسلموا له البلد ثم سار الى هينن فقاومه الاهالى مقاومة شديدة وكادوا يدحرونه لولا أنه رماهم بالمنجنيق فانتصر عليهم واستولى على البلد سنة ٦٢٦ وفى هذه السنة نفسها سار الى الشحر وكان أميرها عبد الرحمن بن راشد بن اقبال وحاصرهم أياما فعرضوا له مبلغاً كبيراً من المال على أن يفك الحصار ويعود الى حيث أتى فقبل منهم المال ووصل الى هينن

وفى سنة ٦٢٨ اشترى شبام من عيسى بن فاضل وجعلها مقر حكمه ثم سار بجيشه الى وادى عمد وقاتل قبائلها ثم صالحهم وعاد الى تريم واحتلها واستمر يحكم البلاد نحو ثمان سنوات كان فى خلالها يذهب أموال الرعايا ويكنزها دون أن يبذل شيئاً منها لاصلاح العباد وعمران البلاد .

وفى سنة ٦٣٦ جاء عامر بن فضالة بن شماخ وطرد آل إقبال من شبام وتريم وسيون واحتل البلاد ، وفى سنة ٦٣٧ أراد مسعود أن ينتقم من آل شماخ فجمع رجالا من آل اقبال وآل أبى قحطان وهجم على تريم ونهب سوقها وعاث فيها فساداً فهرب أكثر السكان ولم تصل جمعة فى رجب وشعبان ورمضان ، ولما علمت نهد بذلك ساروا الى تريم وأخرجوا مسعوداً منها وتسلموا البلاد من ابن شماخ واستمروا يحكمونها فى هدوء وسكون . ومع أنهم لم يعمروا البلاد بشيء فقد كانوا محبوبين من الاهالى لانهم كانوا أهل قناعة فلم يرهقوا الناس بالضرائب ولم يأخذوا من أموال الرعايا شيئا غير ماينالونه من حاصل التمر ، وبعد ثلاث سنوات اضطروا لان يولوا البلاد نفرا من أعيانها وسافروا الى بلادهم . وهكذا تركت نهد إمارة حضرموت الوسطى مرتين وفضلوا قعوطة على تريم الغناء الفيحاء مدينة العلم والحضارة ولو أنهم ثبتوا فى الامارة ووطدوا مركزهم بتولية رجال منهم لاتسع نفوذهم وقويت شوكتهم ولذا انتظم حضرموت جميعها : لأن حضرموت الوسطى من الفرط غربا الى قبر هود عليه السلام غنية بغلاتها قابلة للرقى والتمدين وعلى أهلها مسحة من الحضارة ولديهم حظ من العلم ولكنهم لم يحاموا بذلك ؛ ولعل أنظارهم لم تبلغ الى حد أبعد من حصر نفوذهم فى حدود بلادهم ، أو لعلهم أرادوا أن يحصروا قواهم ويوجهوها الى إصلاح مادمره السيل فى بلادهم ، وعلى كل فتاريخهم السياسى يؤاخذهم على ذلك التقصير ويحاسبهم على ماارتكبوه من خطأ لتركهم إمارة واسعة النطاق كثيرة الخيرات

أصبحت البلاد بعد تخلي نبهد عنها في اضطراب مستمر وفي زلزال متواصل وقد يهدأ الاضطراب ويسكن الزلزال، ولكنه هدوء متقطع وسكون تتخلله هزات، فحينما يشعر زيد بقوة ساعده وشدة بأسه، وحينما يجول بخاطره ويطرأ على باله التسلط على العباد والبلاد يأخذ عدته ويصيح في قومه فيهجم ويستولي على بلد أو أكثر من بلد ويعلن للناس حكمه الجديد وبعد مضي شهور عليه أو سنة أو أكثر من سنة يأتي عمرو برجاله فيطرد زيداً وأنصاره ويحكم البلاد حكماً يخالف من قبله. ولقد كان لتلك الاضطرابات والمشاغبات أثر سيء ليس في الحالة السياسية فقط بل وفي الحالة الأدبية والاجتماعية والاقتصادية أيضاً فان الحركة العلمية في تريم وشبام خمدت وتضاءل نورها. وكاد ينطفيء وانحطت الاخلاق انحطاطاً سيئاً فاناس أعمى قلوبهم الطمع والجشع فتنازعوا وتحاربوا من أجل السلطة والحكم، واناس خنعوا وخضعوا لتصرفات الحوادث، وحبسوا ارادتهم وكتموا عواطفهم فلم يسدوا نصحا ولم ينهوا عن منكر وآخرون انتهزوا تلك الفرصة السانحة وانتهزوا خمود الحركة العلمية وتنازع الاقوياء على السلطة فسعوا بكل مستطاع وبكل ما لديهم من مكر ودهاء لتوطيد مركزهم، وتقوية سلطتهم الروحية لاستعباد الناس باسم الدين

أما الحالة الاقتصادية فسيئة جداً فقد انحطت الزراعة وانقطعت القوافل وساد الكساد جميع الأسواق ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعاً قيام آل جميل ضد بني ضنة سنة ٧٦٨ وتنازع عبد الله بن محمد بن أحمد

ابن يماني وابن أخيه راصع بن دويس على الولاية سنة ٧٧٤ وظهور حرب السوق الاولى فى الهجرين التى اثارها آل محفوظ سنة ٧٠٤ والحرب الثانية سنة ٧٧٥

فهذه الحوادث وهذه النكبات المتواترة خذلت العباد وأنهكت البلاد . ولقد كان من خذلان الأسواق وانقطاع القوافل عن الورود اليها لقلة الامن أن ازداد القحط سنة ٧٧٦ فارتفعت فيه الاسعار ارتفاعا عجز الناس معه عن شراء الضروريات حيث بيع التمر رطل بدرهم والطعام شطر بدرهم ، وفى دوعن بيع الطعام (مصرا) بدينار وبيع القفوز مدتين بدرهم



الدولة الكثيرية
فى دورها الاول

آل كثير أعظم قبائل همدان. وأشدها قوة وأشرفهامقاما ، وأعزها رجالا . لهم نفوس كبار وآمال عظام ومطامح جسام . وهم قبائل كآل عامر ومنهم آل عبدات وآل كدة وآل عبد العزيز ؛ وآل عمر ومن هؤلاء آل فاس وآل عاس وآل مهرى وآل جعفر بن طالب وآل مرعى ابن طالب وآل عمر بن سعيد بن طالب . وهناك أنخاذ كآل سند وآل جعفر بن بدر وآل منيباوى وآل صقير وآل زيمة وآل سعيد بن مرعى جميع هذه البطون والانخاذ وكذلك آل باجرى وآل جابر والعوامر وآل سيف هم من آل كثير ، وفى ظفار توجد قبيلة كبرى منهم يقال لهم بنو كثير ، وسنتكلم عنهم فى الجزء الثانى

طمح آل كثير الى الملك وسعوا اليه من قديم ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا اذ كانت كندة باسطة ذراعيها على الاحقاف وكانت صاحبة الحول والطول ولما بدأت كندة تنكمش وتتقلص حينما اعتراها الوهن ودب اليها الانحلال هب آل كثير وسعوا وراء الملك سعياً حثيثاً حتى نالوه ولكن كان ملكهم ينبسط مرة ويتقلص أخرى لتخاصمهم وتنازعهم فيما بينهم وفيما بين غيرهم من المنافسين حتى اذا كانت سنة ٧٨٦ بدأ ينتعش من جديد وتسرى فيه روح الحياة ، حيث جمع آل كثير كلمتهم ووحدوا

صفوفهم وتعاونوا وتناصروا واستولوا على الشحر . اشتهر منهم فيها السلطان بدر بن محمد الكثيرى اذ حكم بالعدل فهابته الناس ونشر الأمن بعد أن كان مفقوداً لكثرة غارات قطاع الطرق من سكان الجبال . ولقد أصبحت الشحر فى عهد هذا الشهم المقدام المدينة الوحيدة فى القطر الحضرمى التى تتمتع بالعدل والسلام والتى يجد فيها النزلاء من التجار وغيرهم راحة وهناء . ولشدة حرص السلطان بدر بن محمد فى الوئام والوفاق كان يسعى بين المتخاصمين بالموعظة الحسنة ويدعوهم الى التسامح فيما بينهم فاذا أبى أحد الخصمين الصلح أصدر حكمه على الظالم فى شدة وفى غير محاباة . ولقد حاول اعادة مجد الشحر القديم وشهرتها الواسعة التى بلغت فى الجاهلية الى أقصى حدود الجزيرة العربية ورن صداها فى آذان الفينيقيين والكلدانيين والمصريين حيث أرسل رسله الى الحبشة واليمن والبحرين لنشر الدعاية للشحر ودعوة التجار اليها لمبادلة المتاجر والسلع ولكن من سوء حظ الشحر ومن سوء حظ الحضارم جميعا أن قبائل آل كثير فى حضرموت الوسطى عادت الى ما كانت عليه من التنازع والتخاصم والتناحر بالرغم من المساعى العظيمة ، والجهود الجبارة التى بذلها المصلح الكبير السلطان بدر بن محمد الكثيرى لاصلاح ذات بينهم وجمع شملهم : وقد زاد الخرق اتساعا والفتنة اشتعالا قطع صلاتهم بالشحر وظل السلطان بدر مع عدد قليل من رجاله يحكم الشحر فى هدوء ، ولكن مع خوف متقطع وكأنه علم أن كندة متأهبة لاسترداد الشحر ، فأرسل رسله الى قومه يطلب اليهم رجالا لتحصين الشحر وللدفاع عنها ضد المعتدين ولكنهم لم

يعيروه التفاتاً ولم يمدوه بشيء لتخاذلهم وتفرقهم ، ولقد صح ما كان يتوقعه فقد انتهزت كندة هذه الفرصة السانحة وقام سيدهم سعيد بن مبارك بن فارس بادجانة الكندى يستفز قومه ويدعوهم لاسترداد الشحر فلبوا نداءه وأتوه مطيعين وحاصروا الشحر أياماً دافع فى خلالها السلطان بدر دفاع المستميت ولكنه لم يستطع مواجهة قوّة كندة ورجالها البواسل ، وهو فى ذلك معذور كل العذر إذ ليس لديه من الجيش ما يوازى جيش الكندى ، ثم استولوا عليها بعد ذلك سنة ٨٣٨

كان لسقوط الشحر في يد كندة أعظم رجفة وأبعد صدى فى نفوس آل كثير وقد تألموا أشد الألم ولكن لم ينفعهم هذا التحسر والتألم ، ألم ينذرهم سلطانهم بعاقبة التخاذل والتخاصم ؟ ألم يطلب اليهم مددا للدفاع عن الشحر والذود عن حوضها ؟ أما كان الواجب عليهم الذهاب الى الشحر لمناصرة اخوانهم المحاصرين ؟ أليست الجريمة جريمتهم والخطأ صادرا منهم ؟ ان مسؤلية سقوط الشحر لا تلق على عاتق السلطان بدر بن محمد الكثيرى فقد دافع هو وأنصاره القليلون دفاع المستميت حتى اذا أحاطت به الاخطار من كل جانب ورأى الهلاك سيبيده ومن معه انسحب من الميدان وسلم لاعدائه البلد إنما المسؤلية تلق على تلك القبائل الكثيرية التى لم تنصر سيدها وتنجده برجالها . لقد ظن الناس أن آل كثير بعد انكسارهم فى الشحر سيتحدون ويجتمعون ويوحدون صفوفهم ويؤلفون بين قلوبهم لاسترداد الشحر ولكن لم يكن شيء من ذلك بالرغم من المساعي الجبارة التى بذلها بعض عقلائهم لتوحيد كلمتهم وبالرغم من تقديم

آل باجرى والعوامر أنفسهم لمساعدتهم للحرب ضد كندة ، ذلك لأن الخلاف والشقاق والمشاغبات القائمة بينهم ازدادت انتشارا واتسع نطاقها وتفاقم خطبها ؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يكن لديهم من المال مايكفيهم لمؤونة الحملة على الشحر ، ولذلك اضطر كثير منهم لمغادرة أهله والنزوح الى الخارج للارتزاق

كندة فى دورها الثانى

بعد أن احتلت كندة الشحر تولى الحكم فيها المقدام سعيد بن مبارك ابن فارس بادجانة الكندى ؛ وكان هذا الأمير حليما حازما يقظا مهابا من جميع الناس وكان يحب قومه لدرجة التعصب ، يلم شعثهم ويرأب صدعهم ويكرم عظيمهم ويطعم فقيرهم ويواسى مريضهم . وقد أبقى شؤن الشحر كما كانت فى عهد السلطان بدر بن محمد الكثيرى إلا الدعاية للشحر فى الخارج فانه لم يهتم بها ولم يلتفت اليها . ولكنه بعث رسله الى القبائل البدوية يدعوها للقدوم بقوافلها الى الشحر لينافس بذلك أسواق هينن وشبام وتريم وسيون فلم يفلح لشهرة هذه الأسواق وسهولة المواصلات اليها وسرعة بيع الواردات فيها

ولقد حاول آل محفوظ وآل مساعد الهجوم على حضرموت الوسطى لاحتلالها ولاخضاع القبائل الكثيرية كى لاتقوم لهم صولة وكيلا يهبوا لاسترداد الشحر ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا لأن سيدهم أمير الشحر لم يوافقهم على ذلك ولم يرض أن يجازفوا بأرواحهم بين أنخاذ آل

كثير لعلمه أن هؤلاء وان كانوا متخاصمين فلا بد أن يكونوا يداً واحدة وقلبا واحدا ضد عدوهم المهاجم ومتى انتصروا فلا شك أن نشوة الانتصار تسوقهم لاسترداد الشحر

استمر الأمير سعيد بن مبارك الكندى يحكم الشحر ويسوس الناس بسياسته الحازمة ويدير شؤنهم بما عرف به من العدل وحب الخير . ولما مات قام بالأمر بعده ابنه الأمير محمد بن سعيد فاقتفى أثر أبيه وتتبع خطواته ، ولقد ساعدته الثروة التى تركها له أبوه والتى كانت من نتائج اصلاحات السلطان بدر بن محمد الكثيرى ، ولقد بذل كل مجهود فى تحصين الشحر برجال من قومه ومن الحموم واشترى كثيرا من المراكب الشراعية لتقوية المواصلات وتنشيط العلائق وتوثيق الروابط بين الشحر وعدن وبينها وبين ظفار وبربرة واستمال اليه كثيرا من قبائل البادية بمبالغ من المال كان يبعثها اليهم كهدايا وبالأخص الحموم ؛ فقد وطد علائقه بهم وأمر بعض رجاله أن يتزوجوا منهم كى تقوى الروابط وحتى لايستطيعوا أن ينحازوا الى آل كثير ضده . ذاع صيته وعظم قدره واحترمه الاصدقاء والاعداء واعترف له بالفضل الخصوم ؛ ولا غرو فقد ولد من أب كان سيد كندة ومن أم عرفت بالذكاء وسرعة البداهة وقوة الذاكرة . كما اشتهرت بالسياسة والبلاغة وقوة التأثير والجاذبية ؛ وقد كانت تتولى الحكم فى غيبة ابنها لأنه لايوجد فى الشحر من الرجال والنساء من يفوقها فى العقل والحزم وبعد النظر

محاولة كندة احتلال عدن

فى سنة ٨٥٨ للهجرة اشتد النزاع والخصام بين يافع آل أحمد وآل كلد فى عدن ؛ وكانوا إذ ذاك أصحاب الكلمة النافذة والأمر المطاع فى حكومة عدن وكانت الحصون بيد آل أحمد فثارت الحرب بين هؤلاء وبين اخوانهم آل كلد وهرب الحاكم المسعودى خوفا من الاغتيال ، فاضطربت شؤن عدن واختل الأمن فيها وكثر النهب والسلب ، فجاء المؤيد بجيشه من زبيد واحتل عدن نخاف آل أحمد اتساع نفوذ آل كلد وذهبوا الى بنى طاهر وشجعوهم على احتلال عدن فجاء هؤلاء بجيش تحت قيادة نقباء يافع من آل أحمد نخاف آل كلد على أنفسهم وفر كثير منهم الى الشحر ، ولما وصلوا هناك حثوا الامير محمد بن سعيد الكندى على احتلال عدن وتعهدوا له بأن يضحوا كل مرتخص وغال فى سبيل الاحتلال فاعد الكندى جيشاً خليطا من قومه ومن يافع ومن الحموم ومن المهرة ، وسافر بهم فى تسعة مراكب وما كان لهذا الشاب الكندى أن يجازف بجيش أغابه يجهل مخاطر البحر ويرحل بهم الى بلاد نائية عن عشيرته ؛ وفيها بنو طاهر وعلى مقربة منها امراء المسعودى بجيوشهم ولكن نفس هذا البطل أكبر من جسمه وآماله تنوء من حملها الجبال ، ولقد حاولت أمه بنت معاشر منعه عن السفر فلم يرضخ لنصحها ولم يقم لكلامها وزنا فابحر بجيشه بعد أن ولى أمه الحكم بالنيابة وهى أول حضرمية تولت الحكم فى الشحر ، ولما علم أهل عدن بقدوم الامير الكندى ولم يكن إذ

ذالك فى عدن أحد من سلاطين بنى طاهر غير نائبهم الشريف على بن سفين حصنوا البلد بمن فيها من يافع والحبوش والبربر ، وأرسل الأمير على بن سفين الى بنى طاهر يطلب منهم المدد وفى يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الثانى جاء السلطان الظافر عامر بن طاهر الى عدن بمسكره من ضليمة ولما بلغ ذلك الكندى أشار له كبار جيشه فى أن يتراجعوا بمراكبهم الى البحر ويتظاهروا بالاندحار . حتى اذا اطمئن الأعداء على أنفسهم أعادوا الكرة على غرة ولكن الكندى أبى الا الهجوم فى مساء ذلك اليوم غير مبال بكثرة جيش أعدائه . ومن سوء حظه أن هبت عاصفة شديدة حالت بينه وبين عدن وأغرقت بعض مراكبه بما فيها من مؤن وذخائر فاضطر لأن يرجع الى البحر فركب هو وبعض رجاله مركباً فانقلب بهم المركب لشدة العاصفة وكاد الامير الكندى يغرق لولا أنه أوى الى الساحل هو ومن معه . ولما علم بهم جيش بنى طاهر خرجوا من حصونهم وأسروا الامير الكندى ومن معه وسجنوهم ولما بلغ ذلك الى الشحر جمعت أمه الحاكمة بالنيابة الاعيان واستشارتهم فى أمر ابنها فانكمشوا وقبعوا خوفاً من أن يقتالهم آل طاهر فى عدن فسافرت هى بمفردها الى عدن ، واجتمعت بالسلطان الظافر عامر بن طاهر وفاوضته ليطلق سراح ابنها من السجن فامتنع السلطان فى بادىء بدء ، ولكنه فى النهاية خضع لقوة تأثيرها وبلاغتها وصراحتها فأجابها الى ذلك . وعادت به أمه الى الشحر

وتوفى عقب وصوله مسموماً من بنى طاهر ، فخسرت البلاد رجلا

مقداما وحاكما حازما ووطنياً مخلصاً وحزنت عليه الامة حزناً شديداً ، ولقد أبدت أمه من الرزانة ورباطة الجأش ما أدهش العقول ، وحير الالباب فقد نادت فى الناس بوفاة ابنها والدموع تنحدر من عينيها بهدوء وهدأت روعهم وواستهم فى فقيد البلاد

الحالة السياسية بعد وفاة محمد

بعد أن توفى الأمير محمد بن سعيد الكندى لم تجر الامور كما كانت فى عهده بالرغم من الجهود التى بذلتها أمه لإعادة الطمأنينة والسلام فى أرجاء البلاد وذلك لأن الذى تولى الحكم أخوه وكان هذا ضعيف الرأى قصير النظر سريع الغضب كثير الطيش . ولقد حاولت أمه أن تهديه بآرائها الصائبة وأفكارها الحكيمة ، ولكنه كان متعصبا لرأيه لدرجة الجمود ، وقد قطع ما كان يمنحه أخوه لرؤساء قبائل البادية من الهدايا الكريمة فانقطعت بذلك الصلات بينه وبين قبائل البادية كما قطع صلاته بآل محفوظ وآل مساعد وآل مرتع حيث لم يسع لازالة ما حصل بينهم من خلاف وشقاق ولعله عاجز عن ذلك كل العجز أو لعله كان لا يريد أن يوزع أعماله وقوته خارج حدود الشحر ، ولكن هذا ضعف فى السياسة وقصور فى النظر ، ولو أن أهل الشحر عارضوا فى توليته ، لو أنهم ولوا عليهم أمه الحازمة لظلت الاحوال كما كانت من قبل . وربما كانت تتحسن أكثر ولكنهم كانوا ضعاف الارادة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانوا يرون من العيب عليهم الخضوع لأحكام امرأة ، والانقياد

لاوامرها على أن تلك السيدة الكندية أكبر منهم عقلا ، وأوفرهم حزما وأبعدهم نظراً وأعمقهم فهماً لبواطن الامور وظواهرها وعواقبها

انقطعت الصلات بين الشحر وقبائل البادية وقام جماعة من الحموم يقطعون السابلة ويلقون فى قلوب الناس الرعب ففقد الأمن وانكمشت المواصلات التجارية فكسدت السوق وأخذ التجار يرحلون الى ظفار وعدن والى شبام وتريم فساءت الحالة وازدادت ضنكا وتعاسة وأمست الشحر تكافح مصائب لم تر مثلها من قبل وكأن الشحريين يئسوا من الحياة وقطعوا كل أمل فى النهوض فخمدوا وركدوا وما أشبه هؤلاء بأولئك الذين يرون النار تلتهم بيوتهم وهم واقفون أمامها يتفرجون ويلهون



الدولة الكثيرية

في دورها الثاني

قلنا ان بعضاً من آل كثير اضطروا للهجرة الى الخارج للارتزاق وكان في مقدمة هؤلاء المهاجرين السيد جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري فقد اتخذ ظفاراً مركزاً لتجارته وساعدته الظروف حيث أصبح بعد بضع سنين من أرباب المال . كان هذا المقدام ذا غيرة مشتعلة وحمية متقدة نحو عشيرته ولأخلاقه الكريمة وخصاله الحميدة وآرائه السديدة أحبه الناس وركنوا إليه واتخذوه نصيراً ومعيناً لهم في أمورهم الخاصة والعامة وكان ينوب عن التجار النازلين هناك في الدفاع عنهم والمطالبة بحقوقهم عند حاكم ظفار . لم ينس هذا السيد صدمة الشحر التي نكب بها قومه ولم يرض أن تبقى الشحر في يد كندة وتحت سلطتها لذلك باع جميع أملاكه في ظفار وسافر هو وابنه عبد الله الى حضرموت فسعى أولا لاصلاح قومه وإزالة ماحدث بينهم من خلاف وشقاق حتى استطاع بعقله الراجح وفكره الناضج وشخصيته البارزة أن يجمع كلمتهم ويؤلف قلوبهم ويوحد صفوفهم ثم كون منهم جيشاً وسار به الى الشحر وهجم عليها بدون سابق إنذار فاستولى عليها دون أن يلاقي أمامه مقاومة شديدة وذلك سنة ٩٠١ وظل يحكم الشحر مدة من الزمن ثم ولى ابنه عبد الله الأمر وسار هو الى شبام وحرص كل الحرص على بقاء الاتحاد والوئام

بين عشائره فأصبح آل كثير بفضله متحدين مترابطين ثم سار الى بور وهناك أدركته الوفاة في ذي الحجة سنة ٩٠٥ ففقدت البلاد رجلا عاملا ووطنياً مخلصا وسياسياً محنكا وكان محبوباً لدى جميع الناس ذا سيرة حسنة وأما الامير عبد الله بن جعفر الكثيري فقد ظل يحكم الشحر في هدوء حتى عاجلته المنية سنة ٩١٠ ثم قام بالأمر بعده ابنه الامير محمد بن عبدالله الكثيري وكان هذا سليم النية صافي السريرة ضعيف الارادة قصير النظر حصر أعماله الضئيلة في الشحر وقطع كل علاقة بقومه في حضرموت الوسطى وبني بينه وبينهم ردماً من حديد فساءت حالهم ودب اليهم الخلاف والشقاق والخصام فتلاشت هيبتهم وذهبت ريحهم واستبد بالحكم في تريم محمد بن احمد بن جردان وفي شبام كان السلطان بدر بن محمد الكثيري حاكما ولكن كان ضعيف الارادة سليم النية لا ينفذ له أمر ولا يقام له وزن ولا يرفع له ذكر قبع في قصره وترك الأمر لمن دونه من الرؤساء يحكمون حسب أهوائهم ويتصرفون في حقوق الشعب كما يريدون ويذيقونه ألواناً من الظلم والعذاب ولما توفي سنة ٩١٥ ازدادت الفوضى وانتشرت المظالم وساد الخراب وكثر السلب والنهب بين شبام وتريم وسيون وتعدى الأقوياء على حقوق الضعفاء ففقد الأمن في أرجاء البلاد واختل النظام . هكذا اضطربت الأحوال واختلت النظم وأصبحت الفوضى ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها ، ولقد هم آل محفوظ وآل مساعد بالهجوم على شبام وطرد آل كثير منها وأرادت ذلك نهد أيضا ولكن الظروف لم تساعدهم على ذلك إذ التنازع والتخاصم فيما بينهم

ثائر والفتنة مشتعلة . هكذا أمست الدولة الكثيرية لقمة سائغة يتحفز لالتقامها نهد وكندة ويستبد فى شؤنها ابن جردان ويتعدى على حقوق الضعفاء الأقوياء الجبارون

فى مدينة شبام وفى قصر من قصورها الشاهقة شاب لم يتجاوز العشرين من عمره حاد الذكاء قوى الذاكرة بعيد النظر كريم السجايا حميد المزايا ، ذو ثروة واسعة تركها له أبوه وجده ، ولكنه ليس من أولئك الشبان الكسالى الذين يأكلون ويشربون وينامون بل هو طموح للمجد عزيز النفس حر الضمير ذو غيرة متقدة وحمية مشتعلة على عشيرته الاقربين ذلك هو بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن على بن عمر الكثيرى الملقب بأبى طويرق والمولود سنة ٩٠٢ لم يرض هذا النبيل أن يرى ملك آبائه ممزق الشمائل مقطع الاوصال لم يسمح له ضميره الشريف بالجمود والهمود على ما حل بقومه من الخذلان والخسران ؛ فهب يعمل بكل جهده لانقاذ ملكه واحياء قومه وجاس خلال الديار باحثاً عن رجال ليضم أصواتهم اليه ويكون منهم قوة تكتسح ما سيعترضه من العقبات والعراقيل ولكن لم يجد من يلبى نداءه ويشد أزره ويكون له عوناً ونصيراً كأن القوم رضوا بتعاسة الحال وسوء المنقلب . كأنهم قطعوا كل أمل فى احياء ملكهم واسترداد مااشتراه آباؤهم بالدم . حاول بدر بن عبد الله أن يسوس الشعب ويرشدهم الى الصلاح والفلاح ولكنه لقى أمامه كثيراً من أقربائه يماكسونه ويقاومونه وينصبون له العداء ويحفرون فى سبيله الحفائر ، لذلك اضطر أن يغادر البلاد ليأتى بقوم يسترد بهم الملك

الضائع والحكم المفقود ، فسافر حتى اذا وصل اليمن فى شهر ذى الحجة سنة ٩٢٥ طلب الى الامام أن يمده بجيش فأمره بالبقاء لديه ليشاهد وفود القبائل التى تأتيه لتهنئه بالعيد ليختار القبيلة التى تروقه وتعجبه . فوقع اختياره على يافع وانتخب منهم خمسة آلاف فسافر بهم الى حضرموت ولما وصلوا الى الشحر تخلف عنه جماعة من يافع وسكنوا هناك وسار بالبقية الى دوعن وهناك أبقى جماعة من بنى بكر وآل يزيد وآل بطاطى ثم سار قاصداً شبام فعلمت بقدومهم قبائل نهد واحتشدت فى نجران لصدهم ، فالتقى الفريقان وثارت بينهم الحرب وكان النصر لبدر وقومه وتخلف فى نجران وسدبة جماعة من بنى بكر ثم سار الى شبام واحتلها فى شهر رجب سنة ٩٢٦ وحصنها برجال من يافع (المُوسْطة) ثم سار الى تريم واحتلها فى محرم سنة ٩٢٧ وطرد منها محمد بن أحمد بن جردان واتخذها مركزاً لدولته وحصنها برجال من يافع (آل لبعوس) كما حصن سيوون بجيش من يافع (الظُّبَيّ) ثم سار الى هينن واستولى عليها وجعل عبد الله بن على بن عمر المرهون حاكما عليها من قبله ثم أرسل جماعة من يافع الى السلطان محمد ابن عبد الله بن جعفر الكثيرى ليضمهم الى الجيش ، لتعزيز الشحر ولتأمينها من غارات الاعداء وقطاع السبيل

هكذا أحيى السلطان بدر بوطويرق الكثيرى ملكه المندثر وسلطانه المضمحل وبعث فيه القوة وروح النشاط بعد الخمود والجمود وأعاد لقومه مجدهم الضائع وشرفهم المحتضر ، رفع اسمهم وأحيى ذكرهم وبوأهم مقعداً عليا . كان شديداً فى حكمه قاسياً فى أمره ولكن كانت هذه الشدة وهذه

القسوة فى صالح الامة و لمنفعتها ، كان متواضعا يجالس الكبير ويحادث الصغير ويعطف على الفقير ، قرب اليه العقلاء والفضلاء واتخذهم بطانة له ، وكان بين هؤلاء أفراد ليسوا من آل كثير اختارهم لعقولهم الراجحة وأفكارهم الناضجة ، غاضا النظر عن جنسياتهم وأرومتهم ، الأمر الذى أغضب جماعة من عشيرته وجعلهم ينقمون عليه ويرمونه بالبله وحسن النية . كان يجزل العطايا للعلماء ويغدق على الشعراء والادباء الهبات فدحه هؤلاء وأثنوا عليه وشكروا له فضله الوافر ومعروفه الغزير .

ظهور حزب سياسى منافس له

فى سنة ٩٣٣ ظهر حزب سياسى ضد السلطان بدر تحت قيادة الاميرين محمد بن عبد الله بن عمر الكثيرى ومحمد بن بدر بن محمد الكثيرى وكان الدافع الأكبر لقيام هدين الاميرين هو انفراد السلطان بدر بتلك الشهرة الواسعة النطاق التى أحرزها من احيائه الدولة الكثيرية وتوليه قيادتها . ثم انه لم يشرك الامير محمد بن بدر فى ولاية شبام مع أن أباه كان واليا فيها وليس امتناع السلطان بدر عن ذلك لشىء سوى ضعف شخصية الامير محمد وعدم مقدرته للقيام بأمر شبام ، ولكن الامير محمد عد حرمانه من السلطة اسقاطا لقدره . ولقد قوى هدا الحزب السياسى واتسع نفوذه حيث تدخل فى الاحكام وعاكس أوامر كان يصدرها السلطان بدر ولكن السلطان بدر أدرك أغراض ذلك الحزب ومايحوكه ضده من الاعمال وخشى على مركزه من السقوط ، لذلك ألقى القبض على

الامير بن محمد بن عبد الله ومحمد بن بدر وزجهما في السجن وأرسل انذاراته الجبارة لبقية أعضاء الحزب وهددهم بالويل متى عادوا المعارضة والمماكسة والتحريض ضد السلطة الحكومية ، وظل الاميران محبوسين في حصن مريمة حبسا احتياطيا سريما حتى توفى الأمير محمد بن بدر الكثيري في رمضان سنة ٩٤٩ بعد أن قضى ستة عشر سنة ، وفي سنة ٩٥١ سعى بعض عقلاء آل كثير لدى السلطان بدر لاطلاق سراح الأمير محمد بن عبد الله من السجن فأجابهم الى ذلك وسافر الامير محمد الى الحجاز

ارسال جيش لفك حصار الترك

في سنة ٩٤٥ أرسل السلطان سليمان العثماني جيشاً الى اليمن تحت قيادة وزيره سنان باشا الارناؤطي ولما وصل هـذا الى عدن طلب الى أميرها عامر بن داود أن يسمح لجيشه بالنزول في عدن لشراء حاجياتهم وكان القائد قد أوعز لهم بأن يغدروا بأهل عدن ولما كانوا هناك ألقوا القبض على الوالي عامر بن داود وعلى من حوله من لاعيان وأتوا بهم الى القائد سليمان باشا فشنقهم هذا وصلبهم ثلاثة أيام واحتل عدن وبقتل عامر بن داود انقرضت الدولة الطاهرية التي هي من الدول الشافعية التي حكمت اليمن وقامت بمحاربة البرتغال والترك [1] وأحدث فتن أئمة

---

(١) قال الكبتن بليفر في كتابه « A History of Arabia » : ان عدد البرتغاليين الدين هجموا على عدن سنة ٩٢٠ هو ٢٥٠٠ منهم ثمانمائة جندي من السود وفازوا في البداية ثم هزموا بعد أربعة أيام

الريود . ثم أرسل سنان باشا جيشه للهجوم على الشحر واحتلالها ولكن السلطان بدر بوطويرق الكثيرى استعد للطوارىء حيث حصن الشحر برجال من قومه وأرسل سفنه الحربية تطوف بين الشحر والمكلا فعاد الجيش التركى خائبا مخذولا ثم توجه الجيش التركى الى اليمن لاحتلالها ولكن اليمانيين ثاروا جميعا ضد الترك وحاصروهم فى زبيد وثار أهل عدن ضد الحكم التركى وولوا عليهم على بن سليمان البدوى صاحب خنفر وذلك سنة ٩٥٣ ولشدة كراهية العدنيين للترك لقتلهم الوالى عامر بن داود فقد تعاهدوا مع البرتغاليين على أن يكونوا يداً واحدة ضد الترك

ولما بلغ ذلك الى السلطان بدر الكثيرى خاف أن يقوى نفوذ البرتغاليين فى عدن ويستولوا على حضرموت وقد منع الترك عنها لذلك أرسل جيشه الى زبيد لفك حصار الترك ، وألزم أهل اليمن بطاعتهم ليتمكنوا من سحق البرتغاليين وفعلا ساروا بالجيش التركى واخضرمى الى عدن واحتلوها سنة ٩٥٤ بعد أن جاءهم المدد من داود باشا من مصر وقتلوا على بن سليمان البدوى والى عدن وبعضا من رجاله . وقضوا على سلطة البرتغاليين وبددوا جمعهم ، وهكذا عادت عدن للحكم التركى كما أصبحت اليمن خاضعة لهم بفضل السلطان بدر بوطويرق الكثيرى

اعترافه بالطاعة للترك وعزله من الحكم

فى سنة ٩٧٠ اعترف السلطان بدر بوطويرق الكثيرى للترك بالطاعة

والولاء والسبب مجهول ، ولعله لما رأى اليمن وعدن وظفار خضعت للترك خاف أن يحدث من جيرانه مالا تحمد عقباه من هجوم وعدوان وليس لديه من العدد والمدد مثل ما عند الترك ثم انه أراد أن يوطد العلائق ويشد صلات الولاء بينه وبينهم ، لذلك اعترف لهم بالطاعة ، وأرسل الى القسطنطينية هدايا فاخرة منها بعض أسرى من الافرنج فى واقعة الشحر مع البرتغال (١)

وقد أشار الى ذلك شاعر حضرموت فى القرن الحادى عشر الشيخ عبد الصمد با كثير من قصيدة يمدح بها السلطان عمر بن بدر :

قمتم بحق ابن عثمان وطاعته محبةً هى منكم عن أب فأب
كمثل ما أسر الافرنج من قِدَم أبوك بدر بن عبد الله ذو الحسب
ساروا بهم فى وثاق الاسر قد صفدوا بعضاً وبعضهمُ قد غل باللبب
هناك كان الى اصطمبول مقدمهم الى سليمان يالله من عجب
وبعدها فى زبيد حيث طال على عساكر الروم (٢) ضيق الحصر والتعب
أرسلتم المال والأمداد نحوهم وكل غال من المشحوم والذهب

ولكن بعضا من كبراء عشيرته لم يوافقوه على ذلك كما عارضوه فى

---

(١) هم جماعة من القرصان البرتغال كانوا يطوفون فى البحر العربى فهجموا على الشحر واحتلوها ولكن السلطان بدر سرعان ماقضى عليهم وأسر منهم كثيراً

(٢) يعنى بالروم هنا الترك لأن تسمية الترك بهذه الكلمة كانت شائعة فى ذلك الزمان

إرسال النجدة لفك حصار الترك فى زبيد ونقموا عليه ورموه بالجبن وفى مقدمة هؤلاء الناقين ابنه الأمير عبدالله بن بدر الكثيرى ومما زاد الطين بلة سكوته إزاء معارضة أهل هينن للحكم الكثيرى وقطع علاقتهم بسيون واعلانهم الاستقلال التام لذلك جمع الامير عبد الله بن بدر بعضا من أعيان آل كثير وكون منهم حزبا يعاكس سياسة أبيه ويعارضه فى أكثر أوامره وفى شهر صفر سنة ٩٧٦ دخل على أبيه وهو فى قصره بسيون وخلعه وتولى الحكم هو وأخوه جعفر بن بدر ، ولقد أحدث ذلك العزل دهشة عظيمة فى البلاد فمن الناس من عاب الامير عبد الله على خلعه أباه من الحكم وهو منقذ الدولة الكثيرية من الضياع ومحييها بعد موتها ومنهم من أعجب بجرأته وأكبر فيه همته وغيرته ، والحق أن عزل الأمير عبد الله أباه من الحكم يعد جرأة ليس لها مثيل فى التاريخ الحضرمى وهو معذور فى ذلك بعض العذر إذ أن أباه لم يهتم بتوسيع نطاق الملك كما كان فى أول أمره بل ولم يعمل لاسترداد هينن التى خرجت عن حكمه ، أما الاعتراف بالطاعة للترك فهو وإن كان يظهر للبعض أن فيه عيبا فلم يأت بضر للبلاد ولم ينقص شيئا من استقلال الدولة الكثيرية إذ لم يكن هناك من الترك من قام بأمر من أمورها أو ناب عنها فى شأن من شؤنها الخاصة أو العامة فجميع ولاة الأمور كانوا حضرميين ومن صميم آل كثير فالاعتراف بالطاعة إنما كان اعترافا اسميا لا غير

لم يعارض السلطان بدر بوطويرق فى عزله ولم يعمل لاعادة مركزه

واعتلاء عرش الملك ولو نهض لذلك لوجد أنصاراً كثيرين من قومه ومن القبائل الموالية لحكومته ومن الدولة العثمانيـة ومن أمراء اليمن لما له من النفوذ العظيم والشهرة الواسعـة النطاق ولكنه رضى بالعزل وأخلد الى السكون والصمت ولعله رأى أنه إذا قام بالمطالبة يجلب الشقاق والخصام والخراب للبلاد والعباد إذ الحرب لابد أن تثور بين الطرفين ولا بد أن تسيل الدماء وتذهب أرواح كثير من رجال الدولة وغيرهم فهو أخلد الى السكون حباً فى جمع الكلمة وتأليف القلوب وتوحيد الصفوف وتوطيد السلام . وفى سنة ٩٧٧ توفى عظمته فى سيون وعمره ٧٥ سنة ولقد تولى الحكم نحو خمسين عاما بنى له فى خلالها مجداً لايمحى وذكراً حسناً لايزول ولقد ساد لوفاته الحزن والأسى أرجاء البـلاد وبكاه الشعراء والعلماء والفضلاء ونعته الدولة العثمانية وولاة اليمن

أما السلطان عبد الله بن بدر الكثيرى فقد اتخذ مدينة سيون مركزاً لحكومته وأرسل جيشه الى هينن وأخضعها لحكمه ثم استولى على الهجرين وحورة ووادى عمـد ودوعن وتوفى سنة ٩٨٤ وقد ساس البلاد بحزم وكياسة وقام بالأمر بعـده ابنه السلطان جعفر بن عبد الله الكثيرى ولم يكن كأبيه فى السياسة والحزم والعزم حاول احتلال بلاد نهد فحاصرهم من نواحى هينن والعجلانية والهجرين وحورة وعندل ومنع وارداتهم من الدخول فى أسواق هينن والهجرين فحقدت عليه نهد حتى قتله الخلفان سنة ٩٩ وقام بالأمر بعده السلطان عمر بن بدر العادل ففك

حصار نهد وسمح لهم بالسير فى أى بلد يريدونه وبذل مجهوده لنشر الامن فى أنحاء البلاد وشجع الناس على نشر العلم وأجزل العطايا للعلماء والفضلاء فارتاحت الناس فى عهده واطمأنت النفوس وكثر الخصب وزكا الزرع وزاد الرخاء ورخصت الاسعار وفى سنة ١٠٢١ توفى فى الشحر فحزنت عليه الأمة أشد الحزن . كان حسن الشمائل محمود الأوصاف وافر العقل كثير العدل وكان نصيره وأمينه ومعينه الجم فى الآراء والأفكار كاتبه الشاعر الكبير السيد عبد الصمد بن عبد الله باكثير فقد اختصه بغرر مدائحه وعيون قصائده وكان منه بمنزلة البحترى من المتوكل والمتنبي من سيف الدولة فمن شعره فيه قوله من قصيدة يمدحه :

حبيبي أقاني فى هواك من الجفا ... فقد شفنى منك التباعد والهجر
وطال سهادى واشتياقى ولوعتى ... ومن مدمعى فوق الخدود جرى نهر
عشقتك حتى رق فيك تغزلى ... ولولاك لم يملأ دفاترى الشعر
صفاتك لا يحوى نظامى أقلها ... كجود ابن بدر لايرام له حصر
إذا نابنى خطب الزمان فاننى ... الى عمر الخيرات ينتهى السفر
مواهبه موصولة بمواهب ... اذا ضنت الأنواء واحتبس القطر
الى جوده تحدى الركائب فى الفلا ... يقلقلها الارقال فى البيد والزجر
اليه انبرت حتى طوت كل فدفد ... تساوى لديها حندس الليل والفجر
الى ماجد لا يمنع الوفد رفده ... ولا كفه جعد ولا سيبه نزر
وأنفس ذخر عنده بذل ماله ... اذا غيره كنز الكنوز له ذخر

ولما مات رثاه بعدة قصائد منها قوله :

اليوم أطلقت الدموع وأضرمت ... بين الضلوع لواعج البرحاء
موت ابن بدر هد أركان القوى ... منى وزعزع جانب الحوباء
عمر بن بدر خير من يُدعى إذا ... خطب أتى بملمة دهياء
اليوم ندعوه فلا يصغى الى ... داع دعا ، ياضيعة الشكواء !
أضحى (المصبح) بعده متنكرا ... والبرج أمسى موحش الأرجاء
قمر هوى من أفقه فأوى الى ... بطن الثرى فهو القريب النائى
نبكى عليه وفي الضمائر لوعة ... لاينطفى وهاجها بالماء
ما أنصفته مدامع نبكى بها ... ما لم تكن ممزوجة بدماء

ورثاه بقصيدة أخرى مطلعها :

هوى من سماء المجد كوكبها القطب ... فأظلم فى أقطارنا الشرق والغرب

قام بالامر بعده ابنه السلطان عبد الله بن عمر الكثيرى واقتفى أثر أبيه وقد نافسه فى الحكم أخوه الامير بدر بن عمر ونازعه فى السلطة وكادت الحرب تثور بينهما لولا وجود أفراد من عقلاء آل كثير بذلوا جهودهم العظيمة فى التوفيق بينهما واصلاح ماشجر من خلاف ثم سافر السلطان عبد الله بن عمر الى مكة لأداء الفريضة وتوفى هنالك سنة ١٠٤٥ وكان رحمه الله حسن الخلق والخلق مهاب النظر ولى الملك فأحسن القيام به ثم قام بالامر بعده ابنه السلطان بدر بن عبد الله الكثيرى كان على جانب عظيم من المكر وبعد النظر ولكنه كان ظالما جائرا قاسيا مستبدا

متعصبا لآرائه إذا أراد شيئا أو أصدر أمراً نفذه فى الحال حتى ولو كان يخالف الشرع وينافى العقل والعرف كان جشعا هلعا فى المال يجمعه لنفسه بوسائل غير شرعية ولا قانونية والويل لمن يمتنع عن دفع مايريده . علم أن عمه الامير بدر بن عمر الكثيرى نازع أباه فى الحكم وحسده وحقد عليه فلا بد أن يعيد ذلك الدور معه لذلك احتاط لنفسه فقد استمال قلوب بعض الناس اليه بالعطايا الجزيلة والهبات الوافرة فالتف حوله المنافقون من رجال الدولة وصاروا طوع أمره ورهن إشارته ولما رأى الأمير بدر ابن عمر ميل الناس الى السلطان بدر بن عبدالله سعى بكل جهده فى تنفيرهم منه وعدم الخضوع لحكمه وبذل كل مستطاع لتكوين حزب يناوئه ويعاكسه ولكنه لم يفلح فى مساعيه حيث لم ينضم الى حزبه سوى أفراد من أقربائه الاحرار المخلصين ولما رأى خيبة أمله أرسل الى امام اليمن يطلب اليه إرسال جيش لاحتلال حضرموت ولما علم السلطان بدر بذلك غضب على عمه غضباً شديداً وألقى القبض عليه وسجنه وحين بلغ الامام المتوكل على الله اسماعيل ذلك أرسل الى السلطان بدر بن عبد الله يأمره باطلاق سراح عمه من السجن ويهدده بالويل والثبور اذا لم يطلقه ولكن السلطان بدر لم يهتم بتهديد الامام ولم يقم لكلامه وزنا وفى شهر صفر سنة ١٠٦٥ جهز الامام المتوكل عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة أحمد بن الحسن ابن الامام الى بلاد بنى أرض ليمهد طريقه الى حضرموت فثار آل رصاص لمحاربته ولكنهم هزموا وقتل قائدهم حسين الرصاص وقطع رأسه وأرسل الى الامام ثم زحف الجيش الى يافع والتحمت الحرب

بين الطرفين فانتصر عليهم الزيود بعد ان جاءهم المدد من صنعاء ولما بلغ السلطان بدر بن عبد الله الكثيري انتصار جيش الامام على يافع أطلق سراح عمه وأخرجه من السجن وأعلن الطاعة للامام كيلا يأتي الزيود ويحتلوا حضرموت فأرسل الامام صالح بن حسين الجوفي الى حضرموت فوجد الامر على حقيقة ثم جعل الامام الامير بدر بن عمر الكثيري والياً على ظفار

لم يكتف السلطان بدر بن عبد الله بولاية حضرموت وأراد الانتقام من عمه بدر بن عمر الكثيري والى ظفار من قبل الامام ففي سنة ١٠٦٨ جهز جيشا وسار به الى ظفار واحتلها وهرب الامير بدر بن عمر الى الامام واستنجد به فأمره الامام بالبقاء في ضوران ريثما تهدأ الاحوال ثم أراد الامام أن يزيل ما بين الأميرين من البغضاء والشحناء ويصالحهما بالوسائل السلمية ولكن بعضا من الشعراء ذكروا له قبيح فعل السلطان بدر بن عبد الله وحرضوه على القيام ضده والأخذ بالثأر للأمير بدر بن عمر ولعل هؤلاء الشعراء إنما حرضوا الامام على محاربة سلطان حضرموت بايعاز من الامير بدر بن عمر الكثيري لينتقم من ابن أخيه ثم ان الامير بدر بن عمر وجد تشجيعا من الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي وكان والياً على مقاطعة من مقاطعات وادي دوعن فقد تعهد له هذا بأن يضم الى صفه قبائل دوعن ضد السلطان بدر بن عبد الله الكثيري لذلك ألح الأمير على الامام في التجهيز على حضرموت وتكفل له بالطاعة والخضوع لحكمه فلم ير الامام بدا من التجهيز

خروج الزيود الى حضرموت

(سيل الليل)

فى يوم ١٥ من شوال سنة ١٠٦٩ جهز الامام المتوكل على الله اسماعيل جيشاً تحت قيادة احمد بن الحسن الصفى للاستيلاء على حضرموت والانتقام من السلطان بدر بن عبد الله الكثيرى فسار الجيش فى طريق خولان ومأرب وبيحان وبلاد العواالق ؛ ولما وصلوا وادى حجر لاقوا كثيراً من المصاعب والمتاعب لوعورة الطريق وانقطاع المدد وكادوا يخلون الطريق ويموتون جوعا لولا أنهم أكلوا لحوم الحمر ولما وصلوا عقبة بامسدوس وجدوا جماعة من جيش السلطان بدر بن عبد الله مرابطين هنالك فزحف الصفى بجيشه وهزمهم ثم انحدر الى الهجرين بعد أن ضم اليه بعض قبائل نوّح من أهالى حجر ونارت الحرب بينهم و بين آل محفوظ وجاء نهد لينضموا فى صف آل محفوظ ولكنهم وجدوا الصفى قد احتل البلد وأباحها لعسكره يقتلون و يعذبون وينهبون ويسلبون ثم سار الى هينن فخرج السلطان بدر بن عبد الله بقومه لملاقاته وهم ينشدون قول الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فثارت الحرب بين الفريقين ودامت أياماً كاد الحضارم ينتصرون فيها على العدو لولا أنه كان لديه من السلاح ما ليس لديهم ولولا أنه كان يعرف من فنون الحرب مالا يعرفه الحضرميون لذلك انتصر عليهم بعد

أن سالت الدماء وذهبت أرواح المئات من الطرفين ثم سار الى شبام واستولى عليها قهراً بالسيف ، وكان الزيود فى طريقهم من المجرين الى هينن ومن هينن الى شبام يقتلون كل من يلاقونه أمامهم من الرجال والنساء والولدان لذلك سماهم الحضرميون سيل الليل . ولما رأى السلطان بدر بن عبد الله وحشية عدوه وجلافته وفتكه وتنكيله بالاهالى ورأى انتصاراته تترى أعلن الطاعة للامام حقناً للدماء وحفظاً لأرواح الضعفاء من الشيوخ والعجزة والنساء والولدان . ولكن الصفى ألقى القبض عليه وأرسله الى الامام المتوكل فسجنه هـذا أياماً ثم سمح له بالعودة الى حضرموت [١] . أما احمد بن الحسن الصفى فقد عاد من حضرموت الى اليمن ولديه من الغنائم والمكاسب ماليس له حصر . قال الكبسى : « وقد عاد مولانا احمد من حضرموت فى أبهة عظيمة ومملكة جسيمة وقد فاز

---

(١) قال الكبسى فى كتابه « اللطائف السنية » ثم تقدم الى بلاد المحرين ولم يبق الى محل السلطان عمر (كذا) غير مسافة يومين (كذا) فتلقاه الحضارم ركبانا ورجالة وقاتلوا فى صف سلطانهم لامحالة فأطلقت عليهم الرصاص المذابة ووجه اليهم الردى أسبابه فقتلوا فى الاودية والشعوب وجروا على الاذقان والجنوب وانهزم السلطان من هينن الى شبام وقد طرأ عليه بساط الاحكام ودخل الصفى على منازل ذلك البدر ولما سقط فى يد السلطان عاد الى الطاعة بعـد العصيان وصلحت الأحوال ورجع الصفى فى أنعم بال وأطيب حال وأرسل الصفى بالسلطان بدر الى حضرة الامام فاستبقاه الامام أياماً ثم سمح له الى دياره وتوفى بجهته بعـد عوده اليهـا »

بخير الدنيا والآخرة (كذا) » . أراد الامام أن يولي ابن أخيه الحسين ابن الحسن على حضرموت فامتنع فأرسل أحد أقاربه اليها ولما جاءها لم يقابله الحضارم باحترام ولم يخضعوا له ولم يقيموا له وزنا ولا ثمناً فعاد الى اليمن غير مأسوف عليه ولا محمود فاضطر الامام بعد ذلك أن يجعل السلطان بدر بن عمر الكثيري واليا من قبله على حضرموت فكان ذلك وفي سنة ١٠٧١ شعر جماعة من عقلاء آل كثير بسوء عاقبة التنافر والتشاحن والتنازع القائم بين السلطان بدر بن عمر وابن أخيه السلطان بدر بن عبد الله ووجدوا أن تنازعهما على السلطة مصدر الرزايا ورسول الخراب رأوا أن الخلاف القائم بينهما هو السبب الوحيد لاستيلاء الامام على حضرموت ولقتل كثير من الأبرياء ولذهاب أموال لا تحصى لذلك سعوا بكل مقدورهم لازالة الشحناء والبغضاء بين الأميرين ولايجاد الوفاق والوئام بينهما ولقد نجحوا في مساعيهم الشريفة حيث تسامح الأميران وتناسيا ما حدث فيما مضى من شقاق وقتال وارتبط كل منهما بالآخر ارتباطا متينا وساد عليهما الحب والولاء والوئام ففرح الشعب لذلك فرحا عظيما وجاءت رؤساء القبائل تهنيء الاميرين بالصلح وتشكرهما لجنوحهما للسلم والاخاء والوئام

ظل السلطان بدر بن عمر الكثيري يحكم حضرموت من قبل الامام وكانت العلائق بينه وبين اليمن متينة والصلات قوية ولما توفي قام بالأمر بعده ابنه السلطان عمر بن بدر ثم عيسى بن بدر وفي سنة ١٠٧٩

قام أهل ظفار مع جماعة من الحضارم بالتحريض ضد الامام لحور عامله ابن الشيخ زيد خليل وحاصروا هذا الوالى فى قصره ومنعوا عنه القوت واعتدوا على سبعة وعشرين من رجاله بالضرب وكادوا يقضون عليهم. ولما بلغ ذلك الى الامام أرسل مولاه عثمان بن زيد ولكنه رجع من ظفار خائبا فقد كاد يقتله الثائرون. استمرت هذه الاضطرابات والقلاقل شهوراً وأخيرا طرد الثائرون الوالى ابن الشيخ زيد خليل وقطعوا كل علاقة باليمن وأظهروا الطاعة للسلطان عيسى بن بدر الكثيرى وهكذا خلعت ظفار طاعة اليمن قبل أن تخلعها حضرموت وفضلت حكم الكثيرى على حكم الامام ولقد كان من المنتظر أن يرسل الامام جيشا لاسترداد ظفار وإخضاع أهلها لحكمه ولكنه لم يفعل لاشتغاله باخماد الفتن الداخلية التى اشتعل لهيبها فى أرجاء اليمن ولما توفى السلطان عيسى ابن بدر الكثيرى قام بالأمر بعده السلطان حسن بن عبد الله ابن عمر الكثيرى



الدولة الكثيرية
فى دورها الثالث

فى سنة ١٠٩٠ استفحل تنازع امراء اليمن على السلطة واستبد كل منهم فى مقاطعته فكان محمد بن مهدى مستقلا بشئون الحجرية وأعمالها والحسن بن الحسين برداع وعلى بن أحمد بمدينة صعدة وأعمالها والحسين ابن محمد بن أحمد أبو طالب مستقلا ببلاد حاشد وبكيل وحسين بن المتوكل فى صنعاء . قطع كل من هؤلاء بالآخر واشتد النزاع والخصام وكثرت الفتن وثارت القلاقل وتعدد مدّعو الامامة والزعامة وظهر بينهم أفراد لهم معتقدات شاذة فتفاقم الخطب وعم الفساد والظلم

قال الكبسى فى كتابه (اللطائف السنية) : « وكان الامام يتوجع من سيرة بعضهم فى الرعية على غير ما يبيحه الشرع الشريف »

وفى سنة ١٠٩٣ ثار على الامام المهدى سلاطين يافع وآل رصاص والعوالق وحصلت معارك دموية بينهم وبين جنود الامام فى خرفة وقمطبة والبيضاء ولحج وجبن وأبين والزاهر والخربة والمسال وغيرها من بلاد اليمن وكان النصر حليف يافع وحلفائهم . قال الأمير أحمد بن فضل العبدلى فى كتابه (هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن) عند ذكر استيلاء الامام على حضرموت « .. وهذه أول مرة امتدت فيها يد أئمة صنعاء الى هذه الجهات ثم ضعف أمر أئمة اليمن ، وكثرت الفتن

فيهم وتعدد مدعو الامامة . وكان امراء البلدان المذكورة وسلاطينها وقبائلها لم يزالوا يتمسكون بالاستقلال ويناجزون الأجناد الامامية ، ووقفت سلطنة يافع وقفتها المشهورة فى وجه الدولة القاسمية التى أنهكتها الحروب المستمرة حتى كتب النصر ليافع « هكذا تزايد اختلال دولة اليمن وعمت فى أرجائها الاضطرابات والقلاقل . وفى أواخر سنة ١٠٩٣ انتهز السلطان حسن بن عبد الله بن عمر الكثيرى ضعف الدولة الامامية واختلال أمورها واضطراب شؤنها فاظهر الاستقلال التام وخلع طاعة الامام وقطع جميع علائقه باليمن وقام بالأمر بنفسه ، وكان سياسياً حازماً حسن التدبير محبوباً لدى الناس حسن السيرة عادلا جمع شمل قومه ووحد كلمتهم وقربهم اليه حالف نهداً وآل محفوظ وآل مساعد والعوامر وآل تميم وقوى بينه وبينهم روابط الود وصلات الولاء وتعاهد معهم على أن يكونوا جميعاً يداً واحدة ضد كل من يريد احتلال حضرموت فتكونت بذلك قوة عظيمة لو وجهت الى اليمن لاستولى الحضارم عليها . وكانت انضمت الى الحكم الكثيرى

توفى السلطان حسن بن عبد الله الكثيرى وقد ساس الناس بما عرف من الحزم وحسن التدبير والمحافظة على العدالة والأمن ، وقام بالأمر بعده السلطان على بن بدر الكثيرى ولم يكن كسابقه فى السياسة وحسن السيرة لم يعمل لتنشيط العلائق والروابط بينه وبين القبائل المجاورة له ولم يهتم بالمحافظة على العدالة ومراقبة الأمن وتوفى سنة ١١٠٧ ثم بعده السلطان عيسى بن بدر وكان هذا ضعيف الارادة سليم النية قصير النظر

ترك شؤن الدولة لمن دونه من الرؤساء والولاة وقبع هو في قصره واعتزل الناس وما يعملون ، وكان يافع أصحاب النفوذ المطلق والكلمة النافذة ، ففي شبام الموسطة وفي سيون الظّنّي وفي تريم آل ليعوس وفي الشحر آل بريك كل هؤلاء كانوا يصدرون الأوامر وينفذون باسم السلطـان عيسى بن بدر الكثيري ، ولقد اتجهت أنظار الرعايا الى الولاة ورؤساء الدولة وأمسى السلطان عيسى نسيا منسياً لايعرفه غير أهله ولا يجتمع به سوى أقربائه وهو بذلك مسرور كل السرور بما رزق به من الشهية للطعام واللذة في النوم . أصبح يافع (الرتب) في شبام وسيون وتريم والشحر يصدرون الاوامر وينفذون الاحكام بأسمائهم وتحت مسؤليتهم ، ولقد هب جماعة من آل كثير واستحثوا قومهم على القيام ضد يافع لاسترداد سلطتهم المفقودة ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا لأن مقـاليد الامور بيد يافع والحصون وما فيها من الذخائر تحت أيديهم ، لذلك هدأ آل كثير والتزموا السكوت والصمت .غير أن أحد أبطـالهم وهو عمر بن جعفر الكثيري لم يهنأ له عيش ولم يطمئن له بال ولم يهدأ له هاجس ، استنكف الخضوع والخنوع ، لم يود أن يكون محكوما بعد أن كان حاكما ومرؤساً بعد أن كان رئيسا . أزمع وأجمع على اعادة ملكه واسترداد بلاده مهما كلفه ذلك من التكاليف الهائلة ومهما اعترضته العراقيل ، وقامت في سبيله العقبات جس نبض قومه وجاس خلال ديارهم لتكوين قوة وتوحيد كتلة للوصول الى غرضه الشريف ، فرأى الجو غير صالح لذلك والظروف لاتساعده فيما أراد ، ورأى أنه ليس من الحكمة ولا من الشجاعة أن

يدفع قومه لحرب يافع الذين يدهم الحصون والمعاقل والمؤن والذخائر ، فسافر الى الشحر سنة ١١١٧ للاستطلاع على الحالة السياسية هنالك فرأى أنه من السهل أن يفاجىء الشحر بقوم من الخارج فصار يكاتب إمام اليمن ويستنجده وتكفل بأشياء

ولما آنس فيه الرضاء سار اليه وحثه على إرسال النجدة فأمر الامام الحريبي عامل تهامة بجمع العسايس لديه من حاشد وبكيل وأن يجهزهم فى البحر للرحيل الى الشحر فتباطأ الحريبي فى تجهيز الجيش لأنه يعتقد أن الهجوم على يافع على جانب عظيم من الخطورة فأنبأه الامير عمر بن جعفر الكثيرى أن احتلال الشحر ليس بعسير لأن عدد يافع فيها قليل وأنهم اذا فوجئوا بالهجوم فليس فى استطاعة قومهم بحضرموت الوسطى أن يرسلوا اليهم المدد لبعد المسافة وطول الشقة فأرسل الحريبي جيشا تحت قيادة الامير عمر بن جعفر الكثيرى ، ولما وصل الى الشحر وقد انتصف الليل وساد المدينة الهدوء والسكون هجم بجيشه فهب الناس من مراقدهم وذعروا لوجود الاعداء بينهم وحق لهم أن يذعروا إذ لم يطرأ على بالهم ذلك الهجوم ولم يدر بخلدهم ذلك الاحتلال وما كانوا يعتقدون أن الامير عمر بن جعفر الكثيرى وقد كان بالأمس يجالسهم ويسامرهم كضيف كريم يأتى بجيش من اليمن ويحتل البلد ولكنها السياسة فوق كل شىء وهو معذور فى ذلك بعض العذر لأنه انما كافح وجالد لاسترداد ملكه الذى اشتراه آباؤه من كندة بالدم واستولى عليه يافع عفواً بلا تعب

ومما يجدر بالذكر أن الامير عمر بن جعفر لم يسمح لجيشه الزيود

بقتل أى شخص من يافع وغيرهم كما أنه منعهم عن السلب والنهب وأذى الناس الأمر الذى جعل بعض الجنود ينقمون عليه ويرمونه بالجبن ذلك لأنهم يعتقدون أنهم لم يأتوا لانقاذ ملك الكثيرى فحسب بل وللنهب والسلب أيضا كما فعل سلفهم فى أيام احمد بن الحسن الصفى (سيل الليل)

لما تم له احتلال الشحر استدعى جماعة من قومه وولاهم بعض الامور ثم عزم على مهاجمة يافع فى حضرموت الداخلية لاسترداد ما بقى من ملكه فى أيديهم فوجد أن ذلك مجازفة وأنه من الخطورة على جانب عظيم فان الحصون والمعاقل فى أيديهم وفى صفهم نهد وآل تميم ففضل البقاء فى الشحر ثم أعاد الجيش الى اليمن بعد أن زودهم بالهدايا والمال للامام . ولما رجع الجيش الى اليمن ثار يافع ضد السلطان عمر بن جعفر وخلعوا طاعته وأظهروا الاستقلال التام فانسحب الامير عمر بن جعفر من الشحر الى اليمن محسوراً مقهوراً . كان ذلك كله بدون أن يحدث قتال بين الطرفين وانما لغلطة الامير عمر بن جعفر نفسه فقد أعاد الجنود اليمنية ولم يحصن نفسه ولا بلده بقوم من عشيرته . ولما وصل الى صنعاء مكث هناك حتى اذا قام بأمر اليمن المتوكل القاسم بن الحسين قام يحرضه على إرسال جيش الى حضرموت

وفى سنة ١٢٢٩ انتخب الامام ٤٠٠ من أبطال دهمة وجعل عليهم الأمير عمر بن جعفر فسار بهم الى حضرموت وهجم على الشحر وأخذها

. بعد قتال دام أياماً ثم أرسل ال ٤٠٠ جندى لاسترداد حضرموت الداخلية وقد أشعرهم بأن ينتظروا فى عقبة وادى العين لقبائل آل كثير ليهجموا على يافع ولكن من سوء حظ اليمنيين أنهم لما وصلوا الى عقبة وادى العين لم ينتظروا آل كثير فانحدروا على نهد مغرورين بقوتهم مدفوعين بنشوة الانتصار على الشحر ولم يعلموا أن أمامهم قوماً لايخشون الموت ولما علم نهد بقدومهم اتحدت كلمتهم واجتمعت قلوبهم غاضين النظر عما بينهم من التشاحن والتناحر وأحاطوا بالعدو من كل جانب وقتلوهم عن بكرة أبيهم ولم يسلم أحد من ال ٤٠٠ جندى فتألم الأمير عمر بن جعفر الكثيرى لذلك أشد الألم وأرسل للامام يعتذر له فيما حدث فى اليمنيين وكان المنتظر من الامام أن يرسل جيشاً الى حضرموت يضرب به يافع وآل كثير الذين هم السبب فى هلاك رجاله ولكنه لم يفعل لاشتغاله بالفتن الداخلية فى اليمن .



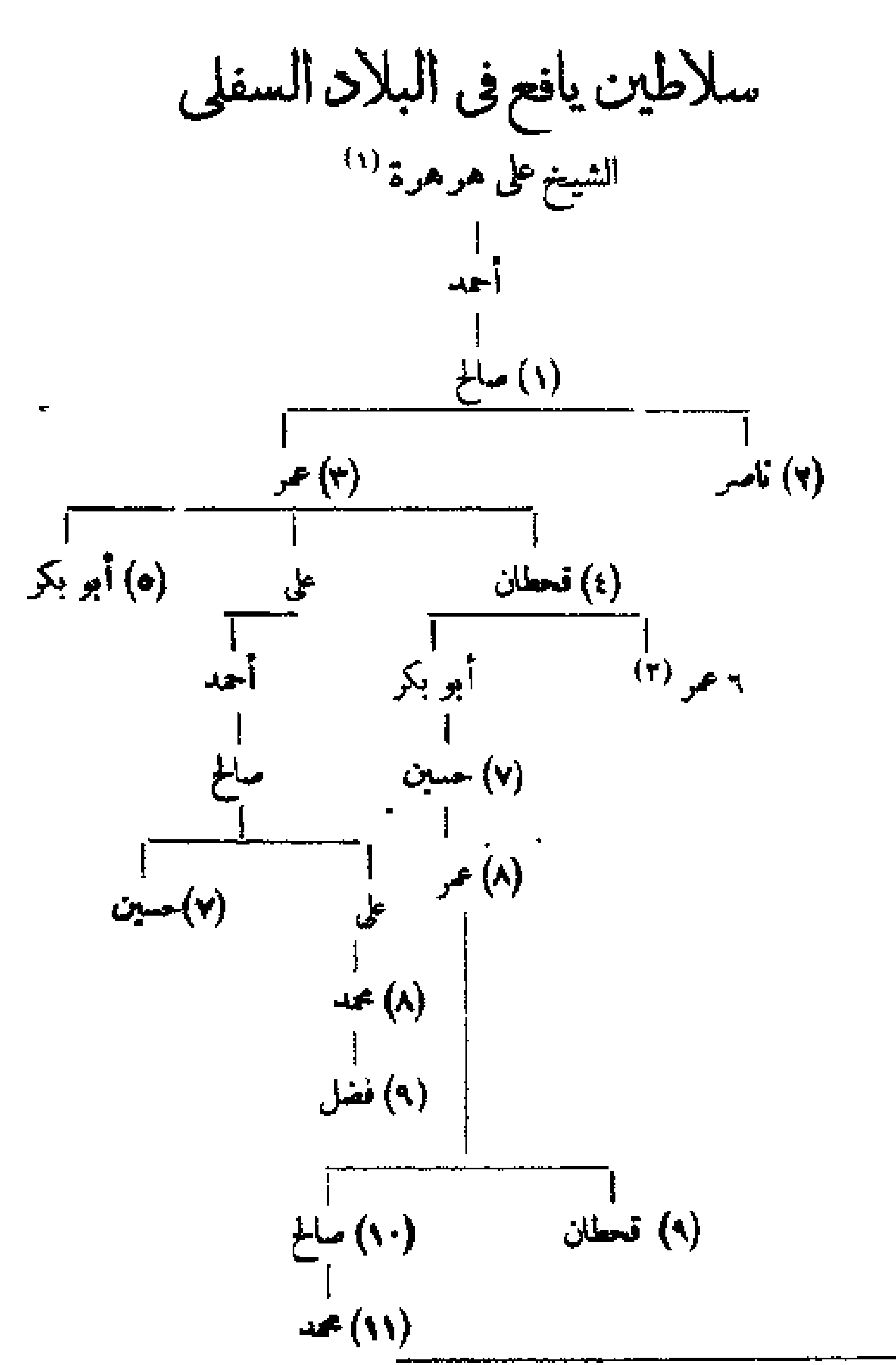
الدولة اليافعية
فى دورها الاول

يافع أعظم قبائل حِمْيَر وأشدها قوة وأصعبها مراساً وأكثرها عدداً ولبسالتهم وكرامتهم وتفانيهم فى النجدة لغيرهم كان يستعين بهم آل رصاص والعوالق والعبادلة[1] حين يهجم عليهم فاتح أو يسطو عليهم جائر ،

(١) العبادلة ومنهم آل محسن سلاطين لحج تحذ من آل سلام من ذرية السلطان محسن بن فضل بن محسن ابن الشيخ فضل بن على بن سلام بن على السلامى وآل سلام تحذ من يافع من بيت كلد قريتهم فى بلاد يافع تسمى بركات وقد كتبت وثيقة بختم السلطان سيف بن قحطان بن عفيف اليافعى هذا نصها « خطنا الكريم ورسمنا العلى الفخيم شاهد بيد الشيخ سلام بن على العبدلى بأنه منا والينا وأنه حليف ولا عليه عرضة من أحد بل هو من جملة كلد . وهذا خطنا شاهد بيده وحسبى الله ونعم الوكيل . بتاريخ شهر رجب سنة ١١٣٥ هـ » قال الأمير أحمد بن فضل بن محسن العبدلى فى كتابه (هدية الزمن) : « وأما آل سلام فمن يافع القارة » وقال « ومن المحقق أن الشيخ فضل كر بمجموع يافع على الجنود الامامية التى فى لحج وأن السلطان سيف بن قحطان جاء بنفسه الى لحج وحصر أصحاب الامام جملة أشهر حتى أرجع الشيخ فضل بن على الى حكم لحج وعدن وأخرجوا منها الرتبة الامامية . وعلاقة الشيخ فضل بن على ومصاهرته بأمراء يافع وتردده الى يافع كل ذلك معلوم » وقال « ولما قتل أحمد بن صلاح السلامى من السعديين انتقلت زوجته وهي من أميرات يافع بأولادها الى يافع وسكنوا مع أقاربهم من أمراء يافع في خنفر ... »

ويستنجدون بهم عند حلول الكوارث وحدوث النوازل فكان يافع يأتون اليهم سراعا ويقاتلون فى صفوفهم ضد العدو دون أن يأخذوا على ذلك أجراً وقد استولى يافع على عدن ولحج وأبين فى عهد العثمانيين باليمن وحكموهامن سنة ١٠٤٢ الى ١٠٥٤ وحاربوا أئمة صنعاءالذين كانوا يرسلون جيوشهم للاستيلاء على البلاد اليافعية واستمرت الحروب بينهم وبين ولاة اليمن عشرات السنين من عهد السلطان صالح بن أحمد هرهرة الى عهد السلطان قحطان بن عمر هرهرة وفى النهاية كان النصر حليف يافع حيث طردوا الجنود اليمنية من حدود بلادهم العليا والسفلى وملحقاتها كلحج وأبين والشعيب وجبن وتعرة والربيعتين والظاهر وجبل حرير وحالمين ثم استمرت الحروب بعد ذلك بين الفريقين حتى نهاية سنة ١٣٣٧ حيث تدخل الانجليز بينهم وعقد صلحاً متيناً . ويبلغ عدد يافع فى بلادهم العليا والسفلى نحو ١٤٠ ألفاً ويقال لهم يافع أو اليوافع أو بنو مالك وهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم وينقسمون الى قبائل كالموسطة والظبي وبنى قاصدوتنقسم القبائل الى أنخاذ وبطون كأنخاذ الموسطة القعيطي والخلاقى وآل نقيب وآل على جابر وآل على الحاج والجهورى والرشيدى والسعيدى والضربى وتتفرع من القعيطى بطون كآل دهرى وآل حداد وآل مدشل وآل محروش وحُمدى والنقيب وغيرهم . وأنخاذ الظبي هم آل هرهرة وآل عفيف والبكرى والمرفدى والمحلى والحضرمى والفضلى وغيرهم

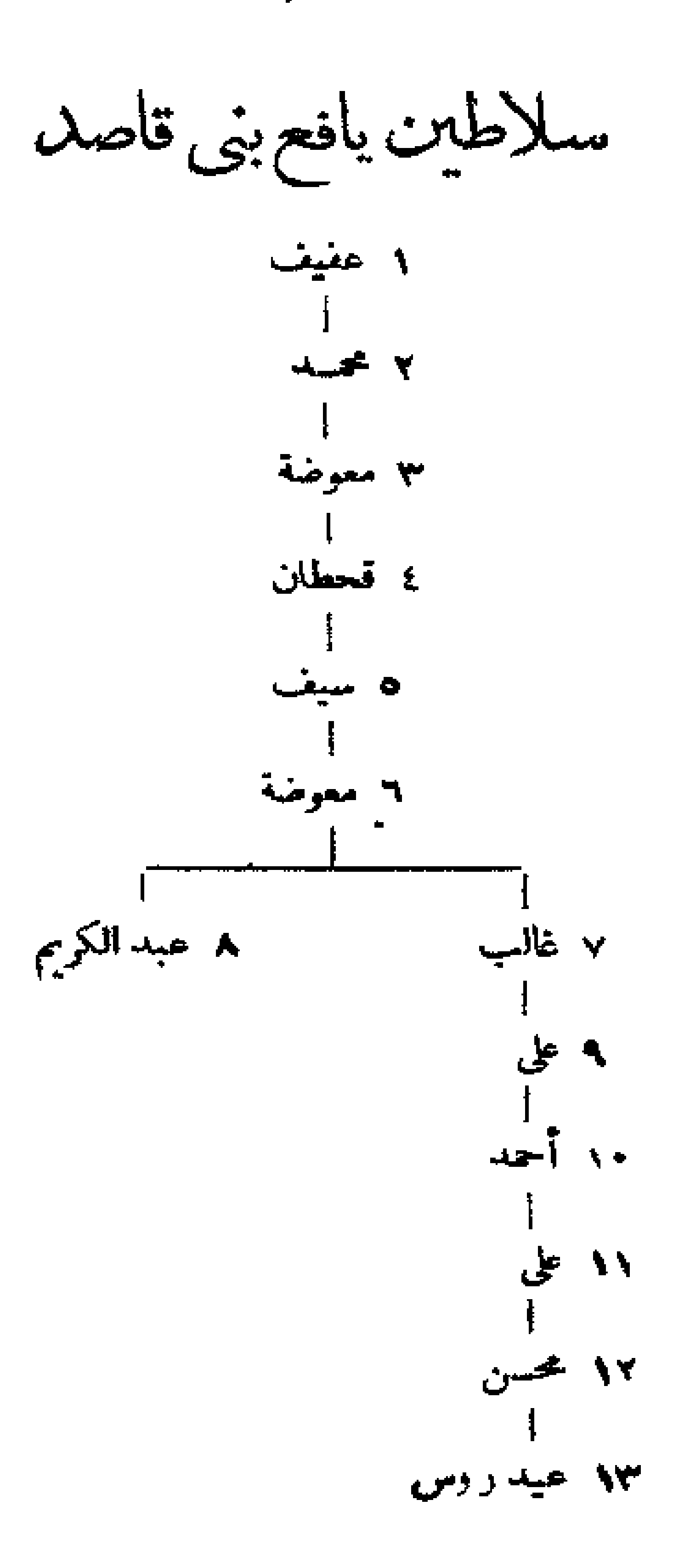
وأنخاذ بنى قاصدهم آل يزيدى والبطاطى والذيبانى والزغلدى والعمرى وآل ظهر بالرايح . وغيرهم



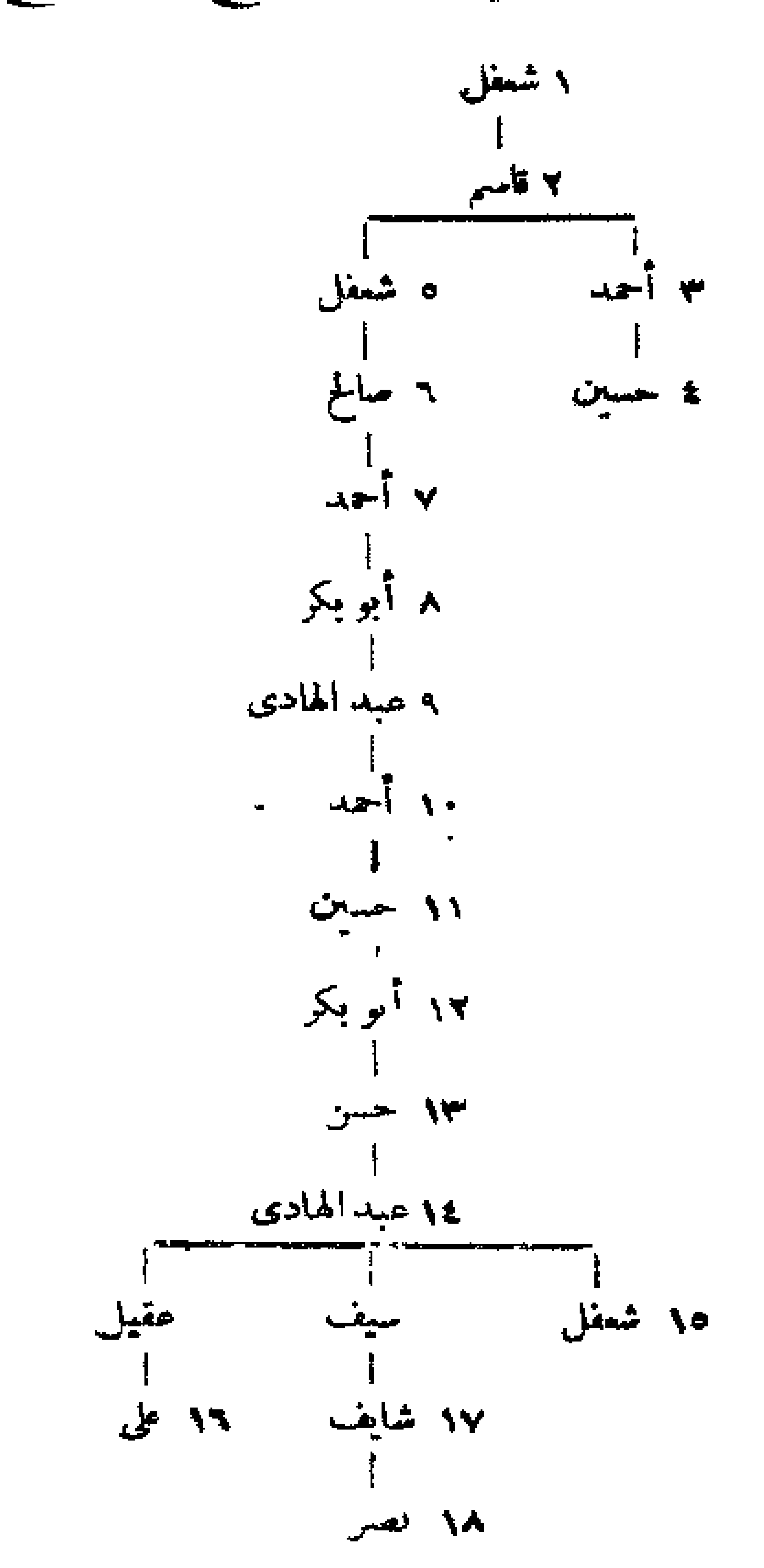
(١) اشتهر الشيخ على هرهرة بالعلم والورع والتقوى والصلاح وكان قاضيا فى يافع ولذلك لقب بالشيخ

(٢) بعد وفاة السلطان عمر انقسم يافع قوات الموسطة الامير حسين بن صالح ووات العلي الامير حسين بن ابي بكر

سلاطين يافع بنى قاصد



أمراء خرفة والضالع من يافع



استقل يافع (الرتب) بالأمر فى تريم وسيون وشبام وملحقاتها وفى الشحر والمكلا وصاروا يصدرون الاحكام باسمائهم وتحت مسؤليتهم ولقد ساعدتهم الظروف على توطيد مركزهم وتوسيع سلطتهم حيث لم يقم آل كثير بمناوأتهم وإثارة الاضطرابات والمشاغبات ضدهم عشرات السنين كما أن القبائل الاخرى لم تعكر صفاء الجو السياسي ولم تعبث بالأمن فكان السلام يسود الحواضر والرخاء باسطاً ذراعيه على البلاد وقد هاجر كثير من بيوتات يافع من بلادهم باليمن الى حضرموت وطاب لهم المقام هناك وهناء العيش .

آل غرامة :

وكان أمير تريم الشرقية عبد الله عوض غرامة اليافعي حازماً يقظا عالى الهمة عزيز النفس علم بحركة بعض آل كثير وتحفزهم لاسترداد ملكهم فأرسل رسله الى يافع فى شبام وسيون ليكونوا على حذر ويستعدوا للطوارىء وعقد مع آل تميم معاهدة صداقة وولاء يستعين بهم عند مسيس الحاجة ثم شرع يعمل للقضاء على دعوة آل كثير ولكن من سوء حظ قومه أنه مات وقام بالأمر بعده ابنه عبد القوى بن عبد الله غرامة وكان هذا قصير النظر ضيق الفكر طائشاً مستبداً ظالماً كان مبغوضاً لدى الناس حتى لدى بعض عبيده وكان متأثراً بسلطة آل باعلوى الروحية الى أقصى درجة

يافع (الرتب) فى الغربية

أما هؤلاء فكانوا بمعزل عن إخوانهم بحضرموت الوسطى وكان

العلائق بينهم كادت تنقطع لاعراض كل من الفريقين عن الآخر وكان اعتمادهم عظيما على حاصل الجمارك ورسوم القوافل التى ترد الى أسواق الشحر والمكلا ولم يكن للجمارك ولا لرسوم القوافل حد معين ونظام معلوم ينفذ على الجميع وإنما كان السماسرة هم الذين يفرضون رسوم الجمارك بحسب عرفهم وكذلك كانت الحال فى رسوم القوافل التى ترد الى شبام فان الامر كان بيد السماسرة

آل بريك :

كان ناجى بن على بن بريك اليافعى أمير الشحر ، ولما مات قام بالامر بعده ابنه على بن ناجى بن بريك وكان من أكبر الشخصيات البارزة كبير العقل عظيم الحلم عالى الهمة شجاعا جواداً ولقد أخضع بحكمته وشدته قبائل الحموم التى كانت تقطع الطريق وتنهب السابلة وتعبث بالسلام

آل كسادى :

كان أمير المكلا المقدام محمد بن عبد الحبيب الكسادى اليافعي وفى أوائل أيامه كانت المكلا عبارة عن أكواخ قائمة على أرضها من غير نظام وكان ميناؤها خامل الذكر قليل الأهمية وكانت الفوضى ضاربة أطنابها هنالك ولكن فى أواخر أيامه تحسن الميناء وانتظم أمره وأزيلت منه الفوضى وتقدم تقدما محسوساً بفضل الامير النبيل صلاح بن محمد الكسادى فقد بذل كل مستطاع لاصلاحه وتنظيمه وعمل كل مقدوره فى جذب المسافرين اليه حتى أصبح ينافس ميناء الشحر ويزاحمه ويقضى على شهرته

ولم يكن اهتمام آل كسادى مقصوراً على اصلاح الميناء وتنظيم شؤنه بل وجهوا أفكارهم نحو أصلاح مدينة المكلا حيث أقطعوا الناس أراضى من غير ثمن ليبنوا فيها دورهم ومنحوا أهل المتاجر التسهيلات حتى انتقل بعض التجار من الشحر والغيل الى المكلا واستوطنوها فانتعشت السوق وازدادت حركة البيع والشراء وأخذت ثروة الاهالى تنمو نمواً سريعا .

ابتداء ظهور مساعى آل باعلوى السياسية (١)

فى سنة ١٢٢١ حاول اسحاق بن عمر بن يحيى باعلوى الاستيلاء على المكلا . كان فصيح اللسان قوى الحجة كبير النفس كثير المطامع وكان متظاهراً بالصلاح والورع والتقوى ، كثير البكاء أمام الناس حينما يسدى لهم نصائحه ويلقى عليهم مواعظه وقد ملك قلوب الناس بتلك المظاهر والمزايا واستعبد العوام لاغراضه ونواياه ولقد جمع مالا كثيراً من النذور والقرابين التى تقدم باسم البركة وجلب الرزق . سافر اسحاق الى بورت سعيد وجمع من القهوات والبارات قوما ورحل بهم فى أربعة مراكب شراعية كبيرة ونزل فى بروم ليعد الهجوم على المكلا ولما بلغ ذلك الى الامير صلاح بن محمد الكسادى اليافعى جمع رؤساء يافع وشاورهم فى الامر وبعد تبادل الآراء أشار عليهم محجم بن على بأن لافائدة من الانتظار وأن الطريقة الناجحة هى الهجوم عليهم ليلا وهم فى غرا باتهم فجهز الكسادى عشرين سنبوكا من يافع وعبيد وأبحر بهم فوصلوا بروم عند مطلع الفجر

---

(١) آل باعلوى ويقال لهم أحيانا العلويون سبق ذكرهم فى صفحة ٩٧

فهجموا على اسحاق وقومه طعناً بالسلاح الأبيض حتى قتلوا أكثرهم وفر اسحاق وبعض رجاله فى مركب وأرسى بشرمة وهناك أنزل فلول رجاله ومدافعه وسار بهم الى الديس بعد أن انضم الى صفه جماعة من الحموم فقابلهم حامية الديس من آل غرامة وعبيدهم فانهزم الأعداء شر هزيمة وهرب اسحاق الى جدة ملوما محسوراً .

وفى أيام أمير تريم عبد القوى بن عبد الله غرامة اليافعى تحرك نشاط آل كثير وانتشرت دعوتهم واتسع نطاقها وكان النبيل عبود بن سالم الكثيرى وهو من أعظم رجالات آل كثير وأكثرهم شجاعة وإقداما يقوم بأعظم قسط من الدعاية لقومه بواسطة محسن بن علوى الصاف باعلوى وعبد الله بن عمر بن يحيى باعلوى وجعفر بن شيخ السقاف باعلوى وكان هؤلاء ومن يلحق بهم من آل فقيه وآل سبايا يتظاهرون أمام يافع بالصداقة والولاء وحسن المعشر وكانوا رحالين بين تريم وسيون وشبام وملحقاتها وحينما يأتون تريم ينزلون ضيوفا فى قصر الامير عبد القوى غرامة اليافعى فيستلمهم الامير ويحتفى بهم احتفاء عظيما ويكرمهم اكراما حاتميا ويتظاهر هؤلاء أمامه بالولاء له ولقومه يافع ويحطون من قدر آل كثير ويرمونهم بالضعف والتخاذل ليثبطوا همته ويوهنوا عزمه ويميتوا فيه روح الحركة والنشاط وكان الامير يأخذ كلامهم عن حسن نية وصفاء سريرة ولا يعلم أن أولئك الضيوف أعداء فى شكل أصدقاء وذئاب فى صورة حملان وكذلك يعمل هؤلاء الجواسيس فى سيون وشبام ويستطلعون أسرار يافع ومكنوناتهم فاذا انتهوا من مهمتهم عادوا

الى آل كثير وقدموا اليهم برامج أعمالهم ودسائسهم و لقد مضت على تلك الحال سنوات انتشرت فى خلالها دعاية آل كثير وسار الزعيم عبود بن سالم الكثيرى الى غرب حضرموت وتعاهد مع العوالق والكرب على الصداقة ليستعين بهم عند الضرورة ولقد أصبحت تريم فى موقف حرج جدا ولكن غرامة لم يأخذ حذره بالرغم عن كثرة تنبيهات بعض آل تميم له والنصائح التى يسدونها نحوه ليكون على استعداد لما عساه أن يحدث من الطوارىء

الفتن بين يافع (الرتب)

كانت أحكام ولاة يافع عادلة ومعاملاتهم مع الرعايا حسنة ثم ساءت حالهم وتغيرت طباعهم وظهروا بمظهر الكبرياء والقسوة والشدة فى غير الحق . كما أنهم لم يعملوا جديداً لاصلاح العباد ولم يبذلوا من أموالهم شيئاً لتنشيط العلم وتوسيع نطاقه وتشجيع العلماء والفضلاء ، لم يفكروا كثيراً ولا قليلا فى توسيع نطاق حكمهم وبسط نفوذهم ، ولم يعملوا لتوثيق العلائق وتقوية الصلات بينهم وبين القبائل الخارجة عن حدودهم كنهد والموابثة والجمدة وقبائل دوعن وغيرهم فقد رضوا بالحكم فى دائرة ضيقة فى تريم وسيون وشبام وملحقاتها وفى الشحر والمكلا ، وفاتهم أنهم وبالأخص الذين فى تريم وسيون محاطون بآل كثير ومن يلحق بهم كالعوامر وآل جابر وآل باجرى الأمر الذى يلجئهم لأن يأخذوا حذرهم ويستمدوا للطوارىء وحوادث الأيام ، ثم ان المنافسة فيما بينهم على

الساطة اتسع نطاقها وتفاقم خطبها وتطاير شررها وثارت الفتن والوشايات واحتدم النزاع بين رؤساء يافع في سيون وبين آل عبد القادر القائمين بامارة نصف تريم وآل غرامة القائمين بامارة النصف الآخر منها . وكان النزاع بين آل عبد القادر وآل غرامة قديماً من عهد الأمير عبد الله عوض غرامه ولكن كان هذا الأمير يداريهم ويراعيهم ويتنازل لهم عن بعض مطالبهم حفظاً للأرواح من أن تذهب ضحية الطمع والجشع وحبا لجمع الكلمة وتأليف القلوب وتوحيد الصفوف ، ولكن جاء بعده ابنه الامير عبد القوى وكان هذا طائشا قاسيا فازدادت الفتنة بينه وبين آل عبد القادر واشتعل لهيبها وثارت الحرب بينهم في تريم حتى انقطعت حركة التجارة ووقف عمل الفلاحين وساد المدينة الخوف والرعب ، ولما رأى آل عبد القادر أن لا طاقة لهم بمناوشة آل غرامة ساروا الى زعيم آل كثير الاكبر غالب بن محسن بن عبدالله الكثيرى[١] فأمده بـ ٢٠٠ رجل . وكان عدد آل عبد القادر سبعين رجلا مع عبيدهم وعدد آل غرامه في تريم ١٢٠ مع عبيدهم ثم جاء الى تريم عبد القادر بجيشهم تحت قيادة عبود ابن سالم الكثيرى على حين غفلة فبهت آل غرامه ورأى الامير عبدالقوى

---

(١) كان المقدام غالب بن محسن الكثيرى جاء من حيدر أباد بثروة عظيمة وكان أحد رؤساء جيش ملك حيدر أباد وعلت رتبته لدى الملك لشجاعته واخلاصه وكان ثالث المقربين لديه بعد الجمدار عوض بن عمر القعيطى اليافعى والجمدار عبد الله بن على العولقى وقد وشى به هذان الرجلان لدى الملك حتى اضطر الجمدار غالب بن محسن الكثيرى للرحيل الى حضرموت

غرامة أن الجريمة جريمته حيث لم يسس آل عبد القادر بكياسة ولين كما كان شأن والده معهم . أمسى الامير فى موقف حرج وأظلمت أمامه الدنيا وضاق ذرعاً فأشارت عليه أمه وكانت أكثر منه صبراً وجلداً على مكافحة المخاطر ومكابدة النكبات بأن يتظاهر لآل كثير بالرغبة فى بيع نصف تريم لهم حتى اذا جاء وفدهم للمفاوضة واجتمعوا فى القصر يشعل من تحتهم البارود ليهلكوا عن بكرة أبيهم ولكن الامير عبد القوى امتنع فى بادىء بدء ثم عدل عن رأيه وأراد تنفيذ مكيدة والدته ضد آل كثير ، ولما اجتمع آل كثير فى قصر الامير عبد القوى وكانوا ٣٠ رجلا وفيهم من آل باحرى والعوامر وفى مقدمتهم عبود بن سالم الكثيرى وعبد الله بن صالح الكثيرى انسحب الامير من الجلسة وأراد أخوه أن ينسحب أيضا ليشعلا قنابل البارود فى آل كثير ولكن عبود بن سالم الكثيرى أدرك أن مع آل غرامة مكيدة فلم يسمح لغرامة بالانسحاب وكان الامير عبد القوى فى انتظار أخيه ولكن والدته أمرته باشعال البارود عليهم جميعا فامتنع الامير شفقة على أخيه وخوفا من العاقبة وقد عاتبته والدته بعد ذلك عتابا مرا فاعتذر لها بوجود أخيه بينهم فقالت له كلمتها المشهورة « ليحترق أخوك معهم وهب أنى أخرجته سقطا »

ثم سار اليهم للمفاوضة وبعد الغداء خرجوا جميعاً الى الجامع للصلاة ثم عادوا وكان قد تقدمهم فى العودة من المسجد عبود بن سالم الكثيرى وعبد الله بن صالح بن مطلق الكثيرى وثلاثة من جماعتهم وجلسوا فى شرفة القصر من الدور الأول فرأتهم والدة الأمير عبد القوى غرامة .

وصعدت الى أعلى القصر ، وأخذت تدفع بكل قوتها جزءاً من حائط السطح القائم فوق عبود بن سالم الكثيرى وجماعته لتقتلهم فشعر هؤلاء بالحركة وانحازوا الى ناحية أخرى ونجوا من مكيدة تلك المرأة الجسور كما نجاهم الله من مكيدتها الاولى وأخيراً حصل الاتفاق بين الفريقين على أن يحتل آل كثير معاقل تريم وحصونها وهكذا خرج الأمير عبدالقوى من الأمر مغلوبا ملوما وما أصابه من مصيبة فبما كسبت يداه

والى تريس

كان الضربي اليافعي والياً على مدينة تريس وليس عنده من الجند غير أفراد من العبيد وفى شهر الحجة سنة ١٢٣٢ مرض وشعر بدنو أجله ولم يكن له وارث يرثه فى الولاية فأرسل الى الموسطة ولاة شبام من يقوم بامر تريس فتولى أمرها أحد آل نقيب وأخذ يسوس شؤن أهل تريس ولكن لم يكن عنده من عشيرته من يشد أزره ويعينه فى أموره غير عدد قليل لذلك صار آل كثير يناوشونه حتى انهم حفروا خندقاً على مقربة من قصره الى البئر التى يشرب منها ومنعوا عنه الماء . ولما اشتد ء به وعلى آله العطش ولم يستطع أن يجلب الماء والزاد من الخارج تخلى عن تريس وانسحب بمن معه الى سبام واحتل آل كثير البلد

خروج آل بكر من مريمة

استأنف آل كثير سعيهم لازالة نافع من بينهم فارسلوا فرقة منهم الى مريمة فى صورة ضيوف فاكرمهم بنو بكر وأنزلوهم فى بيوتهم على

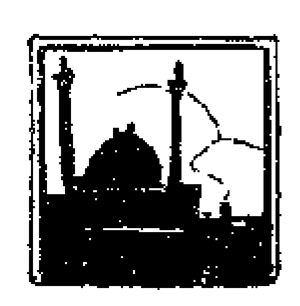
الرحب والسعة ولما طاب لهم المقام ثاروا على بني بكر وكان هؤلاء قليلين وأخرجوهم عنوة واستولوا على مريمة وسار بنو بكر الى شبام

فتنة شبام

كان أمر مدينة شبام بيد الموسطة من يافع وكانوا على وفاق تام هم ومن فى المدينة من يافع وغيرهم ومع أنهم لم يأتوا بخير ولا بشر للبلد فقد كانوا محبوبين من الأهالى وفى أواخر عهدهم تنافسوا على السلطة هم وغيرهم من أفخاذ يافع القاطنين فى شبام وماحقاتها وبعد صلاة عيد الفطر سنة ١٣٣٤ اجتمع يافع أمام الجامع لتهنئة الوالى بالعيد وكان من عاداتهم أن يتقدم الجمع من هو أحق وأجدر بالتقدم من الشيوخ والأعيان. وفى ذلك اليوم اختلفوا فيمن يتقدمهم واحتدم الخلاف بينهم، وفى أثناء ذلك تقدم أحد آل على جابر فقتله أحد الحاضرين من يافع فاخذ آل على جابر يسألون أفخاذ يافع الحاضرين عن القاتل ليقتلوه ولكنهم أنكروا جميعا ثم صار آل على جابر يطالبون الموسطة فى فقيدهم وتفاقم التشحن والتنازع بين الفريقين وثارت الحرب وأخيرا اعترف أحد آل رشيدى بالجريمة وقتله آل على جابر وهدأت الفتن بعد ذلك بين الموسطة وآل على جابر ولكن ظل أثرها فى النفوس كامنا فتنافر الفريقان وتقاطعا وكادت الحرب تعود جذعة ثم رأى أفراد من أفخاذ يافع فى شبام أن الفتنة لا تزول مادام ولاة شبام من يافع وأن هؤلاء لايدينون إلا لمن يتولاهم من غير قبيلتهم لذلك طلبوا الى عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيرى أن يتولى

امارة شبام وله نصف حاصل المدينة فقام بالأمر عمر بن جعفر الكثيرى يساعده فى ذلك ابنه منصور بن عمر وعبيده فأخذ الامير عمر بن جعفر يوطد مركزه ويقوى عضده فابتاع عبيداً وضمهم الى عبيده القدماء وحاول أن يأتى برجال من عشيرته فنعه يافع وفى سنة ١٢٣٧ توفى وقام بالامر بعده ابنه منصور وكان هذا قاسياً مستبداً عديم السياسة والحزم متعصبا لعشيرته كل التعصب أخذ يضغط على حرية يافع ويرهقهم بمطالبه ويضيق عليهم من كل جانب ويسومهم سوء العذاب

وفى شوال سنة ١٢٥٥ سار أغلب من فى شبام من يافع الى قرى القطن لزيارة أقاربهم فاغتنم الامير منصور بن عمر الكثيرى هذه الفرصة وأخرج من بقى فى شبام رجالا ونساء وولدانا واحتل المدينة كلها وأعلن استقلاله وقطع علاقته بيافع وحصن معاقل شبام برجال من عشيرته ولقد أحدث ذلك أثراً سيئاً فى نفوس يافع وآلمهم أشد الألم وهم الجانون على أنفسهم والخاربون بيوتهم بأيديهم فليس من السياسة فى شىء أن يولوا الامير عمر بن جعفر الذى كان جده بالامس ملكا فى شبام ولكن التنافس على السلطة هو الذى أعمى أبصارهم .



الدولة الكثيرية

فى دورها الرابع

فى سنة ١٢٦٠ ابتاع آل عبد الله قرية الغُرَف من القرامصة آل تميم بمبلغ ١٢٠٠ ريال وأقاموا فيها وجعلوها نواة لدولتهم الفتية ، وقد أحدثت هذه البيعة ضجة فى آل تميم فنقموها على أصحابهم وألجأوهم لابطالها ، فحاول القرامصة ابطال البيعة بارجاع المبلغ فلم يستطيعوا وفى سنة ١٢٦٢ توسط سراً محسن بن علوى الصاف وزملاؤه من آل باعلوى فى عقد اتفاقية بين آل عبد الله وبين همام صاحب حصن الزناد على أن يتخلى عن حصونه لآل عبد الله ويستلم فى مقابل ذلك مرتباً شهرياً مدى حياته ، فكان ذلك ثم استأنف محسن بن علوى وجماعته العمل فساروا الى الأمير عبد القوى بن عبد الله غرامة . وبذلوا كل جهودهم لديه ليفوض جميع شؤن تريم لآل عبد الله فى مقابل مبلغ كبير من المال ولما آنسوا فيه عدم الرضى استدرجوه حتى أتوا به فى بيت عبد الله بن عمر بن يحيى باعلوى وهناك أحاطوه بمكرهم وخدعوه حيث وافقهم على أن يفوض جميع شؤن تريم لآل عبد الله ويبقى هو كرئيس شرف على عشيرته يافع ، ويتسلم من من آل عبد الله ٢٠٠ ريالا فى الشهر ، وكتبت على ذلك وثيقة بحضور بعض رؤساء آل باجرى وآل جابر والعوامر وآل باعلوى . وبعد تلك الاتفاقية دخل آل كثير تريم بطبولهم فرحين مبتهجين واستولوا على

شؤن المدينة . ولقد اندهش الناس لذلك الحادث الغريب الذى لم يكونوا يتوقعون حدوثه . وتألم الأمير عبد القوى غرامة من تلك المظاهر وكاد يصعق من التحسر والتألم . أما يافع الذين فى القطن وسيون فقد غضبوا لذلك أشد الغضب وآلمهم سقوط مدينة تريم من بين أيديهم ، وبعثوا الى آل غرامة يحثونهم على القيام لاسترداد تريم ؛ فثارت حميته وفارت غيرته وأخذ يعد العدة ويتحين الفرص من حين الى حين . وفى محرم سنة ١٢٦٣ جمع الأمير عبد القوى غرامة عبيده ورجالا من يافع وآل تميم واحتل بهم الجحف وبعض أطراف تريم وأعلن الحرب ، وجاء خمسون رجلا من يافع من سيون وثمانون من آل تميم وانضموا فى صفه ، فحمى وطيس الحرب فى الطرفين ؛ واستولى الأمير عبد القوى على حصن الشاطرى وهو أمنع الحصون وعلى الحيضرة أيضاً ؛ فازداد موقف آل كثير حرجاً واشتد الضيق عليهم وأحاطت بهم الأخطار من كل جانب وطال الحصار فاختل الأمن واضطربت الأحوال . واستولى الأمير غرامة على جزء كبير من تريم وكاد يحتلها كلها ويحوز النصر لولا أن الأمير عبود بن سالم الكثيرى أتى بجيش من غرب حضرموت من الكرب والعوالق وانحدر على الامير غرامة من ناحية الحيضرة وحصن الشاطرى وحصروا تريم وقطعوا عنه كل المواصلات . وكاد هو ورجاله يموتون جوعا . وفى ربيع الثانى سنة ١٢٦٣ اضطر الامير غرامة لان ينسحب ويحول عبيده لدولة آل عبد الله على أن تدفع له ٢٠٠ ريال شهريا وبقى الامير غرامة فى تريم أياما ، ثم شمر بالخذلان والخسران ، وأبى أن

يمكث فى المدينة كفرد من أفراد الشعب بعد أن كان الحاكم المطلق فيها وغادرها الى سيون ثم الى المكلا تاركا معاشه لدولة آل عبد الله الكثيرية

أما محسن بن علوى الصافى وزملاؤه فقد استأنفوا مساعيهم السياسية ضد يافع . كانوا يذهبون الى يافع للتجسس لآل كثير ، ولقد بذلوا كل مستطاع لتعكير الصفاء وقطع الصداقة بين يافع وآل تميم ، كيلا يجد يافع أنصاراً ولا أعواناً ولكنهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا .

وكثير من يافع فى سيون لا يزالون يحسنون الظن فى محسن بن علوى وزملائه ويعتقدون فيهم الخير والبركة إلا أفراداً منهم أحسوا أن هؤلاء يتجسسون عليهم لآل كثير ، وفى مقدمة هؤلاء الاحرار النبيلان عبد الله هرهرة اليافعى وأخوه عبد الرب فقد سعيا بكل مقدورهما فى تفهيم يافع دسائس هؤلاء ومساعيهم ضدهم . وصادف أن مر النبيل عبد الله هرهرة مع ثلاثة من يافع أمام بيت عبد الله بن زين باسلامة فسمعوا محسن بن علوى وجماعته يتهامسون فيما بينهم . فكبسوهم فوجدوهم يكتبون الرسائل الطويلة للدولة الكثيرية بالشئون السياسية فى سيون ، وقد بهت الجواسيس حينما رأوا اليافعيين أمامهم ولكن محسن بن علوى الصافى تجـلد وثبت مكانه كأنه لم يحدث شىء ، وكأنه أراد أن يتظاهر بالشجاعة والاقدام . فاخذ يهدد اليافعيين بالويل إن لم ينصرفوا عنهم ، فثارت ثائرة عبد الله هرهرة وجعل يضربه ضرباً مبرحا بعصا كانت فى يده ، ومحسن بن علوى يصيح بأعلى صوته ثم اعتقلوه هو وجعفر بن شيخ السقاف وعبدون السبايا وعمر بن عبد الرحمن فقيه وساقوهم فى الشوارع

على مرأى من الناس ، ثم حبسوهم فى دار الصبان . وأرسل محسن بن علوى الى رؤساء يافع : أن أطلقوا سراحنا والا اقتلونا فهذا شرف لنا وأحب الينا من السجن . فاجابه النبيل عبد الله هرهرة : أما القتل فنحن ننزه سيوفنا عن أن ندنسها بدمائكم ، وأما اطلاق سراحكم فذلك أمر ليس لكم فيه كلام . وبعد مرور عشرين يوما أطلق يافع سراحهم و نفوهم من سيون

وقعة وادى جثمة :

أرسل يافع فى الشحر ذخائر وأقواتا ليافع فى سيون فعلم آل كثير بذلك وتعرضوا للقافلة وبلغ يافعاً ذلك فخرجوا لحمايتها والتقى الفريقان فى وادى جثمة فثارت الحرب بينهم وقتل من الفريقين كثيرون وكان النصر حليف آل كثير أما القافلة فقد انسل بها جمالوها فى أثناء الحرب الى أسفل الوادى وانحدروا الى الناحية الشرقية فى طريقهم الى سيون ولكن جماعة من العوامر استولوا عليها وأتوا بها الى تريم .

سقوط سيون :

لقد كان انكسار يافع في وادى جثمة أكبر مشجع لآل كثير على احتلال سيون وكأنه انكشف لهم ضعف يافع فى سيون وعدم القدرة على المقاومة والدفاع فقد جهز الامير عبود بن سالم الكثيرى الفين من عشيرته ومن العوامر وآل باجرى وآل جابر والحموم وسار بهم الى سيون وحاصرها ثلاثة أيام ثم أمر رجاله بالهجوم من الناحية الشرقية وهجم هو

بجماعة منهم من الناحية الغربية فهلع الناس مما رأوا وتوقعوا شرا مستطيرا ولكن القائد عبود بن سالم أصدر أوامره لرجاله بعدم إيذاء أى شخص لا يريد الحرب اما يافع فقد حاولوا الدفاع عن أنفسهم فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا فغلبوا على أمرهم واحتل سيون آل كثير . هكذا أصبحت دولة آل عبد الله الكثيرية تخطو خطوات واسعة نحو الأمام وتزداد قوتها ويتمدد نفوذها وتحتل مدينتين هما من أعظم مدن حضرموت وأوفرها عمرانا وحضارة والفضل كل الفضل فى ذلك يعود الى البطلين العظيمين السلطان غالب بن محسن الكثيرى والقائد الامير عبود بن سالم الكثيرى فقد عرفا بحزمهما وحكمتهما وسياستهما كيف يوحدان صفوف قومهما ويؤلفان بينهم وبين القبائل المجاورة لهم ويجعلان هذه القوة فى قبضة يدهما يصرفانها كيف شاءا ويرسلانها انى أرادا ويبذل السلطان غالب بن محسن أموالا كثيرة للوقوف على أحوال يافع السياسية وما هم عليه من ضعف أو قوة من خصام أو وئام بواسطة أولئك الجواسيس والعيون التى كان يرسلها من وراء الستار . وهنا لا ننسى فضل أولئك الجواسيس على آل كثير فقد أدوا واجبهم على أحسن ما يرام وفازوا بأغراضهم المنشودة بفضل سلطتهم الروحية التى نفذت فى احشاء الشعب فملكته وأضاعت منه رشده وأعمت قلبه وأصبح ينقاد لهم ولمن على شاكلتهم من أصحاب السلطة الروحية كما تنقاد الانعام للرعاة . ولأصحاب السلطة الروحية من رؤساء الأديان فى المشرق والمغرب حظ وافر فى تعبئة الجيوش واثارة الحروب ولكن أكثر رؤساء الدين المسيحى فى الغرب إنما

أوقدوا الحروب للمصلحة العامة وضد مخالفيهم فى الملة والعقيدة كرجال الدين فى روما الذين بذلوا كل مستطاع فى توحيد أمم أوروبا ضد المسلمين أيام الحروب الصليبية ولكن أصحاب السلطة الروحية من المسلمين إنما يبذلون مجهودهم لاثارة الفتنة وزرع الخصام بين المتصلين بهم فى الجنسية والملة ويعبثون جيش أحمد ليسحقوا به جيش محمود هكذا يأكل بعضهم بعضا وهم لايستطيعون أن يعملوا غير ذلك وقد يستطيعون أن يعملوا للنفع العام ولكن فى ذلك كساداً لجيوبهم وفواتاً لحطام الدنيا فهم يعبدون المادة ويجرون وراءها ولا يضرهم من أى وعاء خرجت ولا لأى غرض منحت ولا يبالون بنتائجها وعواقبها مهما اشتد خطرها وتفاقم خطبها.

تأثير سقوط سيون فى يافع

كان لسقوط سيون فى نفوس يافع أعظم أثر فقد اجتمعت كلمتهم وأزمعوا على استردادها بأى حال ففى ليلة ٢٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٥ سرى منهم ومن عبيدهم نحو ١٣٠٠ رجل ووصلوا سيون عند مطلع الفجر فهجموا عليها وكان فى معاقل سيون نحو ٣٥٠ رجلا مساحناً من آل كثير ومن الحموم والعوامر فالتحمت الحرب بين الفريقين وفى الفجر احتل يافع سيون وكان عدد القتلى من يافع أربعة منهم عبد الرب بن سالم هرهرة والجرحى ثلاثة وقتل من الفريق الآخر عشرة وجرح كثيرون. حدث ذلك كله دون أن يعلم آل كثير فى تريم وغيرها لأن يافع أحاطوا بسيون وحصروها من جميع نواحيها. ولما بلغ ذلك الى آل كثير فى تريم أزمعوا

وأجمعوا على أن يستردوا سيون ويجازفوا بأرواحهم في سبيل تخليصها من أيدي يافع وقد انضم في صفهم آل جابر والعوامر وآل باجري فتكونت من هذه القبائل ثلاثة آلاف مقاتل وزحفوا على سيون ليلا والسكان غارقون في نومهم من جراء القلاقل والاضطرابات التي حلت بهم من حرب يافع ضد آل كثير ولم يطرأ ببال يافع أن آل كثير يجتمعون بتلك السرعة العظيمة ويهجمون بتلك القوة على سيون بعد انكسارهم الذي لم يمض عليه سوى أيام معدودات ولكنها سياسة القائد البطل عبود بن سالم وهي سياسة حازمة . زحفوا على سيون فهب الناس من مراقدهم وأخذ يافع حذرهم وجعلوا يدافعون دفاع المستميت ولكن سيل آل كثير كان جارفا فقد احتل آل كثير سيون وقتل من الفريقين خلق كثير

محاولة يافع احتلال سيون

في سنة ١٢٦٧ اجتمع ٤٠٠ رجل من (كلد) وعليهم صائل و ٣٥٠ من (يافع التلد) وعليهم سالم بن علي بن الشيخ علي هرهرة وساروا الى سيون لاحتلالها وكان أميرها يومئذ السلطان غالب بن محسن الكثيري يحيط به من الأنصار والأعوان ٥٠٠ و ٣٠٠ من العوامر وآل باجري . زحف يافع على سيون فثارت الحرب بين الفريقين وبدأ آل كثير ينسحبون من المدينة أفراداً وجماعات وكاد يافع يحتلونها لولا أن صائل خان قومه حيث استلم عشرة آلاف ريال من آل كثير وتظاهر بالانخذال والانكسار وسحب أغلب رجاله حتى ظن أنصارهم الذين ثبتوا وبلوا بلاء حسنا أن

النصر فى جانب آل كثير فانسحبوا ولم يبق منهم سوى سالم بن على هرهرة و ١١ شخصاً من رجاله اختفوا فى دار وأسر آل كثير ١٢ رجلا من عبيد يافع وربطوهم بالحبال ثم وضعوهم فى حفرة ودفنوهم أحياء ، أما ابن هرهرة وأعوانه فقد علم آل كثير بوجودهم فساروا اليهم وأحاطوا بهم من كل جانب ومنعوا عنهم القوت والماء فاضطر ابن هرهرة وجماعته للاستسلام فأخذوهم وسجنوهم مقيدين بالحديد وجعلوا عليهم عبدين يحرسانهم ، وفى ذات ليلة حدث فى سيون زواج عند أحد الأعيان فذهب أحد الحارسين للرقص [1] فانتهز ذلك يافع وأتوا الى العبد الحارس وأخذوا يمازحونه حتى اذا أنسوا فيه الغفلة وثبوا عليه وربطوه بحبل فى عنقه وشدوه حتى فارق الحياة ثم قطعوا قيودهم بمبرد كان أهداه لهم فى وسط الخبز أحد الموالين لهم من أهل المدينة ثم انسلوا من الدار أفراداً . وقد انكسرت رجل أحدهم وهو من بنى أرض حين نزل من الدور الاول الى الارض فصاح فى جماعته أن احملونى معكم وإلا صحت بأعلى صوتى فتركوه ولم يهتموا به فصاح بكل صوته فجاءه بعض آل كثير وقتلوه وأسروا ثلاثة من يافع والتجأ سالم بن على هرهرة وستة من رجاله الى ديار آل منيبارى فرحب بهم هؤلاء وأكرموهم ثم علم السلطان غالب ابن محسن الكثيرى بذلك فأرسل الى آل منيبارى يطلب منهم اليافعيين فامتنعوا فى بادىء بدء ثم سلموهم له ، وصادف أن ذهب بعض آل

---

(١) الرقص فى حضرموت ويسميه الحضارم « الشرح » يخالف الرقص المصرى المعروف فى أكثر مظاهره وحركاته وسيأتى الكلام عنه فى الجزء الثانى

منيباري الى شبام فميرهم السماسرة ولاموهم على تسليمهم اليافعيين للسلطان غالب بن محسن فوقع ذلك اللوم فى نفوس آل منيباري وأزمعوا على أن يعيدوا اليافعيين من عند السلطان غالب ويذهبوا بهم الى يافع فى الحوطة، فسار ١٦ رجلا منهم الى سلطانهم غالب بن محسن الكثيري فوجدوه فى قصره وحوله ٨ من عبيده وطلبوا اليه تسليم يافع اليهم فامتنع السلطان فقام آل منيباري وأغلقوا الأبواب وهددوه وعبيده بالقتل اذا لم يسلم اليهم اليافعيين فأجابهم الى ذلك وسار آل منيباري باليافعيين الى شبام فى طريقهم الى الحوطة فأثنى السماسرة على مروءتهم وشهامتهم وأمرهم الامير منصور ابن عمر الكثيري أن يطالبوا يافعا بفك أسرى آل كثير الذين عندهم فقالوا اننا سنسلم اليافعيين ليافع وهم إن شعروا أمن تلقاء أنفسهم بالواجب فياحبذا ثم ساروا الى الحوطة عند الامير محمد بن عمر القعيطي اليافعي والماس عمر وسلموهم الى يافع فأكرم يافع آل منيباري واحتفوا بهم احتفاء عظيما وحينما أرادوا العودة الى ديارهم سلموا اليهم أسرى آل كثير وعددهم ثمانية منهم ٣ من آل عيسى بن بدر وخمسة من عبيدهم كانوا أسروا فى واقعة العقاد وهكذا قوبلت الحسنة بأحسن منها

وقعة سرير المشهورة

بعد أن احتل آل كثير سيون طمع السلطان غالب بن محسن الكثيري فى احتلال الشحر لتكون ميناء لملكه وليكون فى غنى عن المرور فى ثغر المكلا وليوطد مركز دولته فى الداخل بما سيجلبه من

السلاح وغيره ولقد حرضه على ذلك محسن بن علوى السقاف وعبد الله ابن حسين بن شهاب واسحاق بن عقيل وحسين بن عبد الرحمن بن سهل وغيرهم من آل باعلوى وألحوا عليه بارسال الامير عبود بن سالم الكثيرى الى الحجاز ليأتى بقوم للحرب ويهجم بهم على الشحر من ناحية البحر ويهجم هو بجيشه من ناحية البر فسافر الامير عبود الى الحجاز وجمع قوما من الحجازيين والشوام والاتراك أغلبهم لاعلم لهم بالحرب ولا طاقة لهم بويلاتها وسار بهم الى الشحر بعد أن استولى على خمس مراكب كانت راسية فى ميناء الحديدة لبعض تجار آل بريك

ووصل الى بروم يوم ١٠ من رمضان سنة ١٢٦٦ ولما علم النقيب محمد ابن عبد الحبيب الكسادى اليافعى أرسل جيشاً الى بروم تحت قيادة ابنه الأمير صلاح بن محمد وهنالك ثارت الحرب بين الفريقين فى البر والبحر فانتصر الكسادى وقتل كثيرون من الفريقين أما الامير عبود بن سالم الكثيرى فقد سار بجيشه الى شرمة وكاد يغرق ورجاله لشدة الأنواء ولما بلغ ذلك الى آل بريك أنشأوا مراصد فى الجبل وكمنوا فيها ولما نزل الامير عبود برجاله هجموا عليهم وأثخنوا فى التنكيل بهم واستولوا على ثلاثة مراكب من مراكب قوم الامير عبود وسار الامير عبود الى قصيعر ولما علم السلطان غالب بن محسن الكثيرى بانحدار الامير عبود وخذلان جيشه جهز جيشاً من عشيرته ومن العوامر والحموم وانضم فى صفه عبد الله القحوم العمودى مع من تبعه من قبيلة الدّيّن وأربعين شخصاً من آل باعلوى منهم محسن بن علوى السقاف وعبد الله بن حسين

ابن شهاب واسحاق بن عقيل وسار هذا الجيش الخليط شطر الشحر ولما وصلوا الى دفيقة تركوا بعض ذخائرهم هناك وجعلوا عليها آل باعلوى وبعض حملة السلاح وانقسم الباقون فرقتين أحداهما اتجهت الى الشحر من ناحية البحر والاخرى من ناحية البر ثم أثاروا الحرب على الشحر من البر والبحر ودامت الحرب بضعة أيام وكاد آل كثير يحتلون الشحر لولا أن أمير المكلا الكسادى اليافعي أمد اهل الشحر ب٥٠٠ جندى تحت قيادة ابنه الامير صلاح بن محمد جاء هذا المدد فهجم على حصن مربو الذى احتله جنود الامير عبود بن سالم وكأن الموت يدفع جنود الكسادي دفعا وكأنهم اختاروا الموت على الحياة فقد كانت الطلقات النارية تتساقط عليهم مدراراً من الحصن ومن المراصد الأخرى ولكنهم استمروا فى الحملة بينما القتلى منهم يتساقطون على الارض أفراداً وجماعات وأخيراً استولوا على الحصن وما حوله من المراصد وانسحب جنود آل كثير القهقرى بعد ان قتل منهم خلق كثير وهرب أهل دفيقة تاركين وراءهم الذخائر وقد استولى عليها جنود الكسادى اليافعي وهذه الوقعة تسمى وقعة مربو وهى من أكبر الوقائع بين يافع وآل كثير فان عدد القتلى تجاوز ألف نفس أما الجرحى فكثيرون

نهوض يافع لاسترداد سلطتهم من جديد :

قبع يافع فى خشامر وخمور وفى غيرها من قرى القطن ، وكأنهم كرهوا التنازع والتناحر على السلطة والملك وتركوا الأمر كله لآل كثير يحكمون البلاد ويسوسون العباد كما يشاؤن دون أن ينافسهم فى الامر

منافس أو يعترض سبيلهم معترض أو ينازعهم أحد فى الحكم والسلطان

كره يافع الحكم وقطعوا الامل فى استرداد سلطتهم واعادة ملكهم، ورضوا وقنعوا بالقبوع فى ديار القطن ، ولكن أمير شبام منصور بن عمر الكثيرى أخذ يشن الغارات عليهم من حين الى آخر ويقلق راحتهم ويعكر جوهم ويزعجهم بالاضطرابات والمشاغبات . ولما اشتدّت عليهم مظالم آل كثير وتشعبت مطامعهم فيهم وبالاخص فى آل خلاقى ، اجتمع أعيان يافع وتشاوروا فيما يكبح مطامع الامير منصور وقومه ويردع عنهم مظالمهم التى أخذت تزداد شيئا فشيئا : فسافر وفد منهم الى الجمدار عمر بن عوض القعيطى اليافعى [1] واستنجدوا به وطلبوا اليه أن ينصرهم فأجابهم الى ذلك وسافر وإياهم الى خمور وأرسل الى يافع الذين فى بلادهم باليمن فجاءه نحو ٥٠٠ رجل ثم جهز بنحو ١٥٠٠ من يافع وعبيد وحصروا سعيدية وشبام شهراً فاحتلوا سعيدية عنوة سنة ١٢٧٤ وكان عدد القتلى منهم خمسة ومن آل كثير ثلاثة ، وظلوا محاصرين شبام أياما قطعوا فى

---

(١) كان الجمدار عمر بن عوض القعيطى اليافعى ممن هاجر الى الهند سنة ١٢٠٧ ولذكائه ونشاطه وشجاعته ودهائه نال لدى ملك حيدر أباد الدكن حظوة كبرى وأولاه أعظم منصب فى الجيش واتخذه نصيرا له ومعينا فى شئونه العامة ولقد جمع ثروة عظيمة بذل كثيرا منها لنصرة قومه يافع بحضرموت وأوجد لهم ملكا وبوأهم مقعدا علياً فهو يعتبر المؤسس الأول للدولة القعيطية اليافعية الفتية . وكان له من الأولاد الذكور خمسة وهم محمد وعبد الله وعوض وهو بطل التاريخ وبيده القيادة وإدارة السياسة وصالح وعلى وكلهم بعثهم الى حضرموت إلا صالح بن عمر فقد أبقاه فى حيدر أباد يدير أملاكه .

خلالها جميع المواصلات ولما شعر الأمير منصور بن عمر الكثيري بخطورة الموقف وخاف سقوط شبام من بين يديه بعث الى يافع من يسعى بالصلح على أن يحتلوا نصف شبام كما كانوا سابقا ويبقى النصف الآخر له فتراضى الفريقان بذلك و كان ذلك سنة ١٢٧٤

قدوم الشريف حسين :

كان الأمير عمر بن عوض القعيطي اليافعي طلب الى الشريف حسين أحد أمراء اليمن أن يمده برجال من نخبة قومه ليستعين بهم ضد آل كثير فجاءه الشريف حسين على رأس ٢٠ فارس ولكن بعد أن تم الصلح بين يافع وآل كثير وأراد الامير عمر بن عوض أن يدفع لهم مصاريفهم ويرجعهم الى بلادهم ولكنهم أبوا إلا الحرب ضد آل كثير فلم يجبهم الأمير الى ذلك فثارت ثائرة الشريف حسين وهاج واتسع نطاق الخلاف بينه وبين يافع حتى تلاحى هو والامير محمد بن عمر القعيطي وهدد كل منهما الآخر وفي صبيحة اليوم الثاني ثارت الحرب بين الفريقين في المسحرة فانهزم الشريف وقومه وقتل ابنه وبعض رجاله وقتل من يافع اثنان وانسحب بفلول جيشه الى بلاده مكسوفا محسورا .

قتل الامير منصور بن عمر الكثيري :

أولم الأمير عوض بن عمر القعيطي اليافعي وليمة غداء في شبام بواسطة مولاه الحاج الماس الحبشي ودعا اليها رؤساء يافع والامير منصور بن عمر الكثيري فأراد الامير منصور الذهاب للوليمة فاعترضته زوجته وكانت

يافعية وحاولت منعه عن الذهاب وكأنها شعرت أن هناك مكيدة دبرت ضده وقالت له انى أخشى أن تذهب ضحية السياسة وإنى لأرى الدم يلوح على وجهك . ولكن الامير لم يصغ اليها ولم يقم لكلامها وزنا فسار وبصحبته خمسة من عبيده ولما دخل قاعة الجلسة فى القصر السلطانى أمسك يده سالم بن على بن هرهرة وأتى نفر من العبيد وطعنوه عدة طعنات حتى فارق الحياة ثم أعلن يافع الاستقلال التام بجميع شؤن شبام وذلك سنة ١٢٧٤ .

خروج آل عمر بن جعفر الكثيرى من هينن :

كان السلطان بدر بوطويرق الكثيرى قد احتل مدينة هينن وبنى هناك حصناً على تل مرتفع يسمى حصن فرحة وجعل عليها نائباً من عشيرته يحكم البلاد ويبعث اليه بالحاصل من العشور وقد استقر فيها فى النهاية آل جعفر بن عمر الذين كان آخر من حكم منهم الامير طالب بن بدر الكثيرى ومن سوء حظ هذا الامير أن اشتد القحط فى عهده فى هينن حيث انقطع المطر سنين فأجدبت الاراضى وأقفرت ومات كثير من النخل وقد ضاق ذرعا وأظلمت الدنيا أمام عينيه بعد أن احتل يافع شبام لذلك اضطر الأمير أن يرحل باهله الى جاوة ويترك البلد للشعب وكان ذلك سنة ١٢٧٥ فأصبحت هينن بعد مغادرة آل عمر بن جعفر لها فى اضطراب مستديم فقد فقد الامن وانتشر الرعب فى قلوب الضعفاء وانقطع ورود القوافل فكسدت السوق ثم جاءها سالم بن على بن هرهرة

اليافعي واحتلها ونادى بنفسه حاكما عليها فعاد الأمن وهدأت الخواطر واطمأنت النفوس ولكن الأمير سالم لم يمكث طويلا فى هيئتى يحكم الناس ويسوس شؤنهم فقد عاد الى شبام سنة ١٣٨١ ولعل ذلك كان لفقر البلد وقلة موارد الخير فيه .

حرب السحيل :

كان لقتلة الامير منصور بن عمر الكثيرى أعمق أثر فى نفوس آل كثير وأكبر وقع فيهم فقد اجتمعت كلمتهم واتحدت قلوبهم ضد يافع بالرغم عن وجود النزاع والخلاف بين بعض أفخاذهم والمصائب من أكبر الأسباب التى تزيل مابين القبيلة الواحدة من التنازع والتناحر وتوجد بينهم روح التعاون والتناصر ضد العدو المهاجم . رابط آل كثير فى سحيل آل مهرى وأخذوا يؤذون المارين بالنهب والسلب ويقطعون السابلة ويلقون الرعب والجزع فى أطراف مدينة شبام ولما أنسوا من يافع السكون والجمود أخذوا يشنون الغارة على شبام آناء الليل وأطراف النهار لاحتلالها وإعادة سلطتهم واسترداد امارتهم عليها ولكن كانت غاراتهم تذهب هباء فقد حصن الامير عوض بن عمر القعيطى اليافعى قلاع شبام برجال من عشيرته ومن العبيد ثم عقد صلح بين الفريقين وقبل انتهاء الصلح بيوم جهز أحمد عامر الحضرمى اليافعى أحد كبار قواد الجيش أتباعه وكانوا ٣٠٠ رجل وأراد الهجوم على آل كثير فى سحيل آل مهرى فلم يوافقه الأمير عوض ورؤساء يافع وحاولوا منعه ريثما ينتهى الصلح

ولكنه أبى الانتظار فسار بقومه الى سحيل آل مهرى وثارت الحرب بين الفريقين واحتل أحمد عامر أكثر الحصون ولكن جاء من سيون وتريم ٢٠٠٠ رجل من آل كثير وأحاطوا بأحمد عامر وقومه وكادوا يقضون عليهم وعلم يافع الذين فى شبام وقرى القطن بخطورة موقف أحمد عامر ورجاله فلم يغيثوه بحجة أن الصلح لم ينته بعد وان أحمد عامر سار من غير رضاهم ولما انتهت مدة الصلح أدركوه بـ ١٠٠٠ رجل من يافع نخمى وطيس الحرب وقتل من الفريقين كثيرون وانتصر يافع واحتلوا السحيل وانسحب آل كثير جميعاً الى سيون وتريم .

محاولة آل كثير احتلال الشحر

لم تضعف عزائم آل كثير وتخب همهم من صدمة الشحر ، ولم يقطعوا الآمل فى احتلالها ولم ييأسوا من امتداد سلطتهم الى البحر ، بل أخذ زعماؤهم يوقظون فى القوم الحماسة ويبعثون فيهم النشاط للعمل . وفى شهر رجب سنة ١٢٨٢ جهز السلطان غالب بن محسن الكثيرى نحو ٣٠٠٠ من آل كثير والعوامر وغيرهم وفى مقدمة هذا الجيش القائد عبود ابن سالم الكثيرى وعبد الله بن صالح بن مطلق الكثيرى وعايض بن سالمين ابن طالب الكثيرى وهادى بن سيف وكان هذا تكفل بربع مصروفات التجهيز والثلاثة الأرباع الاخرى على السلطان غالب بن محسن . زحفوا على الشحر فجأة ولم يكن آل بريك وغيرهم من سكان المدينة على استعداد للحرب ولذلك فقد احتل آل كثير الشحر دون أن يلاقوا أمامهم مقاومة شديدة

صدى سقوط الشحر فى يافع :

احتل آل كثير الشحر وكان يافع فى شبام ، وقرى القطن هامدين خامدين والكسادى وقومه فى المكلا والسلطان عوض بن عمر القعيطى فى حيدر آباد بالهند فجمع يافعا هناك واستشارهم فى استرداد الشحر فعاهدوه على ذلك

ومن أهم الأسباب التى ألجأت السلطان عوض بن عمر للحرب هو ما بلغه أن آل عولقى يوالون آل كثير ويناصرونهم ضد يافع : فقد سعوا فى إيجاد تحالف بينهم وبين آل كثير وآل عمر باعمر أهل الغيل وأزمعوا على احتلال الشواطئ وطرد يافع منها وكان زعيم آل عولق وهو عبد الله ابن على العولقى الموجود فى حيدر آباد يومئذ ومن أكبر أصدقاء السلطان عوض بن عمر القعيطى يمد تلك الحركة بالمال ، ويقوم بأعظم قسط فى تنشيط الهمم ، وإيجاد جبهة قوية على الساحل لاجلاء يافع ، وانشاء دولة جديدة له على أنقاض الدولة اليافعية وقد غضب عليه السلطان عوض بن عمر وقابله وجها لوجه وأوعده أنه ذاهب الى حضرموت لدك حصن الصداع (١) واحتلال الشحر وغيل باوزير ثم غادر السلطان عوض بن عمر الهند الى المكلا وبصحبته جماعة من عشيرته يافع و ٤٠٠ من الهنود ، وهناك

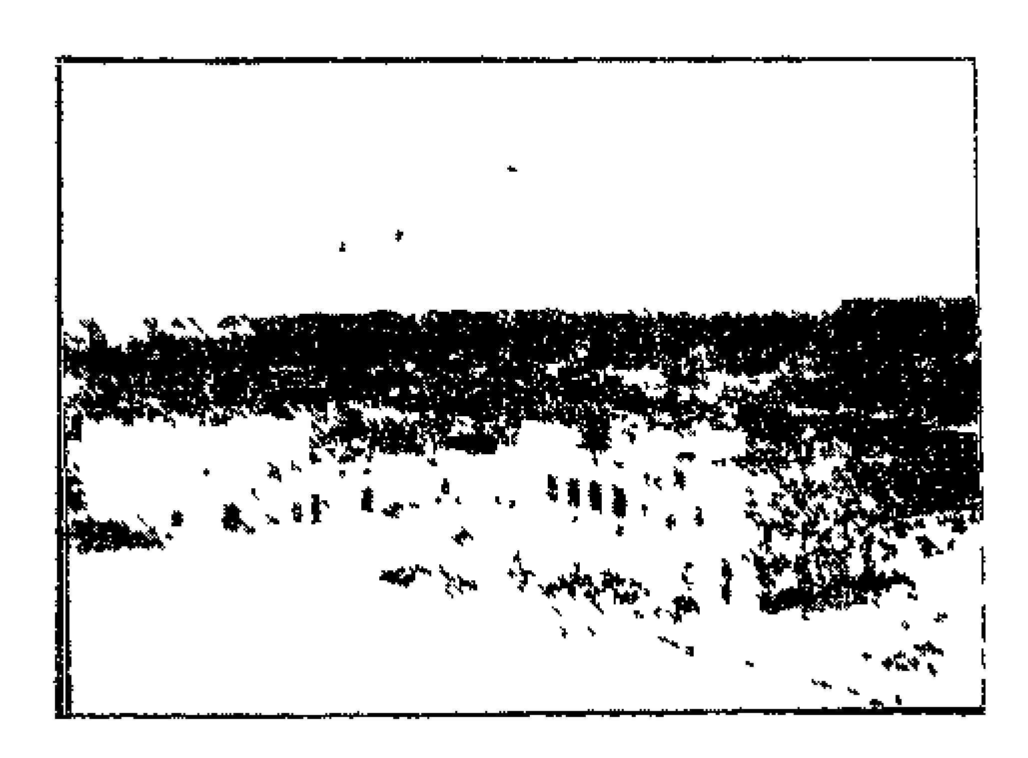
---

(١) هو حصن منيع جداً قائم على مقربة من غيل باوزير بناه الجمدار عبد الله ابن على العولقى واسكن فيه أهله واحاطه بقلاع صغيرة يقيم فيها الحرس من العبيد وغيرهم .

فاوض أمير المكلا صلاح بن محمد الكسادي اليافعي في الامر فتعاهدا على استرداد الشحر من أيدي آل كثير على أن تكون ثلاثة أرباع مصروفات الحرب عليهما والربع الآخر على حسين صالح العطى وسعيد بن حسين ابن على الحاج وسعيد بن على النقيب جهزوا ٤٠٠٠ رجل من يافع وآل تميم وهنود وعبيد . وانقسموا فرقتين احداهما حاصرت الشحر بحراً وعليهم صالح حبيب بن على جابر وسالم بن على بن الشيخ على اليافعي ومحسن بويك الحداد اليافعي وسعيد أحمد الخضري اليافعي وعمر عوض القعيطي اليافعي وحسين صالح الجهوري اليافعي . والاخرى حاصرتها من شمالها وغربها ، وفي مقدمة هذا الجيش السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي ومحسن بن نقيب اليافعي وعبد الله عوض القعيطي اليافعي

حاصروا الشحر يومين ؛ وفي اليوم الثالث أثاروا الحرب ، وفي اليوم الرابع زحف يافع على المدينة وأخذوا يستولون على ديار كثيرة . ولما رأى آل كثير تقدم يافع وحملاتهم المتوالية انسحبوا من الشحر وبقى السلطان غالب بن محسن الكثيري في الحصن مع حاشيته واختبأ جماعة من آل كثير والعوامر في دار باجمال في دفيقة ، ومن هؤلاء عبود بن سالم وعايض بن سالمين بن طالب وهادي بن سيف وعبد الله بن صالح بن مطاق ونفر من أعيان العوامر . احتل يافع الشحر فاضطر السلطان غالب بن محسن الكثيري للتسليم وطلب اليهم أن يسمحوا للنساء والأطفال بالرحيل من المدينة فاجابوه الى ذلك وخرج النساء وأولادهن وقد لبس السلطان غالب بن محسن لباس امرأة وخرج دون أن يشعر يافع به

ثم استولى يافع على كل الشحر . وكان عدد القتلى منهم نحو ٩٠ ومن آل كثير نحو ١٣٥ وعدد الجرحى من الفريقين كثيرون . أما الذين فى دار باجمال فقد أراد السلطان عوض بن عمر القعيطى أن يصوب عليهم المدفع ويبيدهم عن بكرة أبيهم لأنه رأى أن هؤلاء وهم الأعيان البواسل اذا أطلق سراحهم يعودون الى قومهم فيثيرون الحرب من جديد . ولكن رؤساء يافع لم يوافقوه على ذلك فاطلقوا سراحهم باحسان



« عين باوزير كما هي الآن »

احتلال غيل باوزير :

ثم أراد يافع أن يزحفوا على الغيل ولكنهم خافوا أن يمد آل كثير أهل الغيل بجيش وتتحد هؤلاء مع آل عمر باعمر والعوالق ضدهم ، لذلك

أرسلوا ٢٠٠ رجل من يافع وآل تميم الى النويدرة لمحاصرة تريم تحت قيادة عبد الخالق الماس عمر . واستصحب هؤلاء جماعة من الحموم وحينما وصلوا حدود الحموم وفى بقعة عديمة الماء أثار جماعة الحموم الحرب على رفقائهم من يافع وآل تميم وقتلوا منهم غدراً ٣٠ رجلا وسار الباقون من يافع وآل تميم إلى تريم وحاصروها . وفى أثناء حصارهم الذى امتد الى أربعة شهور جهز السلطان عوض بن عمر القعيطي ١٦٠٠ تحت قيادة سعيد أحمد الحضرمى اليافعى وسعيد بن على النقيب اليافعي وسعيد حيدر البكرى اليافعى . وكان هذا رئيساً على الهنود حيث كان يعرف لسانهم ثم زحفوا الى الغيل . وكان فيها من آل عمر باعمر ٢٥٠ ومن البدو ٢٠٠ ومن آل كثير ١٥٠ ، وفى مقدمتهم عبود بن سالم الكثيرى وعايض بن سالمين طالب الكثيرى . وكان العوالق ومن يلحق بهم فى حصن الصداع على أتم استعداد لنصرة آل عمر باعمر ضد يافع . حاصر يافع الغيل يومين ثم أتاهم السلطان عوض بن عمر وأمرهم بالهجوم

وفى فجر اليوم الثالث من الحصار زحفوا الى الغيل وكان السلطان عوض بن عمر فى مقدمتهم يستحث هممهم ويثير فيهم الحماسة ودامت الحرب الى آخر النهار حتى اذا جاء الليل لم يبق فى البلد من المدافعين سوى جماعة من آل عمر باعمر سلموا أنفسهم ليافع واحتل يافع الغيل وكان عدد القتلى من آل عمر باعمر وأنصارهم ٧٨ رجلا ومن يافع وأنصارهم ٤٥ رجلا والجرحى فى الفريقين كثيرون



« منظر من قبل الوزير »

أما الأسرى من آل عمر باعمر وعددهم ٦٠ رجلا فقد أرسلوا الى الشحر وسجنوا هناك . ثم زحف يافع الى حصن الصداع وحاصروه وحاولوا الهجوم عليه فلم يستطيعوا إذ كان محاطا بالمرابطين من كل أنحائه وحفروا خندقا تحت الارض الى الحصن فخاب سعيهم وقتل منهم خمسة ودام الحصار بضعة شهور وكاد الموالي وأنصارهم يموتون جوعا فاضطروا للتسليم واحتل يافع الحصن وملحقاته وسمحوا لهم بالرحيل الى آل عمر باعمر فقد أرسلوا الى الشحر وسجنوا [1]

(١) قيل ان السلطان عوض بن عمر القعيطي حينما غضب من الجمدار عبد الله بن على العولقي أوعده بان يحتل حصن الصداع ويهدمه ويبعث بتراب منه الى حيدر أباد ويذره تحت جامع شار منار ، وفعلا كان ذلك وتوفى الجمدار عبد الله على العولقي حزيناً آسفا .

أما الجيش الذى أرسل لمحاصرة تريم فقد اتفق الفريقان على الصلح على أن يدفع آل كثير مصروفات الحصار ثم عاد يافع وآل تميم الى المكلا .

استقلال نهد

كان السلطان بدر بوطويرق الكثيرى قد احتل أكثر بلاد نهد وأدخلها تحت حكمه وكن آل عمر بن جعفر الكثيرى هم الولاة بالنيابة وكان بنو بكر فى سدبة يتولون شؤن الناس ويدودون عن حوضهم من اعتداء آل محفوظ وغيرهم وكانت امارة لحروم وعندل فى حوزة احمد محسن الختامى البكرى اليافعى ، ولما توفى أمير سدبة احمد عبيد البكرى وليس له وارث يرث الامارة أمسى الأهالى فى فوضى ليس لهم رئيس يقوم بأمرهم . وسافر الامير احمد محسن البكرى اليافعى الى حيدر أباد للارتزاق إذ لم تقم لحروم وعندل بسد حاجياته ولم يكن له من عشيرته من يقوم بالأمر بعده فأصبحت لحروم فى فوضى أما عندل فقد كان القائم فيها بشؤنها عامر جعيم المرفدى اليافعى بالنيابه عن احمد محسن البكرى ولم يكن لهذا الوالى أنصار من عشيرته ولا من غيرهم من حملة السلاح فهو بمفرده بين آل باجابر وغيرهم من سكان عندل وكان ضعيف الارادة عديم السياسة انحلت سلطته وتلاشت هيبته فأمسى نسياً منسيا ، وفى ذات يوم خرج من حصنه الى جبل عندل فشاهده جماعة من آل منيف أهل لخماس فساروا اليه وقتلوه ثم ساروا الى حصنه ونهبوا مافيه من المال والطعام وهدموه وردموا بئره

وكان لاندحار آل كثير من الشحر وشبام واستيلاء يافع أكبر مشجع

نهد فى الاستقلال وخلع طاعة آل كثير وأخذوا يهيئون أنفسهم ويعدون العدة للاستقلال ، ففى سنة ١٢٨٤ ثار آل منيف على القفل [1] واحتلوه ثم ساروا الى صاحب الدهيل الامير صالح بن عمر بن جعفر الكثيرى وقتلوه واستولوا على الدهيل وعلى الخاس وهكذا نالت نهد استقلالها التام ولم يكن بينهم من ينافسهم على الحكم والسلطان

محاولة آل كثير احتلال الشحر لآخر مرة :

فى سنة ١٢٨٦ جهز السلطان غالب بن محسن الكثيرى جيشاً من قومه ومن العوامر وآل باجرى وآل جابر وزحف بهم الى الشحر فثارت الحرب ، ولقد صدق آل كثير الحملة وأخذوا يندفعون الى الامام ويحتلون أطراف الشحر ، ولما رأى يافع أن النصر فى جانب آل كثير هموا بالانسحاب وكان السلطان عوض بن عمر القعيطى فى حصنه وعنده من عشيرته ٣٠ رجلا وفى مقدمتهم وزيره عبد الله عوض بن على القعيطى الذى قتل فى ذلك اليوم . أراد السلطان عوض أن يتخلص من الحياة هو ومن حوله من رجاله فوضع البارود تحت الحصن وأمر أحد عبيده أن يفتح باب الحصن ويسمح لآل كثير بالدخول حتى اذا دخلوه أشعل البارود فيموت جميع من فى الحصن ولكن محمد حسين الشاحث عيرهم ولامهم على يأسهم من النصر وأخذ يثير فيهم الحماسة بذلاقة لسانه وسرعة

---

(١) هو حصن شاهق واقع على مقربة من شراح بناه السلطان بدر بوطويرق الكثيرى

بداهته حتى عادوا للحرب واندفعوا فى شوارع المدينة كالسيل الجارف يقاتلون . ولقد ظن آل كثير أن مدداً عظيما جيء به ليافع فانسحبوا إلا عبود بن سالم وهادى بن سيف وعبد الله بن صالح وغيرهم من رؤساء آل كثير فقد ثبتوا فى أحد الحصون وأحاط بهم يافع فطلب عبود بن سالم الكثيرى وجماعته الأمان منهم وطلب أن يستصحبه حسين بن صالح المصلى اليافعى الى خارج الشحر فأجابوهم الى ذلك وأنزلوهم من الحصن بما يليقون به من الاحترام . وكان عدد القتلى من يافع ٤٠ ومن آل كثير ٩٥ . وعدد الجرحى من الفريقين كثيرون

وقعة الحوايل (المحترقة)

كان احتلال يافع الشحر بعث فيهم الحركة وحب النضال وكان انتصار القعيطى والكسادى وفوزهما فى القيادة جعلهما يطمحان فى توسيع نطاق الملك وامتداد السلطان فأراد الهجوم على آل كثير فى ديارهم بسيون وتريم فجهز ١٤٠٠ رجل من بينهم نحو ٤٠٠ من الهنود و ٢٠٠ من يافع المقيمين فى شبام وقرى القطن واقترض الامير صلاح بن محمد الكسادى اليافعى من السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعى مائة ألف ريال ليقوم بنصف مصاريف الحرب وتبقى فى ذمته وسارا بالجيش الى شبام ثم زحفا شطر آل كثير وكان آل كثير قد بلغهم قدوم يافع لحربهم فتعرضوا لهم فى المحترقة وهناك ثارت الحرب بين الفريقين وأخذ يافع يندفعون فى حدود آل كثير واستمرت الحرب الى الليل ووضع آل كثير البارود فى بعض حصونهم وتخلوا عنها حتى اذا دخلها يافع أشعلوا فيهم البارود

فصعد أحدها جماعة من يافع فانفجر البارود وقتل ثلاثة منهم ثم اندحر يافع وانسحبوا وثبت الهنود وعليهم سعيد حيدر البكرى فى مراكزهم ولكنهم لما رأوا يافع ينسحبون انسحبوا وعاد جميعهم الى شبام . وكان عدد القتلى من يافع والهنود ٤٠ رجلا وسميت هذه الوقعة وقعة المحايل أو المحترقة وكانت فى أواخر سنة ١٢٨٦ وفى اليوم الثانى من تلك الوقعة زحف يافع على قارة آل عبد العزيز واحتلوا أغاب بيوتها ثم انسحبوا بعد أن جاء لآل عبد العزيز المدد من سيون . وقد قتل فى هذه الوقعة القائد الباسل احمد عامر الحضرمى اليافعى كان هجم على أحد الحصون وأخذ يفجر حائطه فرآه من فى الحصن فالقوا حجرة كبيرة على رأسه .

وقعة الفييضات

ثم أراد السلطان عوض والامير صلاح أن يثيرا حربا على آل كثير من ناحية الشرق ويأتيا بجيشهما من ناحية الغرب لتتوزع قوة آل كثير ويقل عددهم وتضعف صفوفهم فأرسلا جيشاً تحت قيادة عبدالقوى غرامه اليافعى . ولما بلغ ذلك آل كثير جهز السلطان غالب بن محسن جيشاً من عشيرته ومن العوامر وآل جابر وآل باجرى وجعل عليهم عبد الله بن على بن جعفر بن محمد الـكثيرى و عبد الله بن أحمد عم السلطان غالب وكمنوا ليافع فى وادى الفييضات ، ولما انحدر يافع من أعلى الوادى أحاط بهم آل كثير وأثخنوا فى التنكيل بهم فانسحب يافع وعادوا الى الشحر وكان عدد القتلى منهم سبعين ، منهم قائدهم عبد القوى غرامة

وحسين بن صالح الجهوري وابنه عبد القوي وقتل من آل كثير ثلاثون وجرح من الفريقين كثيرون

ولما بلغ السلطان عوض انكسار يافع من الغييضات عاد بالجيش الى الشحر ثم عاد الأمير صلاح بن محمد الكسادي الى المكلا (١)

مساعي آل باعلوي السياسية للملك

في ذلك الحين ظهر جماعة من آل باعلوي أرادوا الملك فسعوا له سعياً حثيثاً وكان في مقدمة هؤلاء عقيل بن عبد الله بن يحي باعلوي كان هذا الرجل سياسياً ماهراً في فنون الاغراء والتحريش ، حاد الذكاء سريع البداهة قوي الحجة عالي الهمة كبير النفس ، بيد أنه كان سيء الحظ تأتيه الأمور بعكس مايريد ، سعى لآل كثير ضد يافع توصلا الى أغراضه فلم يفلح بغير الخسران وسعى ليافع ضد آل كثير فكان عاقبته الوبال . لكن ذلك لم يضعف همته ويوهن سعيه ويخمد حركته وراء مآربه فقد ذهب الى الحموم ليجمع جيشاً منهم ضد آل كثير فرأى أن الأمر يفتقر الى المال ثم ذهب الى آل تميم لذلك الغرض ، فرأى أن الحاجة تدعو الى الاتفاق أيضا لذلك كتب الى أخيه عوض بن عبد الله بن يحي باعلوي بسنقفورة وطلب اليه أن يجمع مالا يتوصل به الى أغراضه ومطامعه ، وكان عوض رجلا متظاهراً بالورع والصلاح حتى وثقت به الناس الثقة التامة .

---

(١) قيل ان نزاعا حدث في شبام بين السلطان عوض والامير صلاح وان الامير محمد بن عمر القعيطي انضم الى الامير صلاح ولكننا لانعرف شيئاً عن أسباب ذلك الخلاف وليس بين ايدينا دليل يثبت صحة ذلك .

ذهب يعمل لجمع المال وما هي إلا بضعة شهور حتى جمع مالا كثيراً من العطايا والهبات وصار له عملاء في بعض البلدان ومن أكبر عملائه سلطان كوتيه وسلطان فاري فقد كانا يرسلان له التبر أرطالا رغبة في البركة وطول العمر ، وكان بعض التجار يثقون به ويودعونه أموالهم ، ومنهم بعض الاجانب مثل هافر تقلري ومرتين ديس وري منر ، وبعد أن جمع أموالا جمة هرب خفية الى عدن ومنها مشى براً الى حضرموت ثم ذهب الى آل تميم وحرضهم على احتلال تريم وأمطر عليهم العطايا ، فأصبح آل تميم يشاكسون ويناوشون آل كثير في تريم ولكن من غير جدوى وعاد عوض بخفي حنين . ثم انه رأى أن يستند الى يافع ويستعين بقوتهم ضد آل كثير ، فسافر الى المكلا ونزل ضيفا في قصر الأمير صلاح بن محمد الكسادي اليافعي وبذل غاية جهده في تحريكه للهجوم على سيون وتريم ولكن الأمير لم يرض بذلك وأجابه بأن الظروف تقتضي المحافظة على مركزه والدفاع عنه ولما رأى أن الأيام تذهب عليه سدى والليالي تمر بدون جدوى عاد الى بلده ثم ذهب الى السلطان غالب بن محسن الكثيري يحرضه على احتلال الشحر متعهداً له أنه سيضم الى صفه الحموم فلم يفلح أيضا ثم رأى أن يرحل الى المكلا ويكبر آل كثير في عيون يافع ويعظم قوتهم أمام الامير صلاح وفعلا سار اليه وأنبأه أن آل كثير ومن يلحق بهم على أتم استعداد لاحتلال المكلا فلم يفلح أيضا وعاد الى سيون وهناك وجد جماعة من آل باعلوي وعلى رأسهم محسن بن علوي السقاف يتباحثون في الوسائل التي تعيد الحرب جذعة بين يافع وآل كثير معتقدين أنهم

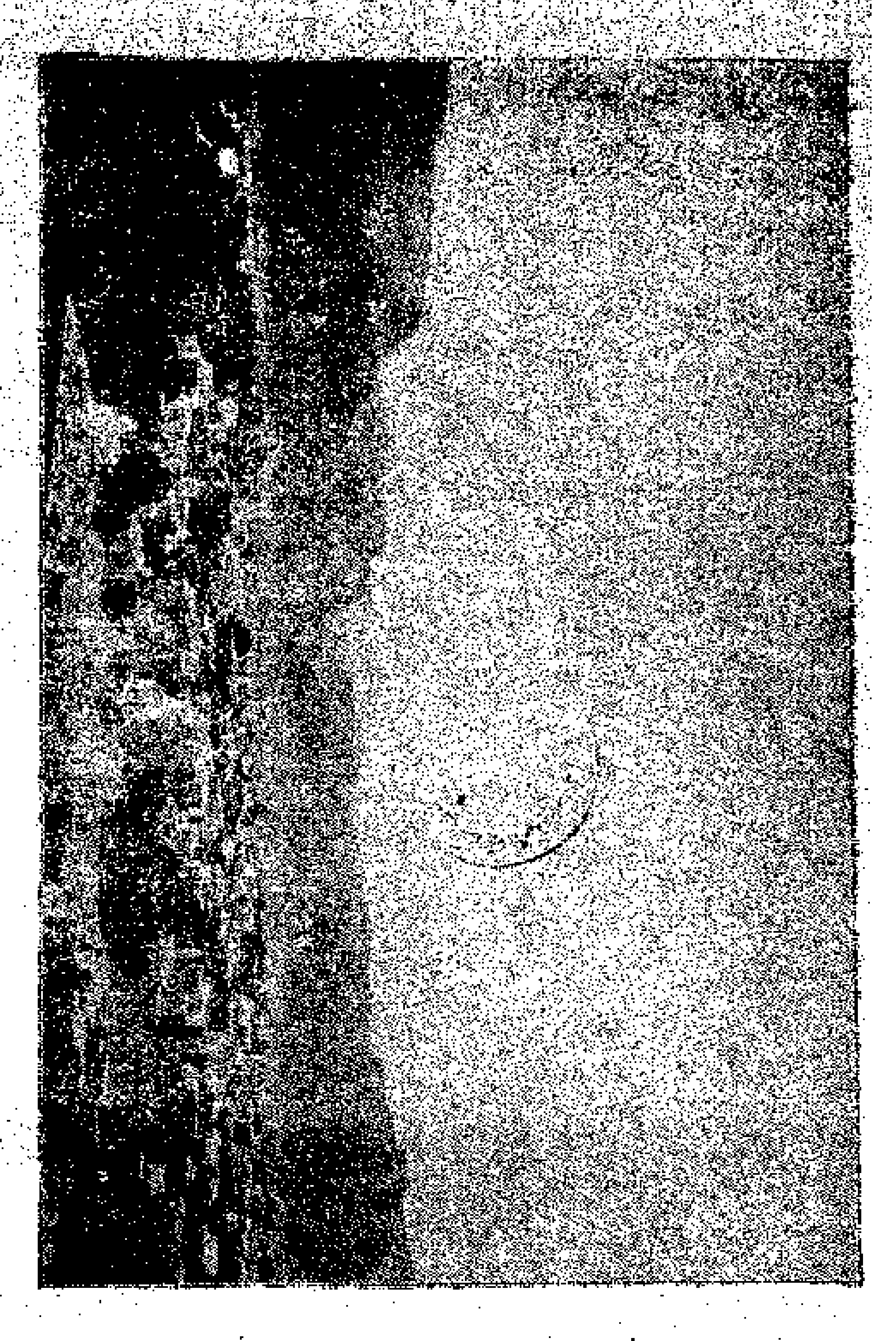
لن ينالوا آمالهم إلا اذا اصطدمت الدولتان اصطداما يقضي على حياتهما أو حياة احداهما ساروا الى السلطان غالب بن محسن الكثيري والى أخيه الامير عبد الله والى الامير عبود بن سالم لتحريضهم على احتلال الشحر ولكن من حسن حظ الدولتين ومن سوء حظ هؤلاء لم ينجحوا كثيراً ولا قليلا فيما أرادوه

وفاة السلطان غالب بن محسن الكثيري

في شهر رجب سنة ١٢٨٧ توفي السلطان غالب بن محسن الكثيري في سيئون عن ٦٤ سنة قضى أغلبها في الحرب والامارة وكان قائداً مقداما وسلطانا حازما عادلا في حكمه رحيما . كان أعظم رجل في آل كثير بعد السلطان بدر بوطويرق وأعظم شخصية بارزة ، أنفق ثروته لخدمة قومه واعلاء شأنهم ورفع مقامهم ، أحيي العظام وهي رميم ، أحيي ملك آبائه بعد اندثاره ، فهو يعتبر المؤسس الأول للدولة الكثيرية الفتية

استرداد سلطة يافع على الشواطيء

في أواخر سنة ١٢٨٧ أرسل السلطان عوض بن عمر القعيطي ٣٠٠ رجل من يافع الى قرية الحامي واحتلوها من غير حرب ثم سار الجيش الى رأس باغشوة واحتلوها بدون حرب ثم احتلوا القرن والديس دون أن يلاقوا أمامهم مقاومة شديدة . وفي أواخر سنة ١٢٨٨ أرسل الى قصيعر ٥٠٠ رجل من يافع وكان فيها جماعة من الحموم فثارت الحرب بين الفريقين وقتل من الحموم سبعة ومن يافع ثلاثة واحتلوها



سيون كما هي الآن

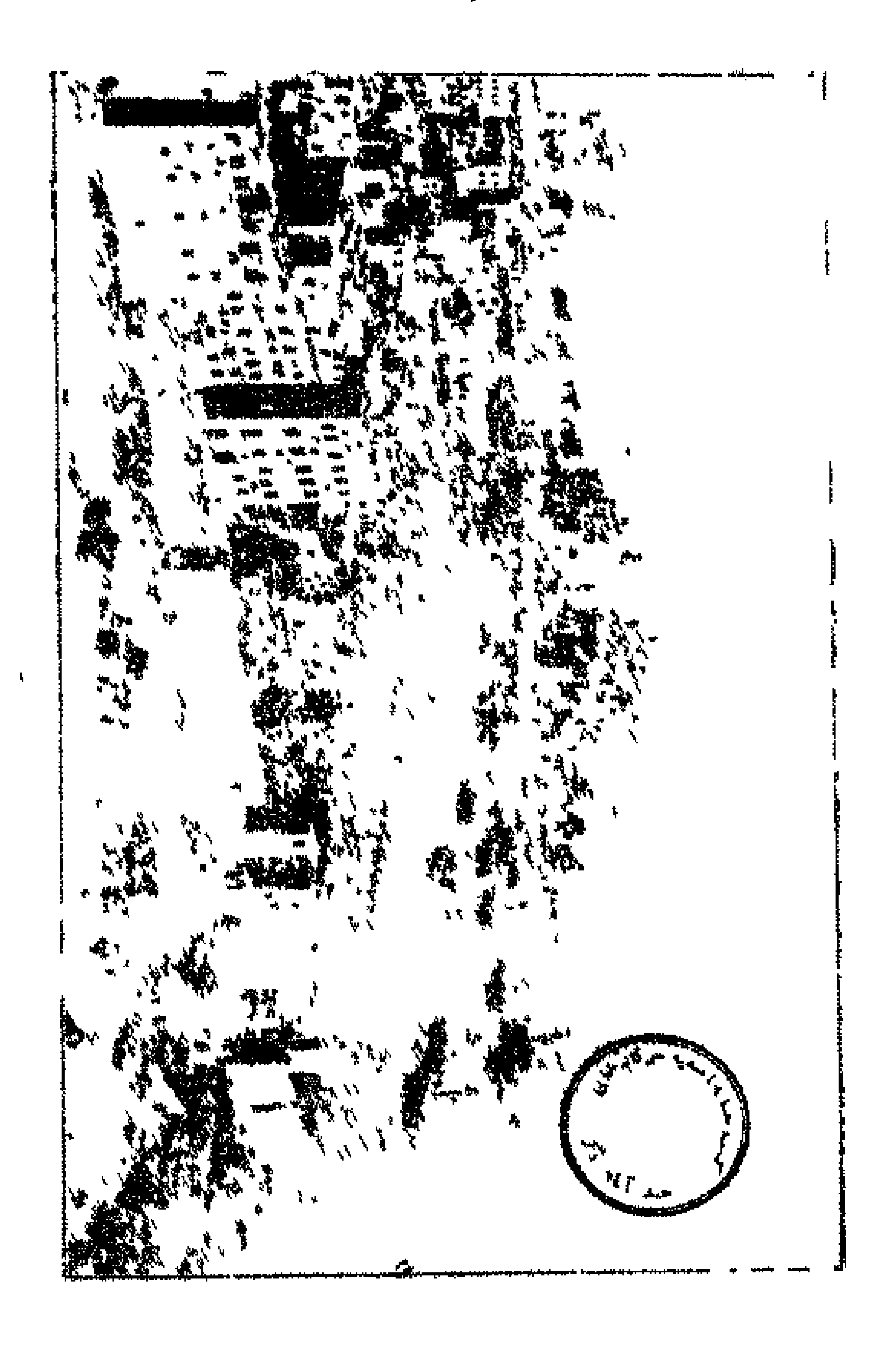
محاولة آل كثير احتلال شبام

فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٩١ سار كثير من يافع من أهل شبام الى

قرى القطن لقضاء أيام العيد بين أقربائهم ولم يبق فى المدينة منهم سوى الامير عبد الله بن عمر القعيطى و ٢٩ رجلا من يافع و ١٥٠ من العبيد ، فانتهز هذه الفرصة آل كثير وهجموا يوم الزينة على شبام ودخلوها وأخذ بعضهم يكسرون أبواب الدكاكين وينهبون المتاجر والنقود وكان يافع أرسلوا الى قومهم فى قرى القطن يطلبون منهم المدد فجاءهم أولا سبعون رجلا من آل على جابر ثم جاء ٥٠٠ رجل من أفخاذ يافع فزادت الحرب اشتعالا فى شبام وأقفرت شوارع المدينة من الناس سوى يافع وآل كثير ، وكان الأمير عبد الله بن عمر القعيطى يطوف على المراصد اليافعية راكبا فرسه يحثهم على الاقدام والاستمرار فى الحرب الى النهاية . وكان يمر أحياناً بين آل كثير فيحسبونه أحداً من آل باعلوى اذ كانت ملابسه بيضاء وكانت عمامته كبيرة فانكسر آل كثير وانسلوا من شبام أفراداً وجماعات وكان عدد القتلى من يافع ٧ ومن آل كثير ٢٥ دفن منهم عشرون فى بقعة أمام باب شبام يقال لها الآن نخل عشرين

اهتمام الكسادى بالمكلا

اهتم الأمير صلاح بن محمد الكسادى بالمكلا فقد بذل أقصى مجهوده فى تدبير شؤون الرعايا والاشراف على مصالحهم العامة وتنظيم الجيش وكانت حال المكلا يومئذ أحسن من الشحر وأكثر رخاء . وأوفر راحة وهناء حتى هبطها خلق كثير من حضرموت الداخلية ومن عدن ، وما

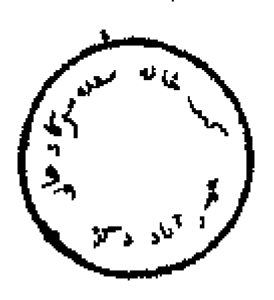


انسكبت نفسه تطمح فى توسيع ملكه ومدّ نفوذه فارسل الى دوعن جيشاً تحت قيادة النقيب مجمم فاحتل قرى كثيرة

وفى أثناء الحرب توفى الأمير صلاح بن محمد الكسادى اليافعى ، فزلزل الناس لوفاته زلزالا شديداً وكادوا يصعقون لشدة الحزن عليه فقد كان رجلا شهماً كريماً شريفاً . لقد كان لهم أباً شفوقاً يؤلمه ما يؤلمهم ويفرحه ما يفرحهم

وقام بالأمر بعده ابنه الأمير عمر بن صلاح الكسادى اليافعى وكان لايقل عن أبيه فى الحكم والحزم والاخلاص لشعبه والتفانى فى خدمته ، كان عزيزاً الى أقصى درجات العز شريفاً الى أقصى درجات الشرف

وقد كان يقوم مقام أبيه فى الحكم وتدبير شؤن الأهالى ، ويتولى قيادة الجيش فى ساحات القتال



انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى

فهرس الجزء الاول

صفحة

المقدمة

صفحة

صفحة

صفحة